الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة1
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

شعر الصعاليك
قراءة من منظور النقد الثقافي

بحث مقدم لاستكمال مقاييس نيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في اللغة والأدب العربي

شعبة: دراسات نقدية

تخصص: نقد ودراسات أدبية

إعداد الطالب:
داود نصر

إشراف:
أ.د/ فيصل حصيد

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
صالح مرحباوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	رئيسا
فيصل حصيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	مشرفا ومقررا
اليامين بن تومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	عضوا مناقشا
طارق ثابت	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	عضوا مناقشا
سفيان زدادقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف2	عضوا مناقشا
نبيل قواس	أستاذ محاضر "أ"	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1444 - 1445 هـ /2023 - 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إنّه من الواجب في هذا المقام؛ أن أتقدم بجزيل الشكر، وخالص الامتنان، إلى الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور "**فيصل حصيد**" الذي رافقني في إنجاز هذا البحث من بدايته إلى نهايته.

ولا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، على ما سيقدمونه من توجيهات وتصويبات تُثري البحث، ليكون في صورة أفضل مما هو عليه.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل لكافة أساتذتي في مختلف المراحل التعليمية؛ من الابتدائي إلى الدراسات العليا، فلولا فضلهم بعد الله عز وجلّ لما وصلت لهذه المرحلة المهمة في حياتي.

داود نصر

مقدمة

مقدمة

حين نطالع كتب الشعر القديم، تصادفنا كثير من المدونات التي لا يزال يكتنفها الغموض في مختلف أبنيتها؛ اللغوية، والفنية، والثقافية، ويتفجر منها قلق المنظورات الوجودية المختلفة، ما يجعل من إعادة قراءتها وفق مختلف الرؤى الممكنة والمتاحة، وتحليلها بأدوات وآليات جديدة ضرورة ملحة لتفكيك شفراتها النصية، وبيان مكامن الشعرية فيها، ومن بين هذه المدونات شعر الصعاليك في العصر الجاهلي الذي استطاع أن يشكل خصوصية فردية ضمن نظام الاجتماع القبلي، وأن يقدم إضافة فنية للتقليد الشعري على مستوى نظام القصيد، وعلى مستوى الرؤية الكلية التي يصدر منها الإبداع الشعري.

ويمثّل شعر الصعاليك ظاهرة من ظواهر التمرّد على نظام القبيلة في العصر الجاهلي، بناءً ومضمونًا، إذ يتميّز عن شعر القبيلة بأنّه شعر مقطوعات لا مطوّلات. وقد يعود السبب وراء هذا إلى القلق الذي يعيشه الشاعر المتمرد، نتيجة عدم الاستقرار، والتنقل من مكان إلى آخر باستمرار، انعكس هذا القلق على طول القصيدة؛ فالشعر– عادة– يحتاج استقرارًا ليتمكن الشاعر من نظم قصائده وتوليفها وضبطها، وهذا ما لم يتوافر عند الشعراء الصعاليك، الذين هم في كرّ وفرّ أثناء قطع الطرق أو الإغارة على القبائل وقوافلها. في حين أنّ شاعر القبيلة ينعم بالعيش الرغيد.

وقد اختلف الباحثون في منهج دراسة هذا الشعر، فبعضهم اهتم بنفسية الصعلوك وسيرة حياته، وعلاقته ببيئته، والمؤثرات الاجتماعية والثقافية والحضارية في شعرهم، وآخرون اعتمدوا النص في حد ذاته لأنه كفيل بأن يبرز للدارس بعض الأسرار الدفينة في ذات المبدع، ومختلف جوانب حياته، ولن يتحقق ذلك إلا بكشف دلالاته الظاهرة والخفية، ويختلف شكل النص أيضا من قارئ إلى آخر، لأن القراءة سبيل إلى تعدد وجهات النظر، فالقارئ يستقبل النص بما يملكه من قدرات فكرية ولغوية وثقافية، وهذه العناصر متفاوتة بين القراء، كل يعمل على إثرائه بهذه المعطيات الشخصية التي تتولد منها تفسيرات مختلفة للنص الواحد.

ولعلّ اهتمام النقاد القدامى بالشعر أهمل هذا النوع من شعر الصعاليك، إذ أنّ النفس تميل إلى الإحساس المرهف واللفظ الرقيق والعبارة البديعة، وهو ما لا يتوافر –عادة– في شعر الصعاليك، الذين يمتاز شعرهم بخشونة اللفظ وصعوبته، وأحاديث الإغارات والمغامرات وقطع الطرق، والسلب، والنهب، والقتل.

كما أنّ النقد الحديث، وفي تناوله شعر هذه الفئة لم يُعطها –على كثرة التآليف– حقها من النقد المنهجي، إذ أنّ أغلب الدراسات انصبت على الجانب التاريخي والاجتماعي لهذه الفئة، ولم تغص أكثر في أعماق شعر الصعاليك لاستكناه مكنوناته الجمالية والفنية، وقيمه الإنسانية الراقية.

وهذا ما حدا بنا إلى اختيار شعر الصعاليك الجاهليين موضوعا للدراسة والتحليل، في هذه المرحلة من التكوين الجامعي، مرحلة الدكتوراه "الطور الثالث"، قصد الوقوف على ما يختزنه شعرهم من مواهب فنية وأنساق جمالية، عبرت من دون شك عن البيئة الثقافية الجاهلية، من منظور يختلف عن الرؤى النقدية التقليدية، التي مجدت الشعر السائد، شعر الطبقة الحاكمة.

ولأنّ مدونات الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كثيرة، فقد اخترنا منها نماذج للدراسة، منها من تمرد على القبيلة نهائيا، ومنها من بقي على اتصال بها، لذا وقع اختيارنا على الصعاليك الآتية أسماؤهم: تأبط شرا، السليك بن السلكة، الشنفرى، صخر الغي، عروة بن الورد، عمرو بن براقة، وقيس بن الحدادية.

ونسعى في هذا البحث إلى تحليل هذا النوع من الشعر، في ضوء الآليات التي يوفرها النقد الثقافي، بوصفها إجراءات عملية تمكن القارئ و/أو الباحث من تحليل مختلف الأنساق الثقافية، السوسيولوجية، والسيكولوجية التي انبنى عليها شعر الصعاليك، بوصفه خطابا مضادا، ومن ثم نسعى إلى بحث المضمر في قصيدة "الصعلكة"، من خلال مختلف الإشارات والترميزات اللغوية والشعرية في سياق الثقافة الكلي.

إذ إنّ تحليل شعر هذه الفئة من منظور النقد الثقافي قد يسهم في الكشف عن كثير من جماليات هذ الشعر، وقد يكون بابا يلجه النقاد والدارسون بعد هذه الدراسة للتعمق أكثر فيه.

وتأسست الأطروحة لتجيب عن الإشكالية الآتية: كيف يمكن للثقافة أن تصنع الرؤية الجمالية؟ وكيف يمكن للتحليل الثقافي وآلياته أن يسعفنا في استكناه ذلك؟

ستقودنا، من دون شك، هذه الإشكالية الرئيسة إلى جملة من التساؤلات الفرعية، نلخصها فيما يلي:

- هل مدلول "الصعلوك"، بمعناه المتداول، يعبر فعلا عن هذا الجانب القبيح من ثقافتنا الأدبية؟
- هل يمكن اعتبار قصيدة الشعراء الصعاليك صورة عن خطاب الهامش في الثقافة العربية في العصر الجاهلي؟
- ما أهم الأنساق الثقافية الطاغية على شعر الصعاليك؟

هذه التساؤلات، وغيرها، هو ما تنهض هذه الأطروحة للإجابة عنها وبسطها.

ودفعنا لاختيار الموضوع عدّة أسباب، تتمثل في:

- الميل الشخصي إلى دراسة الأدب القديم بعامة، والأدب الجاهلي بخاصة، وشعر الصعاليك بصورة أخص؛ لما يحويه من قيم سامية تكاد تكون نادرة في زمان الناس هذا.
- ما يمثّله شعر الصعاليك من تمرّد، وجِدّة مقارنة بشعر القبائل، والخصائص التي تميزه شكلًا ومضمونًا.
- البحث في شعر الصعاليك صعب المرتقى لا يتأتى لكافة الناس، وهو ما يمثّل تحديًا أرغبُ في مواجهته والخوض فيه.
- المقابلة بين شعر الصعاليك والنقد الثقافي الذي يمثّل استراتيجية منهجية لنقد ما بعد الحداثة يشهدُ عددًا من الدراسات والأبحاث، ولعله ما يمكننا من وضع بصمة في هذا المجال.

وفرضت طبيعة موضوع البحث الاتكاء على مقولات النقد الثقافي أثناء استنطاق شعر الصعاليك، بحيث بدا لنا بأن هذه الاستراتيجية توفر من الأدوات والوسائل الإجرائية التي تمتاح من مختلف المناهج، ما يسعفنا في ذلك، نظرا لخصوصية وطبيعة الموضوع، بحيث يشكل شعر الصعاليك بنية خطابية رؤيوية مضادة للسائد، مما جعله خطابا موازيا للسائد الشائع، وهذا التوازي بالذات هو المجال الذي قاد منظري الأدب والفلاسفة إلى

التأمل في هذه الثنائيات التي تتصارع وتتطور عبر التاريخ مخلفة آثارا وتراكمات ثقافية وسوسيولوجية وسيكولوجية، تحت مجالات واسعة للبحث والتقصي. ولا أدعي استيعاب التصور المنهجي للنقد الثقافي، وإنما سعيت لتجريب بعض أدواته الإجرائية، بهدف فهم أعم للشعر الجاهلي بعامة، ولشعر الصعاليك بخاصة.

واعتمدت الأطروحة على عدد من الدراسات السابقة لشعر **الصعاليك**؛ نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. **أحمد حسين العباس**، الزمن في أشعار الصعاليك الجاهليين والمخضرمين، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: غيثاء قادرة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سورية 1440هـ-2018م.

2. **حسن جويعد العجمي**، ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك، دراسة لغوية دلالية، إشراف: محمود الديكي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت (الأردن)، 2017م.

3. **خلاف بوحالة**، القيم الأخلاقية في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه الطور الثالث، إشراف: موسى مريان، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة (الجزائر)، 2020-2021م.

4. **زاهي نجيب رشيد سلامة**، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي -دراسة في ضوء سيمياء الثقافة، أطروحة دكتوراه تخصص الأدب والنقد العربي، إشراف: يوسف أبو العدوس، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد (الأردن)، تموز/جويلية 2019م.

5. **سمية الهادي**، سيميائية المكان في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي، إشراف: عباس بن يحي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، نوقشت بتاريخ: 2015/12/03م.

6. **هنادي جبري محمد أبو قطام**، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي: دراسة نقدية ثقافية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها/ الأدب والنقد، كلية الدراسات العليا في الجامعة الهاشمية، الزرقاء (الأردن)، نوقشت بتاريخ: 2019/11/03م.

واتكأنا في إنجاز البحث على عدد من المصادر المهمة التي أضاءت لنا سبيل البحث، ويسرته، ونذكر أولا ديوان **تأبط شرا** وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي **ذو الفقار شاكر**، وديوان الشنفرى عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: **إميل بديع يعقوب**، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: **أسماء أبو بكر محمد**، والسليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، دراسة وجمع وتحقيق: **حميد آدم ثويني**، و**كامل سعيد عوّاد**، كتاب **شريف راغب** علاونة الموسوم "عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره–".

ثم من الكتب التراثية التي نذكر منها: كتاب "الأغاني" **لأبي فرج الأصفهاني**، و"الشعر والشعراء" **لابن قتيبة**، و"الحيوان" **لأبي بحر عثمان الجاحظ**، و"العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" **لابن رشيق القيرواني**، و"العقد الفريد" **لابن عبد ربّه الأندلسي**، و"الكامل في اللغة والأدب" **لأبي العباس المبرّد**.

ومن المراجع نذكر: "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" **ليوسف خليف**، و"شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه" **لعبد الحليم حفني**، و"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام **لجواد علي**"، "تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي" **لشوقي ضيف**، "السبع المعلقات ـ تحليل أنثروبولوجي/سيميائي لشعرية نصوصها" **لعبد الملك مرتاض**، و"لغة الجسد في أشعار الصعاليك –تجليات النفس وأثرها في صورة الجسد" **لغيثاء قادرة**، و"سوسيولوجيا الثقافة" **لعبد الغني عماد**، و"جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجًا" **ليوسف عليمات**.

بالإضافة إلى عدد من الدراسات والدواوين الشعرية.

تطلب منهج الدراسة أن يتوزع البحث على ثلاثة فصول ومدخل، تتصدرهم مقدمة وتليهم خاتمة.

وسمنا المدخل «**الصعلكة ظاهرة ثقافية**»، حيث تطرقنا فيه إلى ماهية الصعلوك، والدوافع الكامنة وراء بروز ظاهرة الصعلكة، من فقر، ووضاعة نسب، وحُبّ مغامرة، ثم ألقينا إطلالة عليها بصفتها ظاهرة ثقافية، وما تحمله من تمرّد على أعراف القبيلة، واعتزاز بالنفس، وتكافل، والسعي لإنشاء مجتمع بديل عن مجتمع القبيلة.

ثم الفصل الأول الموسوم «**الأنساق الوجودية في شعر الصعاليك**»، حيث تطرقنا أولا لمفهوم النسق، ثم ماهيته في الدراسات الثقافية، لنعرج إلى استخراج أهم الأنساق في شعر الصعاليك موضوع الدراسة، إذ بدأناه بنسق الحياة وما ينضوي تحته من تيمات ورموز طبيعية واجتماعية، ثم نسق الموت وما يحويه من تيمات علاقة الصعاليك بالآخر، وتيمة الحرب وما فيها من فرار وعدّة حرب.

وعنونّا الفصل الثاني «**الأنساق الزمنية في شعر الصعاليك**»، تعرضنا فيه إلى مفهوم الزمن، لنستعرض بعدها أهم الأنساق الزمنية الواردة في شعر الصعاليك؛ والمتمثلة في نسق الأنس وما ينضوي تحته من صباح ونهار ويوم، ونسق الصراع المتمثل في الليل.

أما الفصل الثالث «**الأنساق المكانية في شعر الصعاليك**»، فقد كان أغزر من ناحية الأنساق مقارنة بسابقه، إذ احتوى على عدد أكبر منها، وتناولنا فيه أولا مفهوم المكان، ثم مختلف الأنساق المكانية، إذ حضرت مجموعة من الأمكنة المتعلقة بالملجإ، والمعيشة، والصراع وأمكنة الحنين.

وانتهى البحث إلى خاتمة استظهرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في الدراسة.

وقد واجهتنا صعوبات في إنجاز هذه الدراسة، ككل بحث أكاديمي؛ لعلّ أهمّها:

- تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، وبخاصة النسق، حيث إنّ هذا المصطلح ينتمي إلى حقول معرفية متعددة.
- صعوبة شعر الصعاليك، إذ كانت الحاجة إلى المعجم باستمرار لشرح المفردات الصعبة في شعر الصعاليك.
- مشكلة نسبة الشعر لصاحبه، فكثيرة هي الأشعار التي تنسب إلى عدد من الشعراء، وبالتالي كان لزاما علينا توضيح إلى من تنسب.

لا يفوتنا في الأخير أن نشير إلى استفادتنا القيمة من توجيهات الأستاذ المشرف؛ الأستاذ الدكتور **فيصل حصيد**، الذي رافق البحث مُذ كان فكرة صغيرة في مهد الخاطر، فأولاه عنايةً، وأحاطه توجيها وتصويبا، ومنحه من وقته وجهد الشيء الكثير، وما لمسناه

فيه من سعة صدر، وحُسن مُعاملة يغترف الطالب فيها من أخلاقه قبل علمه الغزير، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نتقدم بجزيل الشكر وواجب الامتنان للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم دعوة مناقشة البحث، وعلى ما سيقدمونه من ملاحظات تُثري البحث وتصوّب ما فيه من أخطاء نكون قد وقعنا فيها دون قصد.

ونشكر جامعة باتنة1، اللغة والأدب العربي والفنون، وبصفة أخص قسم اللغة والأدب العربي، الذي أتاح لنا فرصة مواصلة الدراسة في الطور الثالث (الدكتوراه)، بكل طاقمه الأكاديمي والإداري، فشكرا جزيلا.

داود نصر

خنشلة في: 2023/10/13م

مدخل

الصعلكة ظاهرة ثقافية

خطة المدخل

توطئة

1-ماهية الصعلوك

2-تحليل دوافع الصعلكة

2-1-الفقر

2-2-النظام الاجتماعي وسلطة القبيلة

2-3-وضاعة النسب

2-3-حُبّ المغامرة وإثبات الشخصية

3-الصعلكة ظاهرة ثقافية

3-1-التمرّد على القبيلة وتجاوزها

3-2-الإغارة على البخلاء

3-3-التكافل

3-4-الأنفة

3-5-الاعتزاز بالنفس

3-6-الفردانية

توطئة

يُعدّ العصر الجاهلي أوّل العصور الأدبية في تاريخ الأدب العربي، وقد عُرف بنظام القبيلة التي حكمته بقوانينها ومبادئها، غير أنّ هناك فئة من الناس لم تتقبل هذه القوانين والنظم، فعدّتها القبيلة خارجة عن سلطتها، ما حدا بها إلى استبعادها، والتبرء منها ومن أفعالها، ولُقب هذه الفئة بالصعاليك، واتخذوا لهم مجتمعًا موازيًا ثائرا على القبيلة ونظامها، فمن هم الصعاليك؟ وما دوافعهم الرئيسة للصعلكة؟ وما أهم المظاهر الثقافية عند الصعاليك؟ سنحاول في هذا المدخل الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها.

1-ماهية الصعلوك

يجد المهتم بالشعر الجاهلي أنّ كلمة "**صعلوك**" وردت في كثير من القصائد، ومنها قول **أوس بن حجر** (من البسيط):

يا عَينُ جودي عَلى عَمرُو بنِ مَسعود أَهـلِ العَفـافِ وَأَهـلِ الحَـزمِ وَالجـودِ
أَودى رَبيـعُ الصَـعاليكِ الأُلـى اِنتَجَعـوا وَكُـلَّ مـا فَوقَهـا مِـن صـالِحٍ مـودي[1]

تعني كلمة "**الصعاليك**" في هذا البيت، الفقراء من الناس.وقال **الأعشى** الكبير **ميمون بن قيس** (من الطويل):

عَلـى كُـلِّ أَحـوالِ الفَتـى قَـد شَـرِبتُها غَنِيًّـا وَصُـعلوكًا وَمـا إِن أَقاتُهـا[2]

وردت كلمة "**صعلوك**" في بيت **الأعشى** مقابلة لكلمة "غني" وهي بمعنى "فقير". وقال **حاتم الطائي** (من الطويل):

عُنينـا زَمانـا بِالتَصَـعلُكِ وَالغِنـى كَما الدَهرُ في أَيّامِهِ العُسرُ وَاليُسرُ
كَسَينا صُروفَ الدَهرِ ليناً وَغِلظَةً وَكُـلا سَـقاناهُ بِكَأسَـيهِما الـدَهرُ
فَمـا زادَنـا بَـأوًا عَلـى ذي قَرابَـةٍ غِنانـا وَلا أَزرى بِأَحسـابِنا الفَقـرُ[3]

---

[1] ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1980م، ص25.

[2] ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل، تحقيق: محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، مطابع قطر الوطنية، الدوحة (قطر)، ط1، 2010م، ج1، ص254.

[3] ديوان حاتم الطائي، شرحه وقدّم له: أحمد رشاد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط3، 2002م، ص24.

وردت كلمة "التصعلك" في صدر البيت الأوّل من أبيات **حاتم**، ووردت بدورها مقابلة لكلمة "الغنى"، وتعني "الفقر"، ووظفها الشاعر لبيان حال الناس بين الفقر والغني، وبين العسر واليسر.

إذن، فـ" **صعاليك/ صعلوك/ تصعلك**" في الأمثلة السابقة تعني الفقر والعوز، وبعودتنا إلى المعاجم العربية نجدها تدور في هذا المعنى أيضًا؛ قال **الجوهري** (ت393هـ-1003م): «**الصّعلوكُ: الفقيرُ... والتصعلكُ: الفقر...**»[1]، وقال **ابن منظور** (630هـ-711هـ) (1232م-1311م): «**والتصعلكُ: الفقرُ**»[2]، وقال **الفيروز أبادي** (729هـ-817هـ) (1329م-1415م): «**صَعلَكَهُ: أفقَرهُ، ... والصعلوكُ، كَعُصفُورٍ: الفقيرُ. وتصعلكَ:افتَقَرَ...**»[3]، وهو ما ذهبَ إليه **الزّبيدي** (1145هـ-1205هـ) (1732م-1790م) في قوله: «**(صعلكه) صعلكةٌ: (أفقره)...(والصعلوك، كعصفور: الفقير)...**»[4]. فالصعلكة، إذن، تعني الفقر، والصعلوك الفقيرُ، لكن هذه الكلمة ذات معنى آخر؛ وهو الشخص الفاقد للسّند والدعم، قال **الفراهيدي** (100هـ-170هـ) (718م-786م) في معجمه "**العين**"، وهو أوّل معجمٍ عربي: « **الصُّعلوك، وفعله التصعلك، ويُجمع الصعاليك،... وهُم قومٌ لا مالُ لهم ولا اعتماد**»[5]، وهو التعريف نفسه الذي أورده **الأزهري**[6] (282هـ-370هـ) (895م-981م)، ونقله عنه **ابن منظور** في اللسان[7]، فالإضافة في هذه

---

[1] الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور قطّار، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط2، 1979م، ج2، ص ص 1595-1596.

[2] ابن منظور، لسان العرب، اعتنى به وصححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي -مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (لبنان)، ط3، 1999م، ج7، ص350.

[3] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط8، 2005م، ص946.

[4] الزبيدي، محمد مرتضى الحُسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، التراث العربي - سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، (الكويت)، (د.ط)، 1993م، ج27، ص 240.

[5] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتابُ العين -مُرتّبًا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2003م، ج2، ص398.

[6] ينظر، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النجار، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص302.

[7] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص350.

التعريفات كلمةُ "**لا اعتماد**"؛ أي لا سند ولا مُتكّأ يستعين به الفقير في حياته، كما أنّ هذه المعاجم تجمع "صعلوك" على "صعاليك"؛ أي على وزن "فعاليل".

وقرن **الجوهري** ومن بعده كلمة "صعاليك" مع العرب؛ فقالوا: «**صعاليك العرب: ذؤبانها**»، كما أوردوا "**عروة الصعاليك**" للدلالة على أنها تسمية كانت تُطلق على "**عروة بن الورد**" العبسي، لأنه": كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقُهم ممّا يغنم[1].

تدل كلمة "**الصعاليك**" في معناها اللغوي على الفقراء والفاقدين المتّكأ والمعونة، لكن هذا لا يدلّ على اختصاصها بهذا المعنى، إذ هناك معنى آخر، وهو دلالتها على "**ذؤبان العرب**"، فما المقصود بـ"**ذؤبان العرب**"؟.

إذا ما تصفحنا "**لسان العرب**"، وبحثنا عن دلالتها وجدناها: «... **يُقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبانٌ: لأنّهم كالذِّئبان**»[2]، وفي الصحاح: «**الإذابةُ: الإغارةُ**»[3]. نلاحظ أنّ كلمة "**ذؤبان**" ترتبط بالصعاليك، وترتبط بدورها باللصوصية والإغارة، أي إنّ "**الصعاليك**" هم اللصوص المُغيرون، فهذه الكلمة قد خرجت من دلالتها اللغوية التي تعني الفقر إلى دلالة أخرى هي اللصوصية التي ترتبط بالإغارة على الآخرين، وفي هذا يقول **يوسف خُليف** (1341هـ-1415هـ)(1922م-1995م): «**هم أولئك المشاغبون المغيرون أبناء الليل الذين يسهرون لياليهم في النهب والسلب والإغارة بينما ينعم الخليون المترفون المسالمون بالنوم والراحة والهدوء**» [4]؛ أي إنّ الصعاليك هم الذين يتسترون بظلام الليل لممارسة النهب والسلب والإغارة على الأغنياء، فالكلمة، إذن، «**خرجت من الدائرة اللغوية، دائرة الفقر، إلى دائرة أخرى أوسع منها هي دائرة الغزو والإغارة للنهب والسلب**»[5]، ويضيف **خليف**: «**فمن الواضح أنّ الصعاليك هنا ليسوا هم الفقراء، ولكنهم**

---

[1] ينظر: الجوهري، الصحاح، ج3، ص ص1595-1596.
ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص350.
الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص946.
الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج27، ص241.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص69.
[3] الجوهري، الصحاح، ج1، ص129.
[4] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط5، 2019م، ص25.
[5] المرجع نفسه، ص ن.

ولكنهم طوائف من قُطّاع الطّرق كانوا منتشرين في أرجاء الجزيرة العربية، ينهبون من يلقونه في صحرائها الموحشة الرهيبة، ويتلعبون به، ويتخطفونه، ويأكلون ماله»[1].

نستشف من هذا القول أنّ الصعاليك ليسوا الفقراء المُعدمين، لكنهم أولئك الفتية قُطّاع الطّرق، الذين يتّخذون الصحراء المقفرة مكانًا لهم لممارسة النهب والسرقة، وهو ما ذهب إليه **السُّليكُ بن السُّلكة** فقال (من الوافر):

فَــلا تَصِــلي بِصُــعلوكٍ نَــؤومٍ إِذا أَمســى يُعَــدُّ مِــنَ العيَــالِ

وَلَكِــن كُــلُّ صُــعلوكٍ ضَــروبٍ بِنَصلِ السَيفِ هامـاتِ الرِجـالِ[2]

ولا يظنّن القارئ أنّ الصعلكة، أو ممارسة النهب والسلب حكرٌ على الفقراء المعدمين، الذين اتخذوا هذا النهج لتحصيل أقواتهم، فالصعلكة أكثر من هذا، فقد انضم إلى هؤلاء الفقراء «**طائفة أخرى هي طائفة الخلعاء والماجنين الذين لفظتهم قبائلهم لسوء سلوكهم، وأصبحت لا تبالي بما يعملونه خارج قبائلهم**»[3]، لأنّ الهدف لم يكن تحصيل القوت والمال فحسب، فالصعاليك قد «**كوّنوا مذهبًا خاصًّا بهم، قوامه الثورة على الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي**»[4]؛ أي إنّ الصعلكة لا تتعلقُ بفئة دون أخرى، بل هي ظاهرة تغلغلت في نفس كلّ ثائرٍ على النّظام القبلي، وبهذا فقد جمعت بين أحضانها ثلاث طوائف، هي:

***طائفة الخلعاء:** الذين شذّوا عن نظام القبيلة، فخلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وجرائرهم؛ **كحاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطّمحان القيني.**

***طائفة الأغربة السود:** أبناء الإماء الحبشيات، الذين نبذهم آباؤهم ولم يُلحقوهم بهم لعارِ ولادتهم وسواد لونهم؛ **كتأبّط شرًا، والشنفرى، والسُّليك بن السُّلَكة.**

---

[1] المرجع السابق، ص ص25، 26.

[2] السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني، كامل سعيد عوّاد، مطبعة العاني، بغداد (العراق)، ط1، 1984م، ص62.

[3] عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 2008م، ص255.

[4] المرجع نفسه، ص255.

***طائفة الفقراء:** الذين احترفوا الصعلكة، ولم يكونوا من الطائفتين السابقتين، وقد يكونون أفرادًا **كعُروة بن الورد**، أو قبائل احترفت الصعلكة احترافًا كقبيلتي **فهم وهُذيل**[1].

فالصعلكة، كما تقدّم، ليست حكرًا على الفقراء المُعدمين، بل تتعداهم إلى طائفتين أخريين؛ هما: طائفة الخلعاء الشذاذ الذين ارتكبوا الجرائر والجنايات، ما حدا بقبائلهم إلى خلعهم والتبرء منهم ومن أفعالهم، وطائفة الأغربة السود، وهم أبناء الإماء الحبشيات الذين رفض آباؤهم الاعتراف بهم، فاتخذوا من الصعلكة نهجًا لإثبات ذواتهم وأنفسهم، على أنّ هذا لا يعني أنّ أبناء الإماء كلّهم صعاليك، إذ لم يخرج كلهم من قبائلهم، بل بقي أكثرهم ضمن القبيلة عبدًا، ولم ينل الحرية منهم ويعترف بهم ضمن إطار القبيلة إلا قلّة، وأشهرهم **عنترة بن شداد** العبسي.

ويقودنا هذا التنوع في طوائف الصعاليك إلى تحليل الدوافع المختلفة التي كانت وراء امتهانهم الصعلكة نهجًا ومذهبًا في الحياة.

2-تحليل دوافع الصعلكة

يستوجب تحليل دوافع الصعلكة وأسبابها أن يضع الباحث نُصب عينيه فئات الصعاليك آنفة الذكر، وهذا حتى لا نُغفل واحدة منها، فلكلّ فئة أسباب ودوافع قد لا تتوافر في الأخرى، وهناك أسباب أخرى مشتركة، وفي ما يلي تحليل لأسباب ودوافع الصعلكة:

2-1-الفقر

يُعدّ الفقر السمة الطاغية على عرب الجزيرة العربية في الجاهلية، إذ كان الغنى حالة شاذّة عندهم، وبخاصة أنّهم لم يكونوا قومًا ذوي صناعة أو زراعة إلا في مناطق الحضر، وأغلب العرب بدويون يقيمون في البوادي والصحاري، لذا، فإنّ مصدر حياتهم الأول كان الرعي والاعتياش من الإبل، إذ كانوا يكلّفون العبيد بالقيام بشؤونها، ويستكبرون على القيام عليها بأنفسهم.

---

[1] ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 1-العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط11، (د.ت)، ص375.

نعلم أنّ القبيلة العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: السادة بيدهم المال والسلطان، والأحرار من بقية أبناء القبيلة، والعبيد الذين يخدمونهم. وأغلب المال في القبيلة بيد السادة، وبقية أفرادها فقراء، وخلق الفقر هُوّة وبونًا بين السادة وأفراد القبيلة، فجعل المجتمع الجاهلي ينظر بازدراء واحتقار للفقير، ويبجّل الغنّي ويقدّره؛ قال **عروة بن الورد** (من الوافر):

دَعيـــني لِلغِنـــى أَســـعى، فَـــإِنّي ... رَأَيـــتُ النـــاسَ شَـــرُّهُمُ الفَقيـــرُ
وَأَبعَـــدُهُم وَأَهـــوَنُهُم عَلَـــيهِم، ... وَإِن أَمســـى لَـــهُ حَسَـــبٌ وَخيـــرُ
وَيُقصـــيهِ النَـــدي، وَتَزدَريـــهِ ... حَليلَتُـــهُ، وَيَنهَـــرُهُ الصَـــغيرُ
وَيُلفـــى ذو الغِنـــى، وَلَـــهُ جَـــلالٌ، ... يَكـــادُ فُـــؤادُ صـــاحِبُهُ يَطيـــرُ
قَليـــلٌ ذَنبُـــهُ، وَالـــذَنبُ جَـــمٌّ، ... وَلَكِـــن لِلغِنـــى رَبٌّ غَفـــورُ[1]*

يُصوّر **عروة** في هذه الأبيات نظرة المجتمع الجاهلي لكلّ من الغنيّ والفقير؛ فشرّ الناس وأهونهم الفقيرُ، وإن كان ذا حَسَبٍ رفيع وخلال حميدة، تحتقره زوجه، وينهره الصغير، في مقابل الغنيّ ذي الهيبة والجلال التي يطير لها قلب صاحبه للقائه، ومهما كثرت ذنوبه فإنها قليلة، لأنّ من عادة الناس أن تغفر ذنوب الغنيّ[2]، عساهم يصيبون خيرًا منه ومالًا.ويقول في موضع آخر (من الطويل):

قالَـت تُماضِـرُ، إِذ رَأَت مـالي خَـوى ... وَجَفـا الأَقـارِبُ، فَـالفُؤادُ قَـريحُ
مـا لـي رَأَيتُـكِ فـي النَـدِيِّ مُنَكِّسًـا ... وَصِـبًا، كَأَنَّـكَ فـي النَّـدى نَطـيحُ؟
خـاطِر بِنَفسِكَ كَـي تُصيبَ غَنيمَـةً؛ ... إِنَّ القُعـودَ، مَـعَ العِيـالِ، قَبـيحُ
المـالُ فيـهِ مَهابَـةٌ وَتَجِلَّـةٌ؛ ... وَالفَقـرُ فيـهِ مَذَلَّـةٌ وَفُضـوحُ[3]**

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1998م، ص79 .

* **الخير**: الشرف. **تزدريه**: تحتقره. **حليلته**: زوجه. **ينهره**: يعامله معامله سيئة. **جلال**: إكرام وإكبار وتعظيم.

[2] ينظر، حُسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي –قضايا، وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، ط1، 2001م، ص193.

[3] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص54.

** **خوى**: فرغ، **الوصب**: المريض. **النّطيح**، من نطحه الثور بقرنه: أصابه به، ونطحه فلان: دفعه عنه وأزاله.

يتحدّث **عروة** على لسان زوجه "**تماضر**"، إذ أصابهم الفقر ما جعل الأقارب يجافونه، فخلّف هذا في قلبه الألم، فتحضّه زوجه على الخروج لإصابة غنيمة، وإن كان فيه خطرٌ عليه، فالبقاء مع الأبناء مكتوف اليدين أمر قبيح، وتُنهي كلامها بما يوافق الرائية السابقة من أنّ للمال مهابة وجلالا، وأنّ الفقر ذُلّ وفضيحة.

هذه هي نظرة المجتمع الجاهلي، للغني والفقير، ما جعل **عروة** وأمثاله من الفقراء يتخذون الصعلكة نهجا في طلب القوت، لحفظ أجسادهم وأجساد عيالهم والمستضعفين من الهلاك، بل والسعي إلى الغنى والثراء متى ما أمكنهم ذلك، بالإضافة إلى تحصيل المكانة الاجتماعية اللائقة بهم.

2-2-النظام الاجتماعي وسلطة القبيلة

تُمثّل العصبية القبلية أساس الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، فهي الرابط الذي يجمع أفرد القبيلة الواحدة، وحولها يتمحورُ وجودهم، و«**جميعهم تحت تصرفها وفي خدمتها وخدمة حقوقها**»[1]، فالفرد مُسخّر لخدمة قبيلته، ولا رأي له دون رأيها، فهو معها في الرّشد والغيّ، قال **دريد بن الصّمّة** (من الطويل):

أَمَــرتُهُمُ أَمــري بِمُنعَــرَجِ اللِــوى فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلا ضُحى الغَدِ
فَلَمّا عَصوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى غِــوايَتَهُم وَأَنَّنــي غَيــرُ مُهتَــدي
وَهَل أَنــا إِلا مِـن غَزِيَّـةَ إِن غَـوَت غَوَيــتُ وَإِن تَرشُـد غَزِيَّـةُ أَرشَـدِ[2]*

فهذا الولاء الكامل للفرد في قبيلته أدى إلى تزعزع الفكر، ما جعل العاقل يتبع جاهل قومه، وهذا كله تحت ضغط الأعراف والتقاليد[3]. وإن كان **دريد بن الصّمّة** قد أقرّ بغيّ قبيلته واتباعه إياها في كلّ أحوالها، رُشدًا وغيًّا، ورضي بالأمر الواقع، ولم يخرج عنها، فإنّ هناك من أفرادها من لم يرضَ بهذا، وخَرَجَ على أعرافها وتقاليدها.

---

[1] محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي، أشعارهم وأخبارهم، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1990م، ص12.

[2] ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1985م، ص ص61، 62.

* **منعرج اللوى:** اسم موضع. **غواية:** ضلال. **غزية:** قبيلة دريد، وهو أحد أجدادهم "**غزية بن جشم**".

[3] ينظر، علي الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، اتحاد الكتّب العرب، دمشق (سورية)، (د.ط)، 2002م، ص43.

وتُعدّ ظاهرة الصعلكة خروجًا على النظام القبلي، لأنّ الصعاليك لم يكونوا يمثّلون «**مشكلة قبائلهم، وإنما كانت مُشكلة النظام القبلي نفسه، وهذا ما أوجد بين الصعاليك معنى مُشتركًا، يعبّر بالتضامن الفعلي مع شعور جنيني بأنهم مجتمع مُصغّر يختلف عن المجتمع القائم، وبالتالي فقد تميّزوا بفقد الإحساس بالعصبية القبلية التي كانت قِوام المجتمع الجاهلي، وبتطورها في نفوسهم إلى عصبية مذهبية**»[1]؛ أي إنّ النظام القبلي كان يحملُ في طياته طبقية رفضها هؤلاء الصعاليك، وهو ما جعله عاملًا مُشتركًا بينهم، ففقدوا الإحساس بالعصبية القبلية، وتطور هذا الإحساس إلى عصبية مذهبية؛ عصبية تحكمها الأفكار والمصالح المشتركة لا رابطة الدم.

وكان يُخشى من حركة الصعاليك لأنها قد تُصبح بديلًا عن النظام القبلي، الذي لم تكن العرب على جانب من التطور بحيث تتخلص منه، مع أنّ الواقع يُثبتُ أنّ أقوى الخيوط الرابطة بين أفراد القبيلة خيطُ المصلحة الاجتماعية والاقتصادية، في بيئة صحراوية لا قانون فيها، ثم أصبحت الصعلكة فيما بعد قالبًا دمويًا، ومع ذلك فإنه لو لاقت الصعلكة قبولًا لحلّت محل العصبية القبلية[2]، وتبنت أفكارها نظامًا يُلبي حاجة الأفراد.

2-3-وضاعة النسب

اهتمَ العرب الجاهليون بالنسب أيّما اهتمام، وهذا نابعٌ من اهتمامهم بأصولهم وأصول قبائلهم، فكان لهم «**مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته**»[3]؛ فمعرفة النسب من الضرورات التي تستوجبها القبيلة وعصبيتها لتزيد اللحمة بين أفرادها، وإن كان هذا ظاهرها، لكن باطنها هو السبب الذي جعل القبيلة مُقسمة إلى سادة، وعبيد، وبقية أفراد أحرار من الطبقة الوسطى.

لذا، فإننا نجد في شعر الصعاليك ألمًا من «**هوان منزلتهم الاجتماعية التي فرضتها نواميس الانتماء القبلي القائم على مفهوم أصالة النسب، وهي نواميس لا تقبل أيّ**

---

[1] إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1988م، ص200.

[2] ينظر، علي الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص43.

[3] مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض (السعودية)، ط1، 1996م، ص189.

تحوّل في المنزلة مهما أظهر الفرد من التفوّق الأخلاقي والبطولي، حتى وإن كان فعلُ التّفوّق منسجمًا مع قيم البنية القبلية التي أوجدتها تلك النواميس في تقسيم أبنائها إلى فئات (عُليا ودُنيا)»[1]؛ أي إنّ التقسيم القبلي يتّخذ أصالة النسب معيارًا، وهو ناموس لا يقبل النقاش أو التغيير، فهو ثابت مهما أبان الفرد من بطولة وأخلاق.

يُمثّل العبيدُ أدنى درجات القبيلةِ ، ما ولّد لدى أبناء الإماء إحساسًا بالألم والمرار؛ قال **السُّليك بن السُّلَكة** (من الوافر):

أَشَـــابَ الــرَأسَ أَنّــي كُــلَّ يَــومٍ   أَرى لـــي خَالَـــةً وَســـطَ الرِّحـــالِ
يَشُـــقُّ عَلَـــيَّ أَن يَلقَـــينَ ضَـــيمًا   وَيَعجِـــزُ عَـــن تَخَلُّصِـــهِنَّ مـــالي[2]

يقفُ **السُّليك** عاجزًا أمام ما يحدث لبني جلدته (العبيد)، فهم يباعون ويشترون كالمتاع، وهو عاجزٌ لا يقوى على فعل شيء لهم، حتى شاب رأسه من هذا الامتهان والهوان، والشعور بالمهانة أصاب **عروة بن الورد** أيضًا؛ إذ إنّ أخواله "**بنو نهد**" أقلُّ شرفًا من **بني عبس**، يقول (من الطويل):

مــا بِــيَ مِــن عــارٍ إِخــالُ عَلِمتُــهُ،   سِــوى أَنَّ أَخــوالي، إِذا نُسِــبوا، نَهــدُ
إِذا مــا أَرَدتَ المَجـدَ قَصَّـرَ مَجـدُهُم،   فَأَعيــا عَلَــيَّ أَن يُقــارِبَني المَجــدُ[3]

يشعر **عُروة** بالنقص والعار الذي لحقه من جهة أخواله، ما ينسحبُ أيضًا على شعوره بالعار من أمه؛ يقول (من الطويل):

أَعَيَّرتُمـــــوني أَنَّ أُمّـــــي نَزيعَـــــةٌ؟   وَهَل يُنجِبَن، فـي القَومِ، إلا النّزائِـعُ؟[4]*

---

[1] عبد الله علي قاسم الصنوي، ظاهرة الصعلكة في الشعر العربي قبل الإسلام (المفهوم والبواعث)، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، اليمن ع10، يونيو 2009م، ص18.

[2] السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، ص62.

[3] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص56.

[4] ديوان عروة بن الورد، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه: سعد ضنّاوي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م، ص191.

* **النزيعةُ**: الغريبة، والجمع نزائع. وهو ما يتوافق مع معنى البيت. وورد البيت بصيغة أخرى:

أَعَيَّرتُموني أَنَّ أُمّي تَريعَةٌ   وَهَل يُنجِبَن في القَومِ غَيرُ التَرائِعِ

والتريعة هي المسرعة إلى الشر. ينظر، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تح: أسماء أبو بكر محمد، ص85.

وقال في موضع آخر (من الطويل):

هُـــم عَيَّرونـــي أَنَّ أُمّـــي غَريبَـــةٌ، وَهَـل فـي كَـريمٍ ماجِـدٍ مـا يُعَيَّـرُ؟
وَقَـد عَيَّرونـي المـالَ، حـينَ جَمَعتُـهُ، وَقَد عَيَّرونـي الفَقرَ، إِذ أَنـا مُقتِرُ ![1]

عُيّر **عروة** بنسب أمّه، فهي غريبة عن القبيلة التي ينتمي إليها، وهذه الغربة مَسبّة في العرف الجاهلي، ومنقصة، ما جعله قومه يُعيّرونه في كلّ أحواله؛ غنيًا وفقيرًا، كريمًا ماجدًا، فكلّ هذا لم يشفع **لعروة** أن يجد لنفسه مقامًا رفيعًا في قومه، ما ولّد لديه ضغطًا نفسيًا، ويضطره للتمرّد والثورة على هذا المجتمع الظالم.

وما أصاب **عروة** أصاب غيره من الصعاليك، حتى صار الصعلوك يبحث لنفسه عن قوم آخرين يتخذهم أهلا له؛ قال **الشنفرى** (من الطويل):

وَلـي دونَكُـم أَهلَـونَ: سـيدٌ عَمَلَّـسٌ وَأَرقَـطُ زُهلـولٌ وَعَرفـاءُ جَيـأَلُ
هُـمُ الأَهـلُ لا مُسـتَودَعُ السِـرَّ ذائِـعٌ لَـدَيهِم وَلا الجـاني بِمـا جَـرَّ يُخـذَلُ[2]*

قرّر **الشنفرى** الخروج على قومه، واتّخذ أهلا وقومًا آخرين؛ الوحوش الضواري، فهم أهله بحق، لا يُذيعون له سرًّا، ولا يخذلونه إن ارتكب جريرةً من الجرائر، **والشنفرى** بهذا الطرح ناقم على قبيلته، راضٍ عن مجتمع الوحوش، وفي صُحبته عُدّته، يقول (من الطويل):

ثَلاثَـــةُ أَصـــحابٍ: فُـــؤادٌ مُشَـــيَّعٌ وَأَبـيَضُ إِصـليتٌ وَصَـفراءُ عَيطَـلُ[3]

لم يجد **الشنفرى** حياة الراحة والاطمئنان في قبيلته؛ لذلك فضّل أن يعيش في مجتمع آخر، مع الوحوش والسباع، وهو لا يهاب العيش في هذا المجتمع الجديد، ولا يلزمه شيء

---

[1] ديوان عروة بن الورد، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه: سعد ضنّاوي، ص63.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط2، 1996، ص ص58، 59.

*__أهلون__: جمع أهل. __السّيد__: الذئّب. __العملّس__: القويّ السريع. __الأرقط__: فيه سواد وبياض. __زُهلول__: خفيف. العرفاء: الضبع الطويلة العُرف. __جيألُ__: من أسماء الضبع. __جرّ__: جنى. __يُخذَلُ__: يُتخلّى عن نصرته. وورد البيت الثالث بلفظ "__الرهط__" مكان "__الأهل__". يُنظر، محاسن بن إسماعيل الحلبي، شرح شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق وتعليق: خالد عبد الرؤوف الجبر، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن)، ط1، 2004م، ص65.

[3] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص60.

فيه غير عُدّته التي جعلها أصحابًا له؛ وهي: القلب الحاضر الشجاع، والسيف المُجرّد المُستعدّ للمواجهة وملاقاة الموت، وقوسه الطويلة المُجرّبة.

هكذا، إذن، ساهمت نظرة القبيلة إلى الناس من زاوية النسب في خروج هؤلاء الصعاليك عليها، فالشعور بالازدراء والهوان أشعل نار الكرامة والاعتزاز بالنفس في نفوس الصعاليك، وآلوا على أنفسهم البقاء في مجتمع يحتقرهم، ولا يعترف بهم وببطولاتهم وأمجادهم، فخرجوا إلى الفيافي والقفار، مصاحبين الوحوش، وتاركين وراءهم القبيلة وكلّ ما يربطهم بها.

2-4-حُبّ المغامرة وإثبات الشخصية

عانى الصعاليك من نظرة المجتمع الجاهلي لهم، فأرادوا كسرَ تلك النظرة المتعلقة بالنسب والفقر، وبحثوا عن كلّ ما من شأنه أن يُثبت ذواتهم ويُغيّر نظرة المجتمع إليهم، ومنها حُبُّ المغامرة؛ يقول **جواد علي: «ولا أستبعد أن تكون للمغامرة ولإثبات الشخصية، دخل أيضًا في حدوث الصعلكة وفي تمرّد الشباب على مجتمعهم، على غرار ما نجده اليوم من تمرّد على مجتمعاتهم، لإثبات وجودهم وشخصيتهم في هذه المجتمعات، بطريقة العبث بالعرف والعادات وبعدم المبالاة لأوامر العائلة والمجتمع، مما يجعلهم يسيرون سيرة الصعاليك في ذلك الوقت، فلو نظرنا إلى حالة الصعاليك نجد أنّ منهم من كان من أسرة متمكنة أو لا بأس بأحوالها المالية، ومع ذلك عاش صعلوكًا، لما وجد فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع. فحُبّ المغامرة، وإثبات الشخصية، من أسباب الصعلكة في الجاهلية كذلك»**[1]، وذهب **أدونيس** إلى أنّنا **«حين نُغامر ونُغيّر وجودنا. نُغامر، فنتغيّر، فنحظى بنفوسنا. نتّخذ المغامرة طريقًا-نظلّ في هجرة رائعة خارج نفوسنا، لغاية واحدة: أن نجد نفوسنا»**[2]؛ أي أنّ المغامرة وإثبات الذات كان من الدوافع الرئيسة في الصعلكة، إذ إنّ اللامبالاة بالأعراف والتقاليد، والخروج عنها صفةُ الشّباب، الذين لا يضعون في حسبانهم أيّ حسابٍ للعقبات والأنظمة، فيمضون في تهوّر في الحياة ومناكبها.

---

[1] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط2، 1993م، ج9، ص602.

[2] أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت (لبنان)، ط3، 1979م، ص16.

وحُبّ المغامرة يحمل بين طياته الشجاعة والنشاط، ولعلّه يحمل، أيضًا، أحلام الصعاليك بغدٍ أفضل، يقول **السُّلَيك** (من الوافر):

فَـــلا تَصِـــلي بِصُـــعلوكٍ نَـــؤومٍ إِذا أَمســـى يُعَـــدُّ مِـــنَ العيَـــالِ
إِذا أَضْـــحَى تَفَقّـــدَ مَنْكِبَيْـــهِ وَأَبْصَـــرَ لَحْمَـــهُ حَـــذَرَ الهُـــزَالِ
وَلَكِـــن كُـــلُّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَصـــلِ السَـــيفِ هامـــاتِ الرِجـــالِ[1]

ينهى **السُّليك** صاحبته أن تصل الصعلوك الفقير كثير النوم، الذي ينتظر من يُطعمه، بل عليها أن تصلَ الشجاع النشيط الذي يواجه الرّجال ويقتلع رؤوسهم بسيفه الحاد.

ويقول **تأبّط شرًا** في رثاء **الشنفرى** (من الطويل):

وَأَمـــرٍ، كَسَـــدِّ المَنخَـــرَينِ، اِعتَلَيتَـــهُ فَنَفَّســـتَ مِنـــهُ، وَالمَنايـــا حَواضِـــرُ[2]

يُشبّه **تأبّط شرّا** الأمير العسير الذي جابهه **الشنفرى** بسدّ المنخرين، لضيقه وصعوبة التخلّص منه، لكن **الشنفرى** لشجاعته وإقدامه، ولامبالاته بهذا الأمر الذي اعتلاه، وتمكّن منه، وفرّج ضيقه فنفّس منه وخرج، كلّ هذا والموت متربّص به ومحدق، يحوطه من كلّ حدبٍ وصوب. ويقول **عمرو بن براقة** في ميميته الشهيرة (من الطويل):

إِذا اللَيـــلُ أَدجـــى وَاِكفَهَـــرَّ ظَلامُـــهُ وَصـــاحَ مِـــنَ الأَفـــراطِ بـــومٌ جَـــواثِمُ
وَمـــالَ بِأَصـــحابِ الكَـــرى غالِباتُـــهُ فَـــإِنّي عَلـــى أَمـــرِ الغَوايَـــةِ حـــازِمُ[3]*

يُصوّر **ابن برّاقة** البيئة التي هو فيها؛ ليل أسود مخيف، ظلامه دامس، وصياح البوم المُتطيّر منه... في هذه الأجواء المخيفة، التي يدخل فيها الناس دورهم ليتمتّعوا بالنوم الهنيء؛ يخرجُ ابن برّاقة ليواجه الغواية بكلّ حزمٍ وتفانٍ ونشاط.

---

[1] السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، ص62.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، ط1، 1984، ص83.

[3] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره–، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن)، ط1، 2005م، ص111.

*__أدجى:__ أظلم. __الظلام المكفهر:__ المتراكب الظلمة. __الأفراط:__ الأكام، وهي الجبال الصغار، واحدها فُرُط. __الكرى:__ النّعاس والنّوم. __الغواية:__ الجهل.

هكذا هم الصعاليك؛ شجعان نشيطون، يُقدمون على المغامرة بلا تردّد، في أجواء يصعب على الخليّ المُسالم الإقدام عليها، فالصعاليك لا يهابون الموت، بل يواجهونه بكلّ حزم.

3-الصعلكة ظاهرة ثقافية

تطرّق كثيرٌ من الباحثين إلى ظاهرة الصعلكة، وتناولوها من منظورات متعدّدة، على رأسها أنّها ظاهرة اجتماعية؛ إذ تناولت –هذه الدراسات– الأسباب التي كانت وراء نشوء ظاهرة الصعلكة، وأهم فئات الصعاليك.

وبعد، فإنّنا نروم دراسة الصعلكة بصفتها ظاهرة ثقافية، تحمل بين جنباتها الكثير من القيم والمبادئ على غرار الأنفة، والعدل والثورة على النظام القبلي. ولكن قبل هذا وجبَ علينا تعريف "**الثقافة**" **Culture**، هذا المصطلح الذي تعددت تعريفاته بتعدّد المدارس والباحثين، ولعلّ أقدم تعريف للثقافة تعريفُ "**إدوارد تايلور**" **Edward B. Taylor**الذي يقول فيه أنّ الثقافة «**كُلٌّ مُركّبٌ يشتملُ على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معيّن**»[1]. نستشفّ من هذا التعريف أنّ الثقافة كلّ ما تشمله حياتنا من معارف ومعتقدات وعادات وتقاليد وإبداع وقوانين وأخلاق في بيئة اجتماعية معيّنة، وقد تكون مولودة مع الإنسان أو مكتسبة أثناء حله وترحاله وتقدّمه في العمر.

وهناك تعريفات أخرى للثقافة، لكن أشملها وأعمقها تعريف **غي روشيه Guy Rocher**: «**الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريبًا في قواعد واضحة والتي اكتسبها وتعلّمها وشارك فيها جمع من الأشخاص. تُستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آنٍ معًا، من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميّزة**»[2]. الثقافة، وفق هذا التعريف، لا تتعلق

---

[1] عبدالغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ط3، 2016م، ص28. نقلا عن:

Edward B. Taylor, Primitive Culture : Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art, and Custom, 2vols, (London : J. Murray, 1871).

[2] غي روشيه، مقدّمة إلى علم الاجتماع العام، تر: مصطفى دندشلي، مكتبة الفقيه، بيروت (لبنان)، ط2، 2002م، ج1، ص198.

بالموجودات فقط، بل هي كلّ مركّب من التفكير والشعور والفِعل، فالتفكير كلّ ما يتعلّق بالذهن ويرتبط به من إبداع وقوانين وغيرها، والشعور يتمثّل في العواطف والأحاسيس والوجدانيات التي تعتمل في النفس البشرية، أمّا الفعل فهو الجانب السلوكي العملي لكلّ من التفكير والشعور، وهذه العناصر الثلاثة قد قولبت في قوالب اكتسبها الإنسان وتعلّمها، بل وتشارك فيها مع مجتمعه، بصورة شاملة، أو مجموعة أشخاص على حيّز ضيّق، وكلها تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في وقت واحد، من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة تربط بينها قواسم مشتركة.

وبناءً عليه، فالصعاليك مجموعة أشخاص ربطت بينهم مجموعة من المقومات جعلتهم يشكلون مجموعة متميزة عن مجتمعهم، فالأسباب التي تحدثنا عنها آنفًا كانت دافعًا لظهور مجتمع الصعاليك، أو فلنقل فئة الصعاليك، ولم تكن هذه الأسباب وحدها وراء ظهور أو نشأة الصعاليك؛ فالصعاليك يحملون –تقريبًا– الأهداف ذاتها، ولهذه الفئة مجموعة خصائص ثقافية تميزها عن المجتمع الجاهلي، وهذه الخصائص الثقافية نوجزها في ما يلي:

3-1-التمرّد على القبيلة وتجاوزها

يُمثّل التّمرّد على القبيلة وأعرافها أُسًّا من أسس الصعلكة، كيف لا وهي التي رفضتهم ولفظتهم، وتبرأت منهم، بل وبقيت على حالها في ممارساتها العنصرية، ومحاباتها في تقسيم الأموال بين أفرادها، فقد «**خرج هؤلاء الصعاليك على تقاليد القبيلة حين وجدوا المسافة شاسعة بين حُلمهم وواقع القبيلة بأعرافها وتقاليدها التي لم تعد إطارًا مناسبًا لاستيعاب مستجدات الحياة، بين نظرتهم إلى أنفسهم ونظرة قومهم الدونية: تلك النظرة التي أنتجتها قيم ثابتة لا مجال إلى تغييرها أو تعديلها إلا بما يلغي بنيتها**»[1]. أي أنّ القبيلة تميّزت بالثبات في عالم متغيّر، ولم تراعِ هذا التغيّر، بل كانت نظرتها الناقصة والمستعلية ثابتة نحو فئة من أبنائها، وكان واجبًا عليها الاهتمام بهم، لكنها على العكس من ذلك، احتقرتهم، وغالت في ازدرائهم والنظر إليهم بعين النقص، لكن هؤلاء الصعاليك كانوا ذوي نفوس مرهفة، تقطر كرامةً وإباءً، فغادروا القبيلة باحثين في أرجاء الأرض عن سعةٍ تُعوّضهم ظُلم القبيلة؛ قال **الشنفرى** (من الطويل):

---

[1] عبد الله علي الصنوي، ظاهرة الصعلكة في الشعر العربي قبل الإسلام (المفهوم والبواعث)، ص4.

وَفـي الأَرضِ مَنـأى لِلكَـريمِ عَـنِ الأَذى وَفيهـا لِمَـن خـافَ القِلـى مُتَعَـزَّلُ
لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سَـرى راغِبـاً أَو راهِبـاً وَهـوَ يَعقِـلُ[1]*

يتّخذ **الشنفرى** (الكريم) الأرض بشساعتها اللامحدودة منأى وبُعدًا عن الأذى الذي لحقه من قومه، كما أنّ هذه الأرض التي ينتمي إليها بابتعاده عن قبيلته معزل له منها، وهي تحتضن كل من يأتيها راغبًا أو راهبًا، دون تفرقة، ما دام يميّز ويعقل.

لم تكن النظرة الدونية حكرًا على النسب فقط؛ بل ارتبطت أيضًا بالحالة المادية للفرد، ما جعل الصعاليك يحاولون كسر هذه النظرة الدونية، ومن ذلك قول **ابن الورد** (من الطويل):

إِذا المَرءُ لَم يَبعَث سُوامًا وَلَم يُرَح عَلَيـهِ، وَلَـم تَعطِـف عَلَيـهِ أَقارِبُـه
فَلَلمَـوتُ خَيـرٌ لِلفَتـى مِـن حَياتِـهِ فَقيـرًا، وَمِـن مَـولىً تَـدِبُّ عَقارِبُـه[2]**

يضعنا **عروة** أمام صورة للحياة الجاهلية، فهو يضع شرطًا للحياة الكريمة؛ أن يكون له "سوام"، وهي الإبل الراعية، وإن كان فقيرًا فعطف أقاربه عليه وإعانتهم إياه، فإذا لم يكن هذا متوافرًا فلا خير له من الموت، فالموت أهون عليه من أن يعيش فقيرا مُهانًا.

هذا القلق والاضطراب جعل الصعلوك يتجاوز قبيلته ويتركها، كما تركته وحيدًا، ويعتمد على نفسه في مجريات حياته، ومن ذلك الأخذ بثأر القتيل؛ قال تأبّط شرًا (من المديد):

إِنّ بِالشِـعبِ الَّـذي دونَ سَـلـعٍ لَقَتـيلاً دَمُـهُ مـا يُطَـلُّ
خَلَّـفَ العِـبءَ عَلَـيَّ، وَوَلّـى، أَنـا بِالعِـبءِ لَـهُ مُسـتَقِلُّ[3]***

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص58، 59.

* **المنأى:** المكان البعيد. **القِلى:** البغض والكراهية. **المتعزّل:** المكان لمن يعتزل الناس. **لعمرك:** قسم بالعمر. **سرى:** مشى ليلا. **راغبًا:** ذو رغبة. **راهبًا:** ذو رهبة.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص48.

** **يُرح عليه:** أي ترد إبله إلى مراحها. **المولى:** هنا ابن العم.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص247، 248.

*** **السّلع:** الطريق في الجبل. **يُطلّ:** يذهبُ هدرًا، **والطّلّ:** مطل الدم والدّية وإبطالهما. **العبء:** المقصود به طلب دمه، والنيل من عدوّه. **مستقلّ:** مُقتدر.

يشي البيت الأوّل بالمضاضة والألم، وما تنكير القتيل (قتيلًا) إلا دلالة على ذلك، وهو قتيلٌ من العار أن يذهب دمهُ هدرًا دون ثأرٍ أو مُطالب، وقوله "**خلّف العبءَ عليّ**" (أو "**قذفَ العبء عليّ**" في رواية أخرى) أي كلّفه وأثقلَ عليه بعبءٍ، وهو الثأر، لكن تأبّط شرًا أهل لهذا العبء الثقيل وقادر على تحمّله وحده[1]. **فتأبّط شرًا** يكسرُ قيمة من قيم القبيلة؛ وهي تحمّل القبيلة كاملة الثأر للقتيل، ويتحمّله وحده، وفي هذا تجاوز للقبيلة، وقال **الشنفرى** (من الطويل):

وَلا تَقْبُرونـــي إنَّ قَبـــري مُحَـــرَّمٌ	**عَلَـيكُم، وَلَكِـن أَبشِـري أُمَّ عــامِرِ**
إذا احتَمَلتْ رَأسي وَفي الرَأسِ أَكثَري	**وَغـودِرَ عِنـدَ المُلتَقـى ثَـمَّ سـائِري**
لَقُلتُ لهـا: قَـد كـانَ ذَلِـكَ مَـرَّةً	**ولَسـتُ علـى مـا قَـد عَهـدتُ بِقـادِرِ**
هُنالِـكَ لا أرضـى حَيـاةً تَسُـرُّني	**سَـميرَ اللَيـالِي مُبسَـلاً بِـالجَرائِرِ**[2]*

تشي هذه الأبيات بتجاوز **الشنفرى** قبيلته، لدرجة أنه طلب منها ألا تدفنه، وتتركه للضبع، بل ويبشرها بجسده، هذا الجسد الهزيل الذي سيكون طعامًا لها، **فالشنفرى** يؤثر أن تأكله الضباع على أن يدفنه قومه، كيف لا، وهو من خرج من قبيلته إلى الأرض الشاسعة متخذًا من وحوش البرية وضواريها أهلا له.

تمثّل الصعلكة تعبيرًا صريحًا لتمرّد هؤلاء الصعاليك، وهذا التمرّد من زاوية نظر القبيلة يمثل الإجرام عند الصعاليك الذين تقودهم ممارساتهم إلى الموت، لكن نظرة الصعلوك تعبّر عن ثقافة إحيائية تساوي عنده الحياة، فالصعلكة مفارقة حقيقية[3] ظاهرها صورة الفقر واتخاذ أساليب النهب والسلب، وباطنها التمرّد والخروج على نواميس القبيلة الظالمة.

---

(1) ينظر، أبو فهر، محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، مطبعة المدني (مصر)، ط1، 1996م، ص148.

(2) محاسن بن إسماعيل الحلبي، شرح شعر الشنفرى الأزدي، ص ص52، 53.

*أم عامر: الضبع. **في الرأس أكثري**: عقله (ويروى: ثمّ ناظري). **غُودر**: تُرِكَ. **عند الملتقى**: الموضع الذي لاقى فيه منيته. **سمير الليالي**: طولها. **مُبسّل**: مُسلَم. **الجرائر**: الذنوب والجرائم.

(3) ينظر، هنادي جبري محمد أبو قطام، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي: دراسة نقدية ثقافية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها/ الأدب والنقد، كلية الدراسات العليا في الجامعة الهاشمية، الزرقاء (الأردن)، نوقشت بتاريخ: 2019/11/03م، ص55.

3-2-الإغارة على البخلاء

عُرف الصعاليك باستعمال أساليب النهب والسلب والإغارة على القوافل والأغنياء بغية الحصول على الأموال، لكنّ الصعاليك لم يكونوا يُغيرون على كل الأغنياء، بل كانوا يسطون على البخلاء منهم؛ يقول **شوقي ضيف**: «... **كأنّما تحوّلت الصعلكة في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام يشبه الفروسية، وهي حقًا تقوم على السلب والنهب، ولكنهم -أي الصعاليك- كانوا لا يسلبون ولا ينهبون سيّدًا كريمًا**»[1]. فالصعلكة أخت الفروسية، وإن التحفت لحاف السلب والنهب، لكنّ هذا الأسلوب لم يكن عشوائيا، بل كان مُنتقيًا، فلا يُصيبُ إلا البخلاء، أمّا الكُرماء فلا يُسلبون ولا يُنهبون، لأنهم يجودون على الفقراء بأموالهم. ولعلّ خير من يمثّل هذا التوجّه **عروة بن الورد**؛ يقول (من الطويل):

لَعَلَّ اِنطِلاقي في البِلادِ وَبُغيَتي، وَشَدّي حَيازيمَ المَطِيَّةِ بِالرَحلِ
سَيَدفَعُني، يَومًا، إِلى رَبِّ هَجمَةٍ، يُدافِعُ عَنها بِالعُقوقِ وَبِالبُخلِ[2]*

يصبو **ابن الورد** إلى إصابة إبل رجل شحيح، فهو يغير على الأغنياء كافة، فالكرماء من الأغنياء يؤدون حقوق الفقراء، أما البخلاء منهم فهم هدف **عروة**، ولطالما سطا على أموالهم وقسمها بين الفقراء[3].

ومن الأخبار الدالة على الإغارة على الأغنياء البخلاء ما ورد أنّ **ابن الورد** بلغه عن رجل كناني أنه من أغنى الناس وأشدهم بُخلًا، فأرسل **عروة** من يتقصّى خبره، فعاد إليه بخبر الغني البخيل، فسطا **عروة** على إبله وساقها إلى قومه يقسمها بينهم[4]، يقول (من الكامل):

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 1-العصر الجاهلي، ص276.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص90.

* **الحيازيم:** جمع حيزوم، وهو الصدر. شد حيازيم المطية بالرحل كإسراج الخيل، وهي كناية عن الاستعداد للسفر. **الهجمة:** العدد الكبير من الإبل. وهي بين 30 و100. **العقوق:** التنكّر لصلة الرحم، وهي كناية عن منع الأخير عن الأقارب.

[3] ينظر، فاروق أحمد اسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي -دراسة-، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق (سورية)، (د.ط)، 1998م، ص323.

[4] ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، تحقيق: محمد فؤاد نعناع، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، (الكويت)، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1995م، ص84.

مَـــا بـــالثَّراءِ يســـودُ كُـــلُّ مُسَـــوّدٍ مُثـــرٍ، ولكـــن بالفِعـــالِ يسُـــودُ
بـــل لا أُكَاشِـــرُ صـــاحبي فـــي يُسْـــرِهِ وَأَصُـــدُّ، إذ فـــي عَيشِـــهِ تَصْـــريدُ
وإذا اختُبـــرتُ فـــإنّ جـــاري نَيْلُـــهُ مـــن نـــائِلي، ومُيسّـــري مَعْهُـــودُ
وإذا افْتَقَـــرتُ فَلـــنْ أُرَى مُتَخَشّـــعًا لأخـــي غِنًـــى مَعروفُـــهُ مَكـــدودُ[1]*

يردّ **عروة** من خلال هذه المقطوعة على الرجل البخيل، إذ يخبره أنّ السؤدد لا يكون بكثرة المال ووفرته، بل بالكرم، وأنّ خير الصحبة ألا يضاحك الناس في يُسرهم، ويعرض عنهم في عُسرهم، فهذه مصلحة يأباها **عروة**، ومتى ما كان **لعروة** مال اقتسمه مع جاره، فأعطاه من الخير، وإن أصابه فقر فإنه لن يُرى متذلّلًا عند غني بخيل لا يجود بماله للمحتاجين، وإن أعطاهم فسيعطيهمُ من المال قليلًا يكفيهم حاجتهم.

3-3-التكافل:

قد يظنّ الناس، أو غير المتتبعين لظاهرة الصعلكة، أنّ الصعاليك حين يغيرون على القوافل والأغنياء البخلاء يستأثرون بالغنائم لأنفسهم، لكنهم على عكس ذلك؛ فهم يساعدون المحتاجين ويقتسمون الغنائم معهم، يقول ابن الورد (من الطويل):

إنّـــي اِمـــرُؤٌ عـــافي إنـــائِيَ شِـــركَةٌ وَأَنـــتَ اِمـــرُؤٌ عـــافي إنائِـــكَ واحِـــدُ
أَتَهـــزَأُ مِنّـــي أَن سَـــمِنتَ، وَأَن تَـــرى بِوَجهي شُحوبَ الحَقِّ، وَالحَقُّ جاهِدُ
أُقَسِّـــمُ جِســـمي فـــي جُســـومٍ كَثيـــرَةٍ، وَأَحسو قَراحَ الماءِ، وَالماءُ بارِدُ[2]**

يردّ **عروة بن الورد** على "**قيس بن زهير بن جذيمة**" سيّد بني عبس، الذي نعته ورماه بالهزال، **فعروة** يفخر بأنّه يُقسّم طعامه بين الناس، وأنه لا يستأثر به لنفسه، فهذا سبب هزاله، على عكس **قيس** الذي يستأثر بالطعام لنفسه فيسمن.

---

[1] المصدر السابق، ص ص84-85.

* **يسود:** يُصبحُ سيدًا. **مسود:** من جعله قومه سيّدا. **الفِعال:** الكرم. **أكاشر:** أضاحك وأباسط. **تصريد:** تقليل. **النيل والنائل:** العطاء. **مُيسّري:** ما تيسّر لي وسهُل عليّ. **مُتخشّعًا:** مُتضرّعا ومتذلّلا. **مكدود:** لا يُنال إلا بمشقّة وإلحاح، أو هو قليل جدًّا.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص61.

** **الإناء العافي:** الذي مُلئ لبنًا حتى فاض. **الحق الجاهد:** الحق يُجهد الناس، لأنهم يؤثرونه على النفس والعيال. **جسمي:** أراد طعامي. **قراح الماء:** الماء الصافي لا يخالطه لبن أو غيره. **الماء البارد:** في الشتاء، وذلك أشدّ.

ولا يكتفي **عروة** بالرد على **قيس بن زهير**؛ بل إنه يهجو من لا يُفكّر إلا في نفسه، فقال في الصعلوك الخامل (من الطويل):

لَحـى اللّـهُ صُـعلوكًا، إذا جَـنَّ لَيلُـهُ، مُصـافي المُشـاشِ، آلِفًـا كُـلَّ مَجـزَرِ
يَعُـدُّ الغِنـى مِـن نَفسِـهِ، كُـلَّ لَيلَـةٍ، أَصـابَ قِراهـا مِـن صَـديقٍ مُيَسَّـرِ
يَنـامُ عِشـاءً ثُـمَّ يُصـبِحُ ناعِسًـا، يَحُـثُّ الحَصـى عَـن جَنبِـهِ المُتَعَفِّـرِ
قَليـلُ اِلتِمـاسِ الـزادِ إِلّا لِنَفسِـهِ، إِذا هُـوَ أَمسـى كَـالعَريشِ المُجَـوَّرِ[1]*

يرسم **عروة** صورة الصعلوك/الفقير الخامل، الذي كلّ امله أن يُصيبَ طعامًا من غني، وهو يفترض الأرض ويلتحف السماء، ينام ليلا في الوقت الذي ينشط فيه الصعاليك، ولا يستيقظ إلا صباحًا يُبعد ما التصق به من حصى، ولا يهتم بالآخرين، فكلّ همّه الحصول على الزاد لنفسه، فهمّ عروة مساعدة الآخرين، وتقاسم ما غنمه معهم.

ولم يتوقف تكافل وكرم الصعاليك عند المساعدة والتقاسم، بل تعداه إلى الإيثار؛ قال **أبو خراش الهذلي** (من الطويل):

لَقَـد عَلِمَـت أُمُّ الأُدَيبِـرِ أَنَّنـي أَقـولُ لَهـا هَـدّي وَلا تَـذخَري لَحمـي
فَـإِنَّ غَـداً إِن لا نَجِـد بَعـضَ زادِنـا نُفِـيء لَـكِ زادا أَو نُعَـذِّكِ بِـالأَزمِ[2]**

يطلب **أبو خراش** من زوجه أن تهدي ولا تدّخر من اللحم شيئًا، فإن أتى الغد ولم يكن معها زادٌ فإنّ **أبا خراش** كفيل بإحضاره، وإلا فعليها الإمساك عن الطعام والصبر حتى يأتي الفرج.

ونلاحظ في قول **أبي خراش** "**هدّي**"؛ أي أعطها هدايا، فليس هناك منٌّ منه في عطائه، بل هو تقاسم مع المحتاجين، وهو «**ما يُفسّر تلك النزعة الإنسانية الصادقة،**

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص68.

* **مصافي المشاش:** مختار، مؤثر للأكل، **والمشاش:** رأس العظم الليّن. **المجزر:** موضع جزر الإبل. **يحثّ الحصى:** لا يبرح الحي، **وحثّ الشيء:** قشره وأسقطه. **عريش:** شبه خيمة. **مجوّر:** ساقط.

[2] ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (مصر)، ط4، 2012م، ج2، ص125.

** **هدّي:** أي اقسمي هديتك وما عندك ولا تدخري. **نُفئ لك زادًا:** أي نُفئ عليك فيئًا. **نُعذّك:** نصرفك بإمساك الفم؛ أي نصرفك بأزمه لا تأكلين. **الأزم:** إمساك الفم عن الطعام.

نحو العدالة الاجتماعية والمساواة بين أبناء المجتمع، بعيدًا عن الظلم والاستغلال»[1]؛ أي أنّ الصعلوك الذي يروم تحقيق العدالة والمساواة يمارسها بنفسه على من يعانون مثله، فهو لا يكتفي بمطالبة القبيلة بالعدل، بل يطبقه في حياته اليومية في صورة التكافل.

ويقول **أبو خراش** في موضع آخر (من الطويل):

وَإِنّـي لأُثـوى الجـوعَ حَتّـى يَمَلَّنـي فَيَـذهَبَ لَـم يَـدنَس ثِيـابي وَلا جِرمـى
وَأَغتَبِـق المـاءَ القَـراحَ فَـأَنتَهى إِذا الـزادَ أَمسـى لِلمُـزَلَّجِ ذا طَعـمِ
أَرُدُّ شُـجاعَ الـبَطنِ قَـد تَعلَمينَـهُ وَأوثِـرُ غَيـري مِـن عِيالِـكِ بِـالطُعمِ
مَخافَـةَ أَن أَحيـا بِـرَغمٍ وَذِلَّـةٍ وَلَلمَوتُ خَيرٌ مِن حَياةٍ عَلى رَغمِ[2]*

يصبر **أبو خراش** على الجوع، ويكتفي بالماء القراح (الصافي)، ويؤثر غيره بالطعام، وهو يبذل هذا إبعادًا للذل والهوان.

لا يرتبط التكافل والإيثار ومساعدة الفقراء بالطعام فحسب، بل يتعداه إلى اللباس أيضًا؛ قال **تأبط شرا** (من الطويل):

وَنَعـلٍ، كَأَشـلاءِ السُـمانى، نَبَـذتُها إِلى صاحِبٍ حافٍ وَقُلتُ لَـهُ: اِنعَلِ[3]**

يُصور البيت صورة راقية من صور التكافل والإيثار، فتأبط شرا لا ينتعل إلا نعلًا مهترئةً، لكنه يجود بها على صاحبه الحافي، فينبذها إليه، ويبقى هو حافيًا دون نعل، فهو معتاد على هذا، فهو القائل (من البسيط):

يَسري عَلى الأَينِ وَالحَيّاتِ، مُحتَفِيًا، نَفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى ساقِ[4]***

---

[1] عيسى شمّاس، الصعلكة ظاهرة اجتماعية بمضمون إنساني، مجلة الموقف الأدبي، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب، دمشق (سورية)، ع505، أيار 2013م، ص26.

[2] ديوان الهذليين، ج2، ص ص127، 128.

*__أثوي الجوع:__ أطيل حبسه. __الجرم:__ الجسد. __المزلّج:__ ليسَ متينًا. __رغم:__ هوان ومذلة.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص181.

**__السّمانى:__ طائر صغير. وقوله: كأشلاء السمانى؛ يريد أنه خلق مهلهل ممزق.

[4] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص127.

***__الأين:__ نوعٌ من الأفاعي، وقيل التعب والإعياء.

كما أنّ التكافل لا يرتبط بالإنسان فقط، بل يمسّ الحيوان أيضًا؛ قال تأبط شرا في حديثه عن الذئب (من الطويل):

فَقُلْتُ لَهُ، لَمّا عَوى،: إنَّ ثابِتًا قَليلُ الغِنى إن كُنتَ لَمّا تَمَوَّلِ

...

طَرَحتُ لَهُ نَعلاً مِنَ السَبتِ طَلَّةً خِلافَ نَداً مِن آخِرِ اللَيلِ مُخضِلِ

فَوَلّى بِها جَذلانَ يَنفُضُ رَأسَهُ كَصاحِبِ غُنمٍ ظافِرٍ بِالتَمَوُّلِ[1]*

آثر **تأبط شرا** الذئب بنعله على نفسه، فطرحها له، مع أنّ **تأبّط شرا** أشدّ حاجةً للنعل من الذئب، فماذا يفعل الذئب بها، أينتعلها؟ ! بالرغم من هذا؛ فإنّ **تأبط شرا** منحه إياها، ففرح بها الذئب، وغادره سعيدًا فرحًا، كأنه صاحب أغنامٍ اغتنى بوفرتها.

ويبلغ كرم الصعاليك مبلغًا عظيمًا، فها هو **تأبط شرا** يدعو الجنّ إلى الطعام، قال (من الوافر):

أَتوا ناري، فَقُلتُ: مَنونَ أَنتُم؟ فَقالوا: الجِنَّ، قُلتُ: عِموا ظَلاما

فَقُلتُ: إِلى الطَعامِ، فَقالَ مِنهُم زَعيمٌ: نَحسُدُ الإِنسَ الطَعاما[2]

يُعلمنا تأبط شرا بلقائه ليلًا زوّارًا غُربًا، فسألهم على عادة الناس عمّن يكونون، فأجابوه بأنه من الجن، فدعاهم إلى الطعام. أيّ صعلوك شجاع كريم هذا، تطرقه الجن فلا يخاف، بل يدعوها إلى الطعام القليل، وهم نفر.

حياة الصعاليك ملأى بالجوع والمخاطر، ومع هذا فإنّ الصعاليك، في سعيهم لتحقيق العدالة والمساواة، وفي سعيهم نحو الغنى، لم يستأثروا بما يغنمون، بل اقتسموه مع المحتاجين غيرهم، وآثروهم في أحايين كثيرة، فالصعلكة ليست مطالبة بالحقوق فحسب، بل هي ممارسة وتطبيق لما أرادوا أن تمارسه قبائلهم، فالصعلوك يروم أن تتفشى ثقافة

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص183، 185.

* **ثابت:** اسم تأبط شرا. **السّبت:** الجلد المدبوغ. **الطلة:** الشربة من اللبن أو الخمر. **الخضل:** البلل الخفيف. **جذلان:** فرح سعيد. **التمّول:** الغنى.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص256، 257.

التكافل والإيثار في مجتمعه، وهذا حتى لا يضطر الناس للمخاطرة بأنفسهم في سبيل تحصيل لقمة العيش.

3-4-الأنفة:

كان أغلب المجتمع الجاهلي ناسًا فقراء، إذ كانت السمة الغالبة على أهل الجزيرة العربية الفقرُ، وكان المال في يد فئة قليلة من الناس، وأغلبهم من السادة والحُكّام والتّجّار، إذ كانوا يستأثرون بالمال ونادرا ما يجودون به على الفقراء والمحتاجين، فكان هؤلاء الجياع تحت مطرقة الجوع، وسندان الاحتقار الذي كانت القبيلة تنظر به إليهم، لكن «**الصعلوك يرفض تلك الحياة المهينة ويرفض أن يكون كغيره من الذين يحيون حياة عادية، ويقبلون من الأمر ما لا يتّفق والمُثُل العليا بعامة والصعاليك بخاصة، فالموت عند هؤلاء الناس خير من حياة الذل والهوان، والموت هنا هو المنطلق لرفض الذل والتمرّد**»[1]. فالصعلوك ذو عزّة وأنفة؛ يرفض الذلّ والهوان، ويفضّل الموت كريمًا على أن يعيش مُهانًا، وإن طال عمره وعاش، فإنّه يتّخذ الصبر وسيلةً للقضاء على جوعه، يقول **الشنفرى** (من الطويل):

أَديـمُ مِطـالَ الجـوعِ حَتّـى أُميتَـهُ وَأَضـرِبُ عَنـهُ الـذِكرَ صَـفحًا فَأَذهَـلُ
وَأَسـتَفُّ تُـربَ الأَرضِ كَـيلا يَـرى لَـهُ عَلَـيَّ مِـنَ الطَـولِ اِمُـرؤ مُتَطَـوَّلُ
وَلَـولا اجتِنـابُ الـذَأمِ لَـم يُلـفَ مَشـرَبٌ يُعـاشُ بِـهِ إِلا لَـدَيَّ وَمَأكَـلُ
وَلَكِـنَّ نَفسـاً مُـرَّةً لا تُقـيمُ بـي عَلـى الـذَامِ إِلا رَيثمـا أَتَحَـوَّلُ[2]*

فالشنفرى متى جاع صبر على جوعه حتى يتركه ويذهب عنه، ويوثر أن يستفّ التراب على أن يمنّ عليه إنسان بنعمة ما، ولولا نفسه الأبية الرافضة للضيم لعاش في ترفٍ ورغد عيش.

ولأنّ الصعاليك ذوو أنفة وإباء؛ فهم يفضّلون من أصحابهم العامل النشيط، الذي يُحصّل رزقه بيده؛ قال **عروة بن الورد** (من الطويل):

---

[1] حُسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي –قضايا، وفنون، ونصوص–، ص183.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص62، 63.

*__أديمُ:__ من المداومة، وهي الاستمرار. **المطال:** المماطلة. **أضربُ عنه الذكر صفحًا:** أتناساه. **أذهل:** أنساه. **الطّول:** المنّ. **امرؤ متطوّل:** منّان. **الذأم والذّام:** العيب الذي يُذّمّ به. **يُلفى:** يوجد. **مُرّة:** صعبة أبيّة.

وَلَكِـــنَّ صُـــعلوكًا، صَـــفيحَةُ وَجهِـــهِ كَضَـــوءِ شِـــهابِ القَـــابِسِ المُتَنَـــوِّرِ
مُطـــلا عَلـــى أَعدائِـــهِ يَزجُرونَـــهُ بِســـاحَتِهِم، زَجـــرَ المَنـــيحِ المُشَـــهَّرِ
إِذا بَعُـــدوا لا يَـــأمَنونَ اِقتِرابَـــهُ، تَشَـــوُّفَ أَهـــلَ الغائِـــبِ المُتَنَظَّـــرِ
فَـــذلِكَ إِن يَلـــقَ المَنِيَّـــةَ يَلقَهـــا حَميـدًا، وَإِن يَستَغنِ يَومـاً فَأَجـدَرِ[1]*

يُقدّم **عروة** في هذه الأبيات صفاتٍ للصعلوك الأبيّ الذي يرفض أن يكون عالةً على الآخرين، فهو نشيط ذو وجه منير، دائم الإطلال على أعدائه، بل الأكثر من هذا، يطلّ عليهم في أرضهم وساحتهم، فيترقّبون حضوره للظفر به، فإذا ابتعدوا لا يأمنون اقترابه وإغارته عليهم، فإن نالوا منه وقتلوه فسيموت حميدًا كريمًا، وإن نال منهم وأصاب منهم مغنمًا فهو حقيق وجدير بما نالت يداه[2].

ولا يتوانى **الشنفرى** في الوصول إلى مراده مهما كانت الظروف والعراقيل، إذ لا يهاب صعود الجبال، ولا يردعه جوع أو عطش، أو حرّ في صحراء العرب الحارقة، لأنه عزيز النفس، واثق بها، ومؤمن بهدفه الذي يرومه، يقول (من الوافر):

أَنـــا السّـــمع الأَزَلُّ فـــلا أُبـــالي ولـــو صَـــعُبَت شَـــناخيبُ العِقـــابِ
وَلا ظَمَـــــأٌ يُـــــؤخِّرُني وحَـــــرٌّ ولا خَمـــصٌ يُقَصِّـــرُ مـــن طِـــلابِ[3]**

وقال **السليك بن السلكة** (من الوافر):

أَلا عَتَبَـــت عَلَـــيَّ فَصـــارَمَتني وَأَعجَبَهـــا ذَوو اللِّمَـــمِ الطِـــوالِ
فَـــإِنّي يـــا اِبنَـــةَ الأَقـــوامِ أُربـــي عَلـــى فِعـــلِ الوَضـــيِّ مِـــنَ الرِجـــالِ
فَـــلا تَصِـــلي بِصُـــعلوكٍ نَـــؤومٍ إِذا أَمســـى يُعَـــدُّ مِـــنَ العيَـــالِ
وَلَكِـــن كُـــلُّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَصـــلِ السَـــيفِ هامـــاتِ الرِجـــالِ
أَشـــابَ الـــرَأسَ أَنّـــي كُـــلَّ يَـــومٍ أَرى لـــي خَالَـــةً وَســـطَ الرِجـــالِ

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص69.

* **مُطلا:** مُشرفًا. **يزجرونه:** يصيحون به. **المنيح:** سريع الخروج.

[2] ينظر، عيسى شماس، الصعلكة ظاهرة اجتماعية بمضمون إنساني، ص62.

[3] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص30.

** **السّمع:** ولد الذئب من الضبع. **الأزل:** السريع. **شناخيب:** جمع شنخوب، وهو أعلى الجبل. **العِقاب:** جمع عقبة، وهي المرقى الصعب من الجبال. **الخمص:** الجوع.

يَشُــقُّ عَلَــيَّ أَن يَلقَــينَ ضَــيماً وَيَعجِــزُ عَــن تَخَلُّصِــهِنَّ مــالي[1]*

تمثّل الأبيات صورة لما في نفس الصعلوك (**السّليك**) من أنفة وإباء، إذ يُخبرنا أنّ مُعاتبته قد قاطعته لتصل رجُلًا مُترفًا جعله عيشه الهنيء يُطيلُ لممه، لكنه يجيبها، ويؤكّد، أنّ أفعاله تزيد وتُفضّلُ على النظيف من الرجال، المترف الهنيء، كما ينهاها أن تتصل بالصعلوك الخامل كثير النوم، الذي ينتظر من يساعده ويُعيله، بل عليها أن تصل الصعلوك النشيط الذي يقطع رؤوس الرجال بسيفه، فهو مقدام على المخاطر لا يهاب الموت. ثم يضعنا **السليك** في صورة من صور المجتمع الجاهلي، وهي صورة العبيد؛ إذ ينقل لنا صورة الإماء وهنّ بين الرّجال (الرّحال في رواية أخرى) والمهانة التي يتعرّضن لها، فيصعب عليه أن يُظلمن ويلقين ضيمًا، وبخاصة أنه فقير يعجز عن تحريرهن.

3-5-الاعتزاز بالنفس

إنّ تمرّد الصعلوك على القبيلة جعله لا يُفكّر بمنطق الجماعة، وإن كان في انتمائه إلى مجتمع الصعاليك انتماءٌ لجماعة مذهبية، فالصعلكة لم تُلغ فرديته، بل جعلت هذه الفردية في خدمة المذهب، لذا نرى كلّ صعلوك يعتدّ بشخصيته؛ يقول يوسف خليف: «**وأساس حركة الصعاليك اعتداد بالشخصية الفردية؛ بل مبالغة في هذا الاعتداد، واعتزاز بمقدرة الفرد على الوقوف في وجه المجموع، بل تطرّف في هذا الاعتزاز، وتحلّل من الشخصية القبلية، بل إمعان في هذا التحلّل يصل إلى درجة التّحدّي والتمرّد والثورة.**»[2]؛ أي إنّ الصعلوك فردٌ مُعتدٌّ بذاته، مُعتزٌّ بها، يفاخرُ بها غيره، فهو مستقلٌّ بذاته، منسلخٌ من ذلك المجتمع الذي رفضه ولفظه، فهو يبالغ في ردّة فعله ثورةً وتمرّدًا على القبيلة.

---

[1] ديوان الشنفرى، ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1993م، ص97.

*__صارمتني:__ قاطعتني. **اللمم:** جمعة اللمة وهي الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن. **أربي:** أزبد. **الوضي:** الوضيء النظيف الحسن. **فلا تصلي:** فلا تبادلي الحب وتصلي أمرك. **نؤوم:** كثير النوم. **العيال:** جمع عيّل وهو من ينفق عليه ويُعال. **الضروب:** كثير الضرب. **هامات الرجال:** رؤوسهم. **الخالة:** هنا كل أمةٍ سوداء لأنّ أمه سوداء. **الضّيم:** الظلم والإذلال.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص187.

والمتصفحُ شعرَ الصعاليك يجدهُ يغص بهذا، ومن أمثلة ذلك قول **السّليك** (من الطويل):

وَضــارَبتُ عَنــهُ القَــومَ حَتّــى كَأَنَّمــا يُصَـــعِّدُ فـــي آثـــارِهِم وَيَصـــوبُ
وَقُلــتُ لَــهُ: خُــذ هَجمَــةً جَبرِيَّــةً وَأَهــلاً، وَلا يَبعُــد عَلَيـكَ شَـروبُ[1]*

يقصّ **السليك**، ها هنا، خبر سطوه على الإبل مع صاحبه، ويقسّم المهمّة بينهما، إذ يتكفّل **السليك** بمفرده بمقارعة القوم، بينما يأخذ صاحبه قطيع الإبل ويستاقها، فأيّ شجاعة هذه **للسليك**؟ ! إن لم يكن هذا اعتدادًا بالنفس، فالرجل يفتخر بلقاء "قوم" يفوقونه عددًا وعُدّة، وبالرغم من هذا فإنه يواجههم، بل ويهزمهم ويغنمُ وصاحبَهُ قطيع الإبل.

وقال **عروة** (من الطويل):

أَيــا راكِبًــا !! إِمّــا عَرَضــتَ، فَــبَلِّغَن بَنـــي ناشِـــبٍ عَنّـــي، وَمَـــن يَتَنَشَّـــبُ
أَكُلُّكُـــــمُ مُختـــــارُ دارٍ يَحُلُّهـــــا، وَتـــارِكُ هُـــدمٍ لَـــيسَ عَنهـــا مُـــذَنَّبُ
وَأَبلِــغ بَنــي عَــوذِ بــنِ زَيــدٍ رِســالَةً، بِآيَـــةِ مـــا إِن يَقصِـــبونِيَ يَكــــذِبوا
فَــإِن شِــئتُمُ عَنّــي نَهَــيكُم سَــفيهَكُم، وَقــالَ لَــهُ ذو حِلمُكُــم: أَيــنَ تَــذهَبُ؟
وَإِن شِــئتُمُ حــارَبتُموني إِلــى مَــدىً، فَيَجهَــدُكُم شَــأوُ الكِظــاظِ المُغَــرَّبُ
فَيَلحَــقُ بِــالخَيراتِ مَــن كــانَ أَهلَهــا، وَتَعلَـمُ عَـبسٌ رَأسُ مَـن يَتَصَـوَّب[2]**

يُخاطب **عروةُ بني ناشب**، ومن ينتسب إليهم، ويُعلمهم بأنهم تركوُا دماءً مهدورةً لا يتحملونها، كما يُخاطب **بني عوذٍ** الذين شتموه، ويجعلهم أمام خيارين: أن ينهوا من سبّه، أو أن يُحاربوه، وسيجدهم **عروة** لا محالة، فهو ذو قلب يملأه الهمّ والتعب، بالإضافة إلى أنه بعيدٌ، ولا يستطيعون، مهما فعلوا، النيلَ منه، والنتيجة أنه سيلحق بالشرف؛ لأنه أهل له، ويصيب أعداءَهُ الخزي والعار، وهذا اعتزاز ومفاخرة من **ابن الورد**.

---

(1) السليك بن السلكة، أخباره وأشعاره، ص46.

* الهجمة: ما زاد على الأربعين من الإبل، وما بين السبعين إلى المئة. شروب: ما يُشرب.

(2) ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص45.

** **يتنشّبُ**: ينتسبُ إلى بني ناشب، وهم قبيلة من عبس. **الهُدْم**: جمع هَدم (بفتح الهاء) ومعناها الدماء المهدورة، وقد يقصد بها الشيخ الكبير. **يقصبوني**: يشتموني. **الكظاظ**: ما يملأ القلب من الهم والتعب والشدة. **المغرّب**: البعيد. **بالخيرات**: بذوي الشرف. **يتصوّب**: ينحدر.

كما نجد **تأبط شرا** يعتز في قافيته المفضلية؛ يقول (من البسيط):

إنّـي زَعـيمٌ، لَـئِن لَـم تَترُكـي عَـذَلي، أَن يَسـأَلَ الحَـيَّ عَنّـي أَهـلَ آفـاقِ
أَن يَسـأَلَ القَـومُ عَنّـي أَهـلَ مَعرِفَـةٍ فَـلا يُخَبِّـرُهُم عَـن "ثابِـتٍ" لاقِ
سَـدِّد خِلالَـكَ مِـن مـالٍ تُجَمِّعُـهُ حَتّـى تُلاقـي الَّـذي كُـلُّ اِمـرِئٍ لاقـي
لَتَقـرَعَنَّ عَلَـيَّ السِـنَّ مِـن نَـدَمٍ إِذا تَـذَكَّرتَ يَومـاً بَعـضَ أَخلاقِـي[1]*

يُخاطب **تأبط شرا** عاذلته، ويُعلمها بأنه كفيل بتركها والذهاب في سفر طويل، وسيسأل القوم عن وجهته، لكنهم لن يعرفوا إليه سبيلا، ثمّ يُقدّم نصيحة غاليةً؛ وهي أنّه على أصحاب المال ألّا يدّخروه ويبخلوا به، بل عليهم إنفاقه للقضاء على الفقر والحاجة حتى يلحقهم الموت، لينتقل بعدها إلى قمّة الاعتزاز بنفسه، وهي أنّ من يتذكر أخلاقه الرفيعة سيقرع أسنانه ندمًا وحسرةً لأنّه لم يقدّر ثابتًا حقّ قدره.

بناءً على ما سبق، يمكننا القول إنّ الصعاليك لا يقلّون فخرًا واعتزازًا بأنفسهم عن بقية العرب؛ فهم ذوو أنفة وشجاعة وإباء، يخاطرون بأنفسهم، ويلاقون الموت في سبيل الحصول على الغنائم وتقسيمها على الفقراء لسدّ ثغرات الفقر، فهم شجعان كُرماء.

3-6-الفردانية

يتكوّن المجتمع الجاهلي من قبائل، وكلّ قبيلة تربطُ بين أفرادها رابطة الدّم والنّسب، كما كانت القبائل تفاخر بهذَا، وتنافح عن بعضها إذا ألمّت بها ملمّة من الملمّات، فتتّخذ رابطة "**العصبية القبلية**" شعارًا لها، لكن الصعاليك، وبخاصة الخلعاء منهم، انسلخوا من هذه الرابطة، واتخذوا لهم الفردانية بديلًا عن العصبية القبلية، وكانت هذه الفردانية مشتركة بينهم، تجمع بين أهدافهم وأساليبهم في تحقيق هذه الأهداف، وإن لم يكن هناك إقرار أو تصريح بهذا.

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص142، 144.

* **زعيم:** ضامن وكافل. **أهل آفاق:** كناية عن السفر الطويل. **الخلال:** جمع خُلّة وهي الفقر والعوز. **لتقرعنّ عليّ السّن:** أي لتصُكّنّهَا ندمًا وحسرةً.

وحين نقرأ شعر الصعاليك نجدُ كثيرًا من الأشعار المتوافقة في موضوعاتها، ما يعني الاتفاق الفكري والرؤيوي بين الصعاليك، ومن ذلك قول **تأبط شرا** في وصف الصعلوك (من الطويل):

يَظَــــلُّ بِمَومــــاةٍ، وَيُمســــي بِغَيرِهــــا جَحيشًــا، وَيَعـروري ظُهـورَ المَهالِـكِ

...

يَـرى الوَحشَــةَ الأُنــسَ الأَنــيسَ، وَيَهتَـدي بِحَيـثُ اِهتَـدَت أُمُّ النُجـومِ الشَـوابِكِ[1]*

هذه حال الصعاليك، اتخذوا من وحدتهم أنيسًا، ومن مخاطراتهم عادةً، ومن وحشتهم أنسًا واطمئنانًا، وقد يكون هذا الاطمئنان مع الضواري ووحوش الفلاة، فقساوة الحياة مشتركة بينهم[2].

ومن ذلك أيضا حديثهم عن المعاناة والفقر؛ قال **عروة** (من الطويل):

دَعينــي أُطَـوِّف فــي الـبِلادِ، لَعَلَّنــي أُفيـدُ غِنًـى، فيـهِ لِـذي الحَـقِّ مُحمِـلُ

أَلَـــيسَ عَظيمـــاً أَن تُلِـــمَّ مُلِمَّـــةٌ، وَلَـيسَ عَلَينـا، فـي الحُقـوقِ، مُعَـوَّلُ

فَـإِن نَحـنُ لَـم نَملِـك دِفاعًـا بِحـادِثٍ، تُلِـمُّ بِـهِ الأَيّـامُ، فَـالمَوتُ أَحمَـلُ[3]**

فعروة ها هنا يسعى نحو الغنى، بغية العيش الكريم، وقصد تلبية حاجة من يقصده، وبالتالي يُحصلّ مكانة اجتماعية لائقة، تُغنيه ذُل السؤال، وتجعله في مقدمة القوم.

ومن مظاهر التوافق الفكري، أن يرثي الصعلوك صعلوكًا آخر، كتأبط شرا في رائيته التي رثى بها **الشنفرى**، ومطلعها (من الطويل):

عَلـى "الشَـنفَرى" سـاري الغَمـامِ، فَـرائِحٌ غَزيـرُ الكُلـى، وَصَـيِّبُ المـاءِ بـاكِرُ[4]

---

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص152، 156.

* **الموماة:** المفازة. **الجحيش:** المنفرد. **يعروري:** يركب. **أمّ النجوم:** الشمس، وقيل: المجرّة. **الشّوابك:** المشتبكة.

(2) ينظر، سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، الفجالة (مصر)، ط2، (د.ت)، ص317.

(3) ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص97.

** **أفيدُ غنى:** أحصل على المال أو الغنائم. **الحق:** الحزم. **المحمل:** الجهد. **ملمة:** شدّة.

(4) ينظر، ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص78، 85.

وقال أيضًا (من المديد):

إنّ بِالشِـــعبِ الَّـــذي دونَ سَـــلعٍ لَقَتـــيلاً دَمُـــهُ مـــا يُطَـــلُّ
خَلَّـــفَ العِـــبءَ عَلَـــيَّ، وَوَلّـــى، أَنـــا بِالعِـــبءِ لَـــهُ مُســـتَقِلُّ[1]*

وقال **صخر الغيّ** في رثاء أخيه أبي عمرو (من الطويل):

لَعَمـرُ أَبـي عَمـرٍو لَقَـد سـاقَهُ المُنـى إِلـى جَـدَثٍ يـوزى لَـهُ بِالأَهاضِـبِ
لِحَيَّـةِ جُحـرٍ فـي وِجـارٍ مُقيمَـةٍ تَنَمّـى بِهـا سَـوقُ المَنـا وَالجَوالِـبِ
أَخـي لا أَخـا لـي بَعـدَهُ سَـبَقَت بِـهِ مُنَيَّتُـهُ جَمـعَ الرُقـى وَالطَبائِـبِ[2]**

لا يجدُ الصعاليك من يرثيهم على عادة شعراء القبائل، لذا فهم يتكفلون بهذا، يرثي الصعلوك صاحبه؛ فيذكر مناقبه ومغامراته معه، ويصف حزنه عليه، وألمه لفراقه، وهذا ما يجعلنا نذهب إلى أنّ تضامن الصعاليك يؤسس لمذهبية الطريد في مواجهة السادة.

وفي الرثاء أيضًا، نجدّ **السليك بن السلكة** قد حاز قصب السّبق في رثاء الحيوان، إذ كان أوّل من رثى حيوانًا، يقول في فرسه "**النّحّام**" (من الوافر):

كَـــأَنَّ قَـــوائِمَ النَحـــامِ لَمّـــا تَحَمَّـــلَ صُـــحبَتي أُصُـــلاً مَحـــارُ
عَلـــى قَرمـــاءَ عالِيَـــةٌ شَـــواهُ كَـــأَنَّ بَيـــاضَ غُرَّتِـــهِ خِمَـــارُ
وَمـــا يُـــدريكَ مـــا فَقـــري إِلَيـــهِ إِذا مَـــا القَـــومُ وَلَّـــوا أَو أَغـــاروا

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، صص247، 248.

* اختلفت المصادر في نسبة القصيدة، فمنها من نسبها إلى **تأبط شرًا**، ومنهم من نسبها إلى **الشنفرى**، كما نُسبت أيضًا إلى **خُفاف بن نضلة** ابن أخت تأبط شرا، وهو ما ذهب إليه **أبو فهر محمود محمد شاكر**. للاستزادة ينظر: محمود محمد شاكر، نمط صعب، ونمط مخيف، ص ص 46، 62.

[2] حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 2007م، ج2، ص61.

** **المنى:** الموت. **يوزى له:** يُشخص له ويُرفع. **الأهاضب:** جمع هضبة، وهي رؤوس الجبال. **الوجار:** جُحر الحية والضبع. **تنمّى:** ارتفع من مكانه إلى آخر. **سوق المنا:** القَدَر. **الجوالب:** ما يجلبُ الدهر من آفات وشدائد. **الطبائب:** جمع طبيبة، ولعلّ المقصود الكاهنة التي ترقي المريض. **والطبيبة:** القطعة المستطيلة من القماش أيضا.

وَيُحضِـرُ فَـوقَ جُهـدِ الحُضـرِ نَصّـاً يَصـــيدُكَ قـــافِلاً وَالمُـــخُّ رارُ[1]*

يرثي **السّليك** فرسه "**النّحّام**" فيصفه لنا مُتحسّرًا ومتألّمًا لفراقه، وكأننا **بالسليك** يضع نفسه موضع فرسه، فيرجو أن يرثيه شخص ويفتقده كما افتقد **السّليكُ النّحامَ**.

ويتميّز شعر الصعاليك بذكر "المَراقِب"، ونذكر من ذلك قول **تأبط شرا** (من الطويل):

وَمَرقَبَـــةٍ شَـــمّاءَ أَقعَيـــتَ فَوقَهـــا لِيَغـنَمَ غـــازٍ، أَو لِيُـدرِكَ ثـــائرُ[2]**

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

وَمَرقَبَـــةٍ عَنقـــاءَ يَقصُـــرُ دونَهـــا أَخـــو الضِـــروَةِ الرِجـــلُ الحَفِـــيُّ المُخَفَّـــفُ[3]***

فالصعلوك بتصويره المراب يعوّض ما افتقده في قبيلته؛ الحماية والدفء والانتماء، والإقعاء فوق المرقبة للنظر من علٍ يُترجم نظرة الصعاليك إلى الحياة من زوايا متعددة، واندماجهم في الطبيعة الحية.

ونجد عند الصعاليك مظهرًا آخر من مظاهر ثقافتهم؛ يتمثل في الاعتراف بالجميل، وبخاصة لمن أجارهم وآواهم، يقول **قيس بن الحدادية** (من الطويل):

جَـزى اللَـهُ خَيـرًا عَـن خَليـعٍ مُطَـرَّدٍ رِجـالاً حَمَـوه آلَ عَمـرِو بـنِ خالِـدِ
فَلَـيسَ كَمَـن يَغـزو الصَـديقَ بِنوكِـهِ وَهِمَّتُـه فـي الغَـزوِ كَسـبُ المُـزاوِدِ

...

---

[1] السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، ص ص52، 53.

* **تحمّل: تولّى. أصلًا:** جمع أصيل، وهو العشي. **محار:** جمع محارة وهي الصدفة. **قرماء:** موضع في اليمامة. **شواه:** قوائمه. **يحضر:** يرتفع في عدوه. **النص:** الجد. **يصيدك:** يصيدُ لك. **قافلًا:** عائدًا. رارُ: ذائبٌ من الهُزال رقيق.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص82.

** **المرقبة:** القمّة من الجبل يعتليها الفاتك ليرقب أحوال من قصد وينبّه أصحابه إلى أحوالهم من غفلة عنهم أو دراية بهم. **أقعيتَ:** من الإقعاء، وهو تَسانُد الرجلِ إلى ظهره. **الثائرُ:** طالبُ الثأر.

[3] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص53.

*** **العنقاء:** الطويلة. **يقصر دونها:** عجز عن بلوغها. **أخو الضروة:** الصيّاد معه كلاب ضراها للصيد. **الحفي:** غير المنتعل.

أُولَئِـــكَ إِخـــواني وَجُـــلُّ عَشـــيرَتي وَثَـروَتُهُم وَالنَصـرُ غَيـرُ المُحـارِدِ[1]*

يمدح **قيسُ بن الحدادية** آل **عمرو بن خالد** الذين أجاروه بعد خلعه، فصار منتميًا إليهم، وبالإضافة إلى مدحهم وإعلان فضلهم فهو يقصد إغاضة قومه الذين خلعوه، كردّ فعلٍ على طردهم وخلعهم إياه، فهو إعلان صريح بأنهم خسروا رجلًا شُجاعًا وفارسًا، في الوقت الذي تبتهج به القبائل بهكذا رجل[2]، لذا فإنّ من يعرف مكانته ومقامه يستحقّ الثناء والمدح، ويفخر بهم ويتّخذهم أهلا وعشيرة.

إنّ حياة الفقر والتّشرّد التي عاشها الصعاليك جعلت بينهم وشائج وروابط غير روابط القبيلة، فما يجمعهم أوسع وأكبر من رابطة الدم؛ يربط بينهم الشقاء والمعاناة، والغزو، والمراقب، والصحراء الواسعة، كما تربطهم الغاية والهدف، وهو الغنى ونشر العدالة في المجتمع؛ من خلال تقسيم الغنائم بينهم وبين الفقراء، مهما اختلفت وسائلهم وأساليبهم، وبالتالي فالصعاليك يتعالون عن قيم القبيلة وصولًا إلى قيم الإنسان.

وبعد هذا، فإنّه يجبُ على المتأثرين بنظرة القبيلة، الذين يذمّون الناس بإطلاق لقب "**صعلوك**" عليهم، أن يكفّوا عن هذا، وأن يُعيدوا النظر في مواضع استعمال هذا اللقب، فالصعلوك ثائر على مجتمعه، يروم تصحيح أوضاعه، واتخاذ معايير جديدة وعادلة في نظرة المجتمع إليه، كما أنّه صاحب قيم وأخلاق راقية؛ تفيض بالكرم والإنسانية، وتنشد العدل، وما نظرة القبيلة الدونية إلا نظرة الحاكم المستبد، الذي وضع قانونًا يُناسبه لتابعيه، فإذا ما شذّ فردٌ عنها ألصقت به ورمته بكل صفات الدناءة والخروج على القانون، وتُلصِق به ألقابًا تُعيّره بها، بُغية النيل منه والانتقاص من قدره، وقصد إخافته وثنيه عن مبتغاه، وحتى لا ينضمّ إليه أفراد آخرون، فإذا ما انضمّ إليه الناس وتوّسعت فئته، فإنّ هذا يُهدّد القبيلة ووجودها ومصالح حُكامها والمستأثرين بمالها وسُلطتها.

---

[1] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلّون، جامعة بغداد (العراق)، (د.ط)، 1990م،ص ص 34-35.

* **النوك:** بالفتح والضم؛ الحمقُ. **المزاود:** جمع مِزود، وهو وعاء الزاد. **الثروة:** كثرة العدد بين الناس. **المحارد:** المنقطع.

[2] ينظر، هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة على وفق الأنساق الثقافية، منشورات ضفاف، بيروت (لبنان)، دار الفكر للنشر والتوزيع، البصرة (العراق)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2013م، ص136.

الفصل الأول

الأنساق الوجودية

في شعر الصعاليك

خطة الفصل الأول

توطئة

أ-مفهوم النسق

ب-النسق الثقافي

1-نسق الحياة

1-1-تيمة الطبيعة

1-1-1-تيمة الماء

1-1-2-نسق البديل الموضوعي (تيمة الحيوان)

1-1-2-1-رمزية الخيل

1-1-2-2-رمزية الذئب

1-1-2-3-رمزية الطير

1-1-3-النسق الأسطوري

1-1-3-1-رمز الغول

1-1-3-2-رمز الجن

1-2-النسق الاجتماعي

1-2-1-بنية الفقر

1-2-2-بنية الغنى

1-2-3-بنية القرابة

1-2-3-1-أعمدة القرابة الصلبة (الذكر)

1-2-3-2-أعمدة القرابة الناعمة (الأنثى)

2-نسق الموت

2-1- العلاقة مع الآخر

2-1-1-القبيلة

2-1-2-الخصم المقاتل

2-2-تيمة الحرب

2-2-1-تيمة الفرار

2-2-2-تيمة عدّة الحرب

2-2-2-1- السيف

2-2-2-2- الرمح

2-2-2-3- القوس والسهم

توطئة

يمثّل النسق الثقافي أُسًّا مركزيًا في النقد الثقافي، إذ يُبرز ما يحويه النص/الخطاب من أنساق فيه، وشعر الصعاليك –كغيره من الخطابات– يحوي أنساقًا ثقافية عديدة، والنسقُ بنيةٌ كُليّة تتضمن بنيات/ تيمات فرعية أو صُغرى تُشكّلُ ملمحه العام. لذا، نحاول في هذا الفصل الوقوف على أهم الأنساق الثقافية الوجودية في شعر الصعاليك، فنتناول بالدراسة والتحليل أنساق الحياة وأنساق الموت فيه، وما تتضمنه من بنيات/ تيمات فرعية.

أ–مفهوم النسق

قبل الخوض في غمار الدراسة والوقوف على أهم الأنساق الثقافية التي يزخر بها شعر الصعاليك؛ لا بدّ أوّلا من التطرق إلى مفهوم "**النسق**".

بالعودة إلى كلمة "**نسق**" في المعاجم العربية، نجد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** يُعرّفُه بقوله: «**نَسَق: النَّسَقُ مِن كُلّ شيءٍ: ما كانَ على نظامٍ واحدٍ عامٍّ في الأشياءِ، وَنَسَقْتُهُ نَسَقًا وَنَسَّقْتُهُ تَنْسيقًا، وتقولُ: اِتَّسَقَتْ هذه الأشياءُ بعضُها إلى بعضٍ أيْ تَنَسَّقَتْ**»[1]. ويقول **الجوهري**: «**ثَغْرٌ نَسَقٌ، إذا كانت الأسنان مستويةً. وَخَرْزٌ نَسَقٌ: مُنَظَّمٌ... والنَّسَقُ: ما جاء من الكلامِ على نظامٍ واحدٍ. والنَّسْقُ بالتَّسْكينِ: مصدر نَسَقْتُ الكلامَ، إذا نظمت بعضه على بعضٍ. والتَّنْسيقُ: التَّنْظيمُ**»[2].

ويذهب **ابن منظور** إلى أنّ «**نسق: النّسَقُ من كُلّ شيءٍ: ما كان على طريقة نظام واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسَقْتُهُ تنسيقًا، ويخفف. ابن سيده: نَسَقَ الشيءَ يَنسُقُهُ نَسْقًا وَنَسّقَه نظّمهُ على السواء...يُقال: ناسقَ بين الأمرين أي تابعَ بينهما. وثَغر نَسَق إذا كانت الأسنان مستوية. ونَسَقُ الأسنان: انتظامها في النّبتة وحسن تركيبها. والنّسقُ: العطف على الأوّل، والفعل كالفعل. وثغر نَسَق وَخَرَز نَسَق أي منتظم... والتّنسيقُ: التنظيم. والنَّسَق: ما جاء من الكلام على نظام واحد... ويُقال:**

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين –مُرتبًا على حروف المعجم، ج4، ص218.

[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح –تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور قطّار، ج4، ص1558.

رأيت نَسَقًا من الرّجال والمتاع أي بعضُها إلى جنب بعض... والنّسْقُ بالتسكين: مصدر نَسَقتُ الكلام إذا عطفتُ بعضه على بعض...» [1].

نستشف من تعريفات المعاجم العربية السابقة أنّ "**النسق**" يعني الترتيب والتنظيم، والتتابع، فنسق الأسنان يعني ترتيبَها واستواءَها وحُسنَ تركيبِها، ونسق الكلام أي انتظامه على نظام واحد وعطف بعضه على بعض.

وإذا ما بحثنا عن كلمة "نسق" عند اليونان، فإنّنا نجد أنّ: « **النسق (système)، في اليونانية القديمة (sustēma)، التنظيم والتركيب والمجموع. ومن ثمّ، تحيل هذه الكلمة على النظام والكلية والتنسيق والتنظيم، وربط العلاقات التفاعلية بين البنيات والعناصر والأجزاء...**»[2]. أي أنّ النّسق نظامٌ كليٌّ وجامعٌ يربطُ العناصرَ والأجزاءَ بترتيبٍ مُحكَمٍ ومُنظّمٍ.

ويرى **جميل حمداوي** أنّ النسق **(système)**، في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها، وفق مجموعة من المبادئ والقواعد والمعايير. ويتحدد النسق أيضا بواسطة مكوناته وعناصره وبنياته التي يتضمنها؛ بالإضافة إلى مختلف التفاعلات التي تقيمها العناصر فيما بينها؛ وعبر الحدود الفاصلة بين العنصر المنتمي إلى النسق الداخلي، أو ذاك المنتمي إلى محيطه الخارجي؛ مع إظهار آليات التفاعل المُتحكّم في ارتباط النسق بمحيطه السياقي المجتمعي والثقافي[3]. أي أنّ النسق يدل على أنه جملة من العلامات والبنيات اللسانية والأدبية والثقافية، التي تتفاعل فيما بينها وفق نظام معين.

وإذا ما ذهبنا إلى **موسوعة لالاند الفلسفية**، فإننا نجد كلمة "**نسق**" **(Système)** مرادفة لِـ: نظام/ منظومة، سرد، جهاز، وتُعرّفه الموسوعة بأنّه «**جملة عناصر، مادية أو**

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، (د.ط)، (د.ت)، مج10، ص ص352-353.

[2] جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، شبكة الألوكة الإلكترونية، ط1، 2006، ص8.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص8.

غير مادية، يتعلّق، بالتبادل، بعضها ببعض، بحيث تشكّل كُلًا عضويا... »[(1)]. أي أنّ النسق يتكون من عناصر، مادية أو غير مادية، يتصل بعضها ببعض ليشكّل كُلّا واحدًا مترابطًا ومتضامًّا. ويواصل **لالاند**[*] (**Lalande**) «**ليس النسق شيئًا آخر سوى ترتيب مختلف أجزاء فن أو علم في راتوب**[**] **تتآزر فيه كلها تآزرًا متبادلًا، وحيث تُفسَّر الأجزاءُ الأخيرة بالأجزاء الأولى**»[(2)]. أي أنّ النسق ترتيب الأشياء والأجزاء والعناصر وفق نظام وترتيب بعين، ضمن علاقة ما للوصول إلى هدف واحد.

وإذا ما رُمنا البحث عن "النسق" اصطلاحا فإننا نجد أنّ أوّل ظهور له في العصر الحديث كان مع عالم اللسانيات السويسري **فرديناند دي سوسير** (**Ferdinandde**[***] **Saussure**) (1857-1913م)حين عرّف اللسان -في محاضراته التي جمع طلابه- بقوله: «**فاللسان عبارة عن نسق من الدلالات التي تعبر عن المعاني، ومن ثم يمكن مقارنته بالكتابة وبالأحرف الأبجدية عند المصابين بالصمم والخرص، وكذلك مقارنته بالطقوس الرمزية، وبأشكال الآداب وسلوكها، وبالإشارات المتعارفة عند الجنود، وغير ذلك. إلا أنّ اللسان هو أعظم أهمية من بين جميع هذه الأنساق كلها**»[(3)]. وفي ترجمة

---

(1) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرًا: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت-باريس، (لبنان-فرنسا)، ط2، 2001م، ج1، ص1417.

[*] أندريه لالاند (**André Lalande**) فيلسوف فرنسي (1876-1963) ولد في ديجون، ودرس في عدة مدارس ريفية، إلى أن انتقل إلى مدرسة هنري الرابع، فدار المعلمين العليا ما بين 1883 و 1888. نال شهادة في الفلسفة عام 1888، وشهادة الدكتوراه في الآداب عام 1899. وفي سنة 1909 صار أستاذا مساعدا في الفلسفة بالسوربون، وأستاذ كرسي عام 1918، ثم عمل أستاذا بالجامعة المصرية. تخرج على يديه الفوج الأول من طلاب قسم الفلسفة. من مؤلفاته: المعجم التِّقنيّ والنّقديّ للفلسفة(1926). نظريَّات في الاستقراء والتَّجريب (1929). الأَوهام التَّطوُّريَّة (1930). العقل والمعايير (1948).

[**] راتوب: بالإنجليزية (Order)، أي الترتيب.

(2) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص1417.

[***] فيرديناند دي سوسير (**Ferdinand de Saussure**)(1857-1913) ، مؤسس علم اللسانيات في العصر الحديث، وُلد في جنيف بسويسرا سنة 1957م، درس في جامعات جنيف ولايبزك وبرلين، وحصل على درجة الدكتوراه من لايبزك سنة1880م. عمل درس مُدرّسا في مدرسة الدراسات العليا في باريس بين سنتي 1881م و1891م، ثم أستاذًا للغات الهند-أروبية والسانسكريتية من 1891م إلى 1913م. أصبح أستاذًا لعلم اللغة العام سنة 1907م في جامعة جنيف، وبقي في منصبه حتى توفي سنة 1913م.

(3) فردناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، مراجعة: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء (المغرب)، (د.ط)، 1987م، ص25.

أخرى: «**فاللغة نظام من الإشارات System of signs التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بالكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعًا**»[1]. أي أنّ النسق، وفق هذا التصوّر، نظامُ علامات ترتبط كل علامة فيها بعلامةٍ أخرى، وتأخذ هذه الارتباطات أو العلاقات مظهرين:

-**علاقات تركيبية:** تختزل ضمنها العلامات بموجب تسلسلها داخل خطية الخطاب، ففي قولنا مثلا "**علم أحمر**"، نجد أن العلامة "**أحمر**" معرفة عبر علاقاتها بالعلامة "**علم**" التي ترتبط بها دلاليا.

2-علاقات ترابطية: تشرف على وصل العلامة بالعلامات التي تشترك معها في الخصوصيات نفسها. ففي المثال السابق، يمكن للكلمة "**أحمر**" أن ترتبط بالكلمات "**أزرق،**" و"**أخضر**" بوصفها كلمات تتضمن معنى **اللون**. فتقود فرضية إدراك اللسان بوصفه نسقا، إلى نتائج منهجية مهمة، حيث يمكن للدراسة اللسانية أن تتجاوز حدود موضوع دراسة العلامات "في ذاتها" إلى دراسة العلاقات القائمة بين العلامات[2].

ويُعرّفه **نيكلاس لومان (Niklas Luhmann)*** (1927-1998) بأنّه «**علاقة بين البنية والصيرورة، وحدة تقود نفسها بنيويا في صيروراتها الخاصة**»[3]. أي أنّه بنية أو عنصر تسير في صيرورة خاصة بعلاقة ما مع غيرها من البنيات.

---

[1] فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد (العراق)، (د.ط)، 1985م، ص34.

[2] ينظر، ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس (الجزائر)، 2007م، ص ص 106-107.

* نيكلاس لومان (بالألمانية: Niklas Luhmann) ولد بتاريخ 8 ديسمبر 1927 في لونيبورغ، توفي يوم 6 نوفمبر 1998 في Oerlinghausen حول بيليفيلد. عالم اجتماع ألماني ومتخصص في إدارة النظم الاجتماعية. وهو مؤسس لنظرية النظم الاجتماعية. وتستند هذه النظرية على اتباع نهج متعدد التخصصات الاجتماعية التي تؤدي إلى إنتاج وتحاليل متعددة: لغوية وفلسفية وأدبية، وتدريس وقانون واقتصاد وبيولوجيا، ولاهوت. وتخصص في نهاية حياته لتحليل ظواهر وسائل الاعلام.

[3] نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، مراجعة وتدقيق: رامز ملا، منشورات الجمل، كولونيا-بغداد، (ألمانيا-العراق)، (د.ط)، 2010م، ص97.

أما عند العرب، فيعرّفه **عز الدين المناصرة*** (1946-2021م) بأنّه: «**النظام التقني الذي يميز البنيات المتشابكة في النص وهو متعدد ومتنوع ومتكرر ودال على مستويات البنية**»[1]. أي أنّ النّسق نظامٌ يُبرز البنيات المرتبطة في النص، وهو ليس نسقًا واحدًا، بل أنواع متعدّدة ومختلفة، والنسق يتكرّر، فليسَ واحدًا، أو يذكر مرّة واحدة، بل يتكرّر ذكره، في الكلام أو الخطاب، كما أنه يحمل دلالة على مستويات البنية المختلفة.

ولعلّ خير من تناول مفهوم "**النسق**" عند العرب: **محمد مفتاح**** (و1942م)، إذ ذهب إلى أنّه ليس للنسق مفهوم واحد متفق عليه، ومع ذلك يمكن استخلاص مفهوم مشترك يلخّصه في أنّ «**أنّ النسق مكوّن من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي**

---

* عز الدين المناصرة: وُلد في 11 أفريل 1946 في بني نعيم – تُوفي في 5 أفريل 2021 في عمّان شاعر وناقد ومفكر وأكاديمي فلسطيني. حائز على عدة جوائز كأديب وكأكاديمي .

حصل على شهادة (الليسانس) في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة القاهرة عام 1968.أكمل دراساته العليا، وحصل على (شهادة التخصص) في الأدب البلغاري الحديث، ودرجة الدكتوراه في النقد الحديث والأدب المقارن في جامعة صوفيا عام 1981. تنقل المناصرة بين عدة بلدان قبل أن تحط به الرحال في الجزائر عام 1983، حيث عمل كأستاذ للأدب في جامعة قسنطينة ثم جامعة تلمسان. انتقل في مطلع التسعينيات إلى الأردن حيث أسس قسم اللغة العربية في جامعة القدس المفتوحة (قبل أن ينتقل مقرها إلى فلسطين) وبعدها صار مديرا لكلية العلوم التربوية التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) وجامعة فيلادلفيا حيث حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) عام 2005. حصل على عدة جوائز في الأدب من ضمنها: جائزة الدولة الأردنية التقديرية في حقل الشعر عام 1995، وجائزة القدس عام 2011. من مؤلفاته النقدية: الفن التشكيلي الفلسطيني-منشورات فلسطين الثورة-بيروت -1975. السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، 1975. إشكالات قصيدة النثر، بيروت – رام الله 1998. موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين (في مجلّدين)، عمّان، 2003. نقد الشعر في القرن العشرين، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012. الكف الفلسطيني تناطح المخرز الأمريكي—الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013. النقد الثقافي المقارن- 2005- علم الشعريات 2007- جمرة النص الشعري 2007.

[1] عز الدين المناصرة، النقد الثقافي السلافي، مجلة فصول، مج3، ع99، ربيع2017م، ص113.

** محمَّد مفتاح من مواليد 1942 بالدار البيضاء في المغرب، حاصل على الدكتوراه في الأدب عام 1981. عمل كمحاضر وأستاذ جامعي، ولديه عضوية العديد من الهيئات والمنظمات.

حاز محمَّد مفتاح على عدة جوائز أهمها «جائزة المغرب الكبرى للكتاب في الآداب والفنون» عام 1987، و«جائزة المغرب الكبرى للكتاب» عام 1995، كما حاز على «جائزة سلطان بن علي العويس» عام 2004. وله مؤلَّفات عدةً، منها: «جمع وتحقيق لصنع ديوان للسان الدين بن الخطيب السلماني الأندلسي» عام 1989، و«الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية» عام 1997، و«في سيمياء الشعر القديم» عام 1982، و«التلقي والتأويل مقاربة نسقية» عام 1994، و«مفاهيم موسعة لنظرية شعرية» عام 2010.

يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كلّ عنصر وآخر»[1]. أي أنّ النّسق، وفق تصوّر مفتاح، مُكوّن من عدّة مكونات (عناصر/أجزاء) تترابط بعضها ببعض، مع تميّز كلّ عنصر بميزات خاصة عن العناصر الأخرى.

وبناءً على تعريفه، يستخلص **مفتاح** عدّة خصائص للنسق؛ تتمثل في[2]:

أ-كل شيء مكّون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.

ب-للنسق بنية داخلية ظاهرة.

ج-يملك النسق حدودًا مستقرة نوعًا ما.

د-يقبلُ المجتمع نسقًا ما لأنّه يؤدي وظيفة فيه لا يؤديه نسقٌ غيره.

وبناءً على هذه الخاصية الأخيرة يمكن أن نستنتج أنّ لكلّ نسقٍ عامٍ أنساق فرعية تتولّد منه، وهذه الأخيرة تستلزمُ صفتين اثنتين: التراتبية والاستقلالية.

نخلص مما سبق إلى أنّ التعريفات السابقة للنسق تتفق في أنّ النّسق مجموعة أجزاء أو عناصر أو بنيات مترابطة ومتشابكة تُشكّل وحدة أو بنيةً كُبرى متكاملة، تتصف بالحركية والتوافق والتواصل في روابطها الداخلية، وكلّ نسقٍ عامٍ تتفرعُ منه أنساق فرعية متميزة عن غيرها من الأنساق بميزات خاصة، لكنها، كلها، تخدم النسق العام الأول.

ب-النسق الثقافي

ارتبط النسق بالثقافة في النقد الثقافي، لذا فإنّ النسق الثقافي يجمع بين النسق ومعرفة الثقافة بمعنى السائد أو النظام الثقافي في بيئة معينة وزمان معروف، وهو ما يذهب إليه **عبدالفتاح كيليطو*** (ولد1945م) بقوله: «**نعني بالنسق الثقافي بكلّ بساطةٍ**

---

[1]محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (المغرب، لبنان)، ط1، 1996م، ص ص158-159.

[2]ينظر، المرجع نفسه، ص159.

* عبد الفتاح كيليطو: مواليد ولد بتاريخ 10 أفريل 1945م،، بمدينة الرباط المغربية. هو كاتب وروائي وناقد مغربي. كتب العديد من الكتب باللغتين العربية والفرنسية، وكتب أيضًا في مجلات مثل الدراسات الإسلامية، تابع دراسته في ثانوية مولاي يوسف، ثم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. حاصل على دكتوراه دولة من جامعة السوربون الجديدة عام 1982، حول موضوع "**السرد والأنساق الثقافية في مقامات الهمداني والحريري**". يعمل أستاذًا في كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، أكدال، منذ سنة1968م .ألقى العديد من المحاضرات، وشارك في لقاءات ثقافية في المغرب وخارجه، وعضو في اتحاد كتاب المغرب. قام بالتدريس بوصفه أستاذًا زائرًا بعدة جامعات أوروبية وأمريكية من بينها جامعة بوردو، والسوربون الجديدة، الكوليج دو فرانس، جامعة برينستون، جامعة هارفارد. شكّلت أعماله موضوع

مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيتيقية، تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلها ضمنيًا المؤلفُ وجمهوره، وهكذا يكون أفق النصوص المفردة والإنجازات الفردية هو النص الثقافي»[1]. أي أنّ النّسق الثقافي اتفاق اجتماعي ديني أخلاقي جمالي، تفرضه الوضعية الاجتماعية في لحظة ما من لحظات تطورها، فيتقبلها المؤلف/المبدع ومتلقوه، وما ينتج عن هذا المبدع هو النص الثقافي.

والنسق الثقافي عند **عبد الله الغذامي*** (ولد1946م) لا يكتسب مفهومه عبر وجوده، بل عبر وظيفته، ويرى أنّ النسق يكتسب قيمًا دلالية وسمات اصطلاحية خاصة حدّدها فيما يلي: [2]

مقالات وتعليقات صحفية، وكتب، وأبحاث جامعية، بالعربية والفرنسية. نُقِلت بعض أعماله إلى لغات من بينها الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والإيطالية. تحصل على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب عام 2023.

[1] عبد الفتاح كيليطو، المقامات: السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء (المغرب)، (د.ط)، 2001م، ص8.

*عبد الله بن محمد بن عبد الله الغذامي من مواليد عام 1946 في عنيزة .بمنطقة القصيم السعودية، أكاديمي وناقد أدبي وثقافي سعودي، حصل على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي بعنيزة عام1965م، وحصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام/1969م، ونال الدكتوراه من جامعة إكسترا عام1987م.

يشتغل أستاذًا للنقد والنظرية في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بجامعة الملك سعود بالرياض. ومنح جائزة شخصية العام الثقافية من جائزة الشيخ زايد للكتاب عام 2022م تقديراً لجهوده المتميزة في ميدان النقد الثقافي ودراسات المرأة والشعر والفكر النقدي. تميزت أعمال الغذامي بالتنوع، فهو صاحب مشروع في النقد الثقافي وآخر حول المرأة واللغة، وكان أولى كتبه دراسة عن خصائص شعر حمزة شحاتة الألسنية، تحت اسم (الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية). من مؤلفاته: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة 1985. تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة، بيروت 1987. الموقف من الحداثة، دار البلاد، جدة 1987. القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء 1994. تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء 1999. النقد الثقافي، مقدمة نظرية وقراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت 2000. نقد ثقافي أم نقد أدبي (بالاشتراك مع عبد النبي اصطيف) دار الفكر، دمشق (حوارات لقرن جديد) 2004. القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2009. الجنوسة النسقية. صدر عن المركز الثقافي العربي 2018. السردية الحرجة: العقلانية أم الشعبوية. صدر عن المركز الثقافي العربي 2019. العقل المؤمن / العقل الملحد: كيف لعقول البشر أن تؤمن أو تلحد. صدر عن العبيكان للنشر 2020. مآلات الفلسفة: من الفلسفة إلى النظرية. صدر عام 2021.

[2] ينظر، عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 2000م، ص ص70-80.

- يتحدد النسق عبر وظيفته النسقية التي لا تحدث إلا في مقام محدد ومقيد، وذلك حينما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر، بشرط أن يكون ذلك في نص واحد أو ما هو في حكم النص الواحد .ويشترط في النص أن يكون جماليا وجماهيريا، ومقياس الجمال ليس وفق الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما وفق ما تراه الرعية الثقافية جميلًا.
- أن تُقرأ النصوص من وجهة نظر النقد الثقافي، بصفتها حالة ثقافية، وعدم الاكتفاء بالدراسة الأدبية والجمالية.
- ليس النسق بوصفه دلالة مضمرة في النصوص صنيع المؤلف، لكنه مضمر في الخطاب، تصنعه الثقافة، وتستهلكه جماهير اللغة مبدعين ومتلقين.
- النسق ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، لذا فهو خفي ومضمر، وقادر على الاختفاء دوما، ويستخدم أقنعة كثيرة، منها الجمالية اللغوية والبلاغة، وجماليتها مصدر اطمئنان لمرور الأنساق تحتها.
- الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية راسخة، وهي في موقف الغالب دوما، وأمارتها اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق.

ويشير **الغذامي** إلى احترازه الاصطلاحي حول شرط وجود نسقين متعارضين في نص واحد، إذ لا يعني (النص) بمعناه الأول، وإنما المقصود هو (الخطاب)، أي نظام التعبير والإفصاح.

كما يُمكن تعريف الأنساق الثقافية إجرائيا بأنها «**البنى التحتية التي تسهم في تكون شخصية الفرد سواء أكانت دينية أم سياسية أم اجتماعية أم غير ذلك، وقد تكون تلك البُنى فطرية يكتسبها الإنسان بفطرته أو قسرية تفرض عليه من سلطة أعلى، بما يمكن أن نعدّه دافعًا يدفع الشخص إلى تبني موقف معين في المجتمع أو في ذاته**»[1]. أي أنّ النسق مجموعة من العناصر الثابتة في مخيلتنا لارتباطها بترسبات ثقافية سابقة،

[1] عادل كمون جابر الإسماعيلي، نثر الحسن البصري دراسة في ضوء النقد الثقافي، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف: نضال إبراهيم ياسين، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة (العراق)، 2020م، ص9.

وهذه الترسبات متنوعة؛ منها الديني والاجتماعي والسياسي...، وقد نمت وترسخت في اللاوعي لتؤسس هوية ثقافية في محيط ما، كما أنّ هذه الأنساق تكون فطرية، أو مكتسبة تُفرض عليه من سلطة أعلى، فتوجهه إلى تبني موقف ذاتي أو نحو مجتمعه.

1-نسق الحياة

يُعدّ نسق الحياة من الأنساق الموجودة في شتى الخطابات، وهو نسق يحوي تحته بنيات/تيمات فرعية، ونحن في دراستنا هذه، سنتطرق لأهم البنيات/التيمات منه، الموجودة في شعر الصعاليك، على غرار نسق الطبيعة وما يحويه بدوره من نسق الماء، ونسق الحيوان، والنسق الأسطوري، وكذلك الأنساق القرابية والاجتماعية في شعر هذه الفئة.

1-1-تيمة الطبيعة

لعلّ الشعراء الصعاليك من أشدّ الناس ارتباطًا بالطبيعة، وهذا لخصوصية حياتهم التي عاشوها في العصر الجاهلي، ولأنها حاضنتهم، والشاهد العيان على مغامراتهم ورحلاتهم المتعددة؛ فالمتأمّل شعَرهم يجدهُ يغصُّ بشتى ما يحيط بهم في الطبيعة من جماد وذوات أرواح، وحتى بالكائنات غير المرئية.

وسنتناول في هذا المبحث أهم التيمات/البنيات الطبيعية الواردة في شعرهم؛ من تيمة الماء، وتيمة الحيوان، والنسق الأسطوري وما يحويه من رموز لكائنات غير مرئية.

1-1-1-تيمة الماء

عاش العربي في الجاهلية في مناطق صحراوية اتصفت بالجفاف والقحط، ما ولّد في نفسه القلق في سبيل الحصول على الماء؛ هذه المادة الحيوية التي يرهن غيابها حياته، وحياة ما يعتاش منه من إبل وضأن وماعز، فالصحراء معروفة بندرة الموارد المائية، إذ نادرًا ما توجد الآبار والواحات، لذا، كان اعتماده على السماء وما تدرّه من مطر أملهُ الوحيد، وانحباس المطر يعني تحوّل كل ما يحيط به إلى واقع سمته الظمأ، ما يربطه آليا بحالة الموت التي لم يجد لها العربيُّ حلًا غير الاستسلام لمشيئة السماء وعطائها، ما أدى إلى نشوب حروب وصراعات لأجل هذه المادة الحيوية: الماء[1].

[1] ينظر، جدي فاطمة الزهراء، صور الماء في الفضاء الشعري -قراءة في صور تعامل الشاعر القديم مع الماء، مجلة التعليمية، الجزائر، ع1، 2011م، ص329.

ولأنّ الصعلوك لم يكن ذا استقرار نسبي كاستقرار قبيلته حول موارد الماء، فإنه كان يعيش حالة القلق أكثر من القبيلة، ومردّ هذا أنّ القبائل كانت تتخذ مضاربها أينما وُجد الماء، والصعلوك ممنوع اقترابُهُ من هذه القبيلة ومضاربها، إذ إنّ حصوله على الماء أصعبُ، لذا، فإنّ نسبة بقاء الصعلوك حيا ضئيلةٌ مقارنةً بالقبيلة.

وردت تيمة الماء في شعر الصعاليك في أكثر من موضع، ومثال ذلك قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

فَـلا أَتـرُكُ الإخـوانَ، مـا عُشتُ لِلـرَدى، كَمـا أَنَّـهُ لا يَتـرُكُ المـاءُ شـارِبُه
وَلا يُستَضـامُ الـدَهرَ، جـاري، وَلا أُرى كَمَـن بـاتَ تَسـري لِلصَـديقِ عَقارِبُـه
وَإِن جـارَتي أَلـوَت رِيـاحٌ بِبَيتِهـا، تَغافَلـتُ، حَتّـى يَسـتُرَ البَيـتَ جانِبُـه[1]*

تتمظهرُ تيمة الماء في هذه المقطوعة من خلال قول **عروة** "لا يترك الماءَ شاربُهُ"، وشاربه هو الظمآن في صحراء العرب القاحلة، ويستشهد **عروة** بهذا التشبيه في موضع حديثه عن تمسكه بإخوانه، وارتباطه بهم، وعدم تخلّيه عنهم للمهالك، وهو في هذا الارتباط والتعلق شبيه بتمسّك العطشان بالماء، الذي ترتهن حياته به، فتعلقه بإخوانه تعلّق بالحياة، ومتى من انفكّ هذا التعلّق والارتباط آل مصيره إلى الموت كفاقد الماء. ويقول في موضع آخر (من الوافر):

إِذا آداكَ مالُـكَ، فَامتَهِنـهُ لِجاديـهِ؛ وَإِن قَـرَعَ المَـراحُ
وَإِن أَخنـى عَلَيـكَ فَلَـم تَجِـدهُ، فَنَبـتُ الأَرضِ وَالمـاءُ القَـراحُ
فَـرُغمُ العَـيشِ إِلـفُ فِنـاءِ قَـومٍ، وَإِن آسَـوْكَ، وَالمَـوتُ الـرَواحُ[2]**

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص48.

*__الرّدى__: الهلاك. __شاربُه__: المقصود هو الظمآن. __يُستضام__: يُظلم. __ألوت به__: ذهبت به. __البيت__: (في العجز) أي صاحبة البيت. __الجانب__: الناحية، الفِناء.

[2] ديوان عروة بن الورد، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه: سعدي ضناوي، ص ص107-108.

**__آداك__: أعانك. __امتهنه__: ابتذله، لا تتشبث به. __الجادي__: طالب الجدوى وهي العطية، فالجادي هو المستعطي. __قرع__: خلا (ومنه قرع الرأسُ إذا خلا من الشعر). __المراح__: الموضع تأوي إليه الإبل في السماء وتبيت فيه. __أخنى عليك__: أي أخنى الدهر عليك: مال عليك وأهلكك. __لم تجده__: أي لم تجد المال. __القَراح__: الماء الذي لا يخالطه شيء، وهو أيضا الماءُ الذي يُشرب إثر الطعام. __الرُغم__: الإكراه والذّل. __إلف__: اعتياد. __الفناء__: سعة بجانب الدار. __آسوك__: خفّفوا من مصيبتك بكلامٍ لطيف. __الرّواح__: الراحة. يقال: ما لفلان من رواح أي من راحة.

وردت تيمة الماء في هذه الأبيات أثناء حديث عروة عن المال، فإذا ما كان المرء ذا مال فعليه أن يجود به ولا يبخل، حتى وإن هلكت إبله ونفقت، إنْ مال عليه الدهر وافتقر فعليه أن يعتاش من نبت الأرض، والماء صافي، فيحفظ حياته من الهلاك. فأن يحفظ حياته بالنبت والماء خير له من أن يعيش ذليلا ينتظر المواساة؛ فذاك هو الموت.

وإذا ما انتقلنا إلى **الشنفرى** فإنّنا نجده يقول (من الطويل):

دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ
خَرَجنا فَلَم نَعهد وَقَلَّت وَصاتُنا ثَمانِيَةٌ ما بَعَدها مُتَعَتَّبُ
سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ
نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحاً وَقَد طَوَت ثَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ
ثَلاثًا عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا عَلى العَوصِ شَعشاعً مِنَ القَومِ مِحرَبُ[1]*

يُخاطبُ **الشنفرى** عاذلته في هذه الأبيات، ويُعلمها أنّ المرء يموت مرة واحدة، ثم يسردُ خبر إحدى مغامراته وأصدقاءَهُ الصعاليك الذؤبان، وهم في توقّد نشاطهم بيض مُنيرون كالمصابيح أو الماء المُذهّب، كلّ هذا وهم جياع ظمآنون، فيمرون على رهو ماء أسفلهم، فهذه فرصة ليشربوا منه، فيستندون عليه ليخرجوا من قاع الموت ويسمون، بعد ثلاثة أيام من المسير على قبيلة **العوص**، بقيادة مُحارب خبير. فقد منحهم رهو الماء القوة التي كانوا في حاجة إليها، وبثت فيهم الحياة التي كانت ستغادرهم بسبب الجوع والعطش.

وقال **تأبط شرا** (من الطويل):

وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثَوبِ، شَكسٍ طَرِيقُهُ مَجامِعُ صَوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ
تَعَسَّفتُهُ بِاللَيلِ، لَم يَهدِني لَهُ دَليلٌ، وَلَم يُحسِن لِيَ النَعتَ خابِرُ
لَدُن مَطلَعِ الشِعرى، قَليلٍ أَنيسُهُ كَأَنَّ الطَخا في جانِبَيهِ مَعاجِرُ
بِهِ مِن نَجاءِ الدَلوِ بيضٌ أَقَرَّها جُبارٌ، لِصُمِّ الصَخرِ فيهِ قَراقِرُ

---

[1] شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبيد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي (الإمارات)، (د.ط)، 2000م، ص ص73-74.

*__أُغيّب:__ أُدفن. **ثمانية:** ثمانية أشخاص وهو عددهم. **قلّت وصاتنا:** لم نعهد. **سراحين:** ذئاب. **رهو الماء:** الماء المجتمع في المكان المنخفض. **ثمائل:** بقايا الطعام والشراب في البطن. **ظن مغيّب:** لا وجود له. **ثلاثا:** ثلاثة أيام. **العوص:** بطن من بجبلة. **شعشاع:** طويل حسن. **محرب:** صاحب الحرب المدرب عليها.

وَمَـرِّرنَ حَتّـى كُـنَّ لِلمـاءِ مُنتَهًـى وَغـادَرَهُنَّ السَـيلُ فيمـا يُغـادِرُ
بِـهِ نُطَـفٌ زُرقٌ، قَليـلٌ تُرابُهـا جَـلا المـاءُ عَـن أَرجائِهـا فَهـوَ حـائِرُ
بِـهِ سَـمَلاتٌ مِـن مِيـاهٍ قَديمَـةٍ مَوارِدُهـا مـا إِن لَهُـنَّ مَصـادِرُ[1]*

أورد **تأبط شرا** في هذه الأبيات خبر نجاته من موت محقق، فالرجل كان يسير وقت الحر في مسلك ضيق ذي جانبين، معتمرًا عمامته اتقاءً للحرارة، يسير دون هادٍ أو دليل يساعده على النجاة، فمضى الصعلوك في طريقه، ولا شيء يوحي بالحياة غير الماء المتدفّق من الصخر، فخرج **تأبط شرا** حيًّا بعزيمته كما خرج الماءُ من الصخر الصّلد، ولأنّ الماءَ ذو قوة فإنه كسر صمت الصخر بصوته (قراقر)، والحال نفسه **لتأبط شرا** الذي كسر صمت الموت الذي يترقّبه من كل جانب، بسيره ومضيّه في هذا المكان الموحش.

كما أنّ هذا الماء أصله من المطر (النجو)، والمطر من أهم موارد الماء، وقد نظر إليه العرب نظرة تقديس وإجلال وإكبار، ورأوا فيه أصل الحياة، وهاموا بتأمله ومشاهدة هطوله، فسهروا الليل وأُرّقوا، واعتقدوا بقدرته على إحياء الميت، فقدسوه وعبدوه، وآمنوا بقدرته على قهر الجدب والقحط، وبعث الخصب والأرزاق، فالمطر حياتهم وحياة أنعامهم، به يخصبون ويثرون، وتنتج ضأنهم وإبلهم، وتسمن وتتكاثر، تغمرهم النّعم والخيرات، وإذا ما حُبس المطر عنهم أصابهم القحط، وابتلوا بالمسغبة والمرض، وكثر الغزو، فانتشرت

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، ص ص94-96.

* **الشّعب:** الطريق في الجبل. **شل الثوب:** خياطته خياطة خفيفة. **شكس:** ضيّق وعر. **مجامع:** ما اجتمع من الرمل. **صوحيه:** أي طرفيه أو جانبيه. **نطافٌ مخاصر:** قليلة صغيرة. **تعسّفته:** سرت فيه بغير علم ولا هداية ولا أثر. **خابر:** الذي يُخبرُ بالشيء ويدُلُّ عليه. **مطلع الشعرى:** كناية عن الحر الشديد. **الطخا:** السحاب الرقيق. **معاجر:** جمعُ معجر، وهو ثوب تلفه المرأة على رأسها، وهو أيضا العمامة يتعممها الرجل ويردّ طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه. **نجاء:** جمع نجو، وهو السحاب الذي هراق ماءه ثم مضى، وقيل هو السحاب أو ما ينشأ. **بيض:** بقايا الماء. **الجُبار:** السيل. **قراقر:** من القرقرة وهي صوت اصطدام الماء بالصخر. **مررن:** ذهب السيل بهن بين الصخور. **منتهى:** مستقرًا. **نُطف:** جمع نطفة، وهي المويهة القليلة. **زرق:** من الصفاء. **جلا:** ذهب. **أرجاء النطفة أو البئر:** جوانبها. **حائر:** راجع من الحَوَر وهو الرجوع. **سملات:** جمع سملة، وهي بقية الماء في حوض أو غيره. **الموارد:** جمع مورد، وهو الطريق إلى النبع أو الماء.

الفتن واستبدّ الموت[1]. لذا كانوا يستمطرون، لعلّ السماء تجود عليهم بخيرها، فنجد في شعر الحرب أدعية للاستمطار، من ذلك قول **تأبط شرا** في رثاء **الشنفرى** (من الطويل):

عَلى "الشَّنفَرى" ساري الغَمامِ، فَرائِحٌ غَزيرُ الكُلى، وَصَيِّبُ الماءِ باكِرُ[2]*

يفتتح **تأبط شرا** قصيدته بالدعاء بالسقيا **للشنفرى**، وكأنه يريد أن يبثّ فيه الحياة، كما يبثّ المطر الحياة في الأرض الظمأى، ويُكثر من ذكر متعلّقات المطر (الغمام، رائح...)، بل ويبالغ في طلب هطول المطر، فهو يريده غزيرًا (غزير الكُلى، صيّبُ الماء)، لعلّ كثرة الماء إلحاح على بثّ الحياة في جسد **الشنفرى** الميّت، ويختم بيته بقوله (باكر) فهو يريده مُبكّرًا، ليكون لهذا المطر الغزير المبكّر بداية حياة جديدة **للشنفرى**.

بناءً على ما سبق، نصل إلى أنّ تيمة الماء عند الصعاليك ترتبط بالحياة، فكلّ ما تعلّق به يؤول إلى الحياة، إن كان أرضًا أو نباتًا أو حيوانًا، والصعاليك أكثر الناس فقدًا للماء، وأشدّهم حاجة إليه، لذا، فهم يعرفون قيمته أكثر من غيرهم، ولا يستغنون عنه، بل يرونه أداةً مهمةً في حياتهم تجعلهم يبقون على قيد الحياة، وتساعدهم على البقاء أحياء أقوياء في مواجهة المهالك والمخاطر، والقيام بمهامهم المتمثلة في السطو على الأغنياء، وبالتالي مساعدة الإخوان المستضعفين كما عند **ابن الورد**.

1-1-2-نسق البديل الموضوعي (تيمة الحيوان)

رمزية الحيوان في الثقافة العربية تحكم الطبيعة العلائقية بين الذات والحيوان فجعلت منها مثار تأويلات وتحليلات كثيرة مرتبطة بالإسقاطات التي قام بها المبدع/الإنسان العربي للقيم والمعتقدات والصفات على الحيوان، فالوفاء مرتبط بالكلب، والإقدام بالحصان، والصبر بالجمل، والجمال بالظباء...

وهذه القيم هي من صميم الثقافة العربية، وقد تعامل معها الشاعر الجاهلي هو الآخر بخصوصيته النفسية والاجتماعية والرؤيوية، فكيف جسد ذلك؟

---

[1] ينظر، أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، دار عمار، عُمان (الأردن)، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1987م، ص11.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، ص78.

* **ساري الغمام:** السحاب الممطر ليلا، واحدته سارية. **الرائح:** السحاب الممطر بالعشي. **الكُلى:** جوانب السحابة وأسافلها، واحدتها كُلية. **صيّبُ الماء:** مُنصبُّه ومُنهمره. **باكرُ:** من الإبكار.

1-1-2-1-رمزية الخيل*

جعلت الحياة الصحراوية الإنسان العربي في حاجة ماسّة إلى سندٍ يتكئ عليه في حياته، فيستعين بما ينقل عليه من متاعه، وما يحمله في سفره الشاق في المفاوز والبيداء، ومن ذلك الخيل، فاهتم العرب بالخيل وبجلوها في حياتهم، حتى أنهم كانوا يُهنئون بها؛ قال ابن رشيق (390-456هـ): «**وكانوا لا يُهَنّئُونَ إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج**»[1]. فالتهنئة بالخيل تعود إلى مقامها عندهم، كيف لا، والخيلُ الحيوانُ الذي خُصّ بقوة الإدراك، وَحدّة القلب، وذكاء الذهن، وصحة الميز، وعزة النفس، وكرم الطباع، وهي صفات يبعُدُ عنها كثير من البشر، فهذا للفرس فضلٌ ومزية عن غيرها من الحيوانات[2]، كما يُضاف إليها صفاتها البدنية الأخرى؛ من قوة الجسم، وشدّة التّحمّل، وسرعة الجري، والكرّ والفرّ، وبخاصة في الحرب.

وبلغ اعتزاز العرب بالخيل مبلغًا تجاوزَ حدّ رعايتها والاهتمام بها، «**وإنّما بلغ هذا الاعتزاز غايته القصوى وتمثّل بأسمى معانيه عن طريق حفظ نسلها من الاختلاط بأيّ دمٍ أجنبي مثلها مثل البشر تمامًا، فأمر اختلاط الدم كان سُبّةً وعارًا تلحق العربي**

---

*من أسماء الخيل: بالكنى: أبو شجاع، أبو مُدرك، أبو مضاء. وأما أسماؤه فهي: الصّلتان، الهُذلول، الهَبَّبر، الهيكَلُ، النَّكل، السّبتُ، الجَوادُ، الحُرّ، الكَودنُ، الكَودنيّ، الذَّنوب، البَحرُ، الطِّمْرُ، الطِّمِرُّ، الطِّمْريرُ، الطِّمْرِرُ، السِّلْغِدُ، الدُّعْبوبُ، الذِّبحُ، المَكْبونةُ، المَكبونُ، الضَّمْرُ، قيدُ الأوابدِ، الرِّمْكَةُ، البَرْزونُ، المِخَشُّ، الشّهمُ، الشِّقْصُ، السَّمَنْدُ، القَبوصُ، الحمّارَةُ، المُحَمَّرُ، المَكِّيرُ، السَّمْجُ، الشَّنْظَميُّ، القَساميُّ، المِنْعَبُ، المُسْهَمُ، الماطِحُ، المُعارُ، العَلْجَزَةُ، العِلْجَزَةُ، العَتَّارُ، الفَخُورُ، الفَيْخَرُ، السَّهْبُ، المُسْهَبُ، المُسْهِبُ، القَدوعُ، اليَعْبُوبُ، الإضْريحُ، الأَبَدُّ، المَيَلَعُ، المَليعُ، الرَّوْعاءُ، الرّاعِفُ، المُسْتَرْعَفُ، الفُسْكُلُ، الفِسْكَلُ، الفُسْكُولُ، الطِّمُّ، الطَّميمُ. ينظر: اللبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي، اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء، دراسة وتحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، دار النصر للطباعة الإسلامية، (مصر)، (د.ط)، 1997م، القاهرة ص ص91-97.

[1] ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط5، 1981، ج1، ص 65.

[2] ينظر، ابن الكلبي الغرناطي، عبد الله بن محمد بن جري، كتاب الخيل -مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، حقّقه وقدّم له: محمد العربي الخَطّابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1986م، ص ص39-40.

وعائلتَه وأبناءَه* من بعده وإلى الأبد»[1]، فَحِرْصُ العربيّ على نقاء نسله ودمه ونسبه امتد بدوره إلى خيله، فكما تعامل مع بنيه تعامل مع خيله.

وإذا عُدنا للأدب، فإنّنا نجد الأدب الجاهلي يزخر بوصف الخيل والجياد، وعني بها عناية كبيرة، ولعلّ هذا ما يميزه عن غيره من الآداب[2]، وشعر الصعاليك، كغيره من الشعر، حمل بين جنباته نسق الخيل، ودورها في مغامرات الصعاليك وحياتهم؛ يقول **يوسف خليف: «يتحدث الشعراء الصعاليك أيضا عن غزواتهم على الخيل. وليس هناك ما يمنع الصعاليك من استخدام الخيل في غزواتهم إذا وجدت، وليس في هذا ما يطعن في مقدرتهم على العَدْوِ، فهي مقدرة مُعترفٌ لهم بها. هذا إلى أنّ بعض الصعاليك لم يكونوا عدائين»**[3]. يُثبت خُليف استعانة الصعاليك بالخيل، مع معرفتنا بمقدرة أغلبهم

---

* لعل خير مثال على ذلك معركة ذي قار، وسببها أنّه كان ل "زيد بن عدي" (المقيم عند الأكاسرة) ثأر مع "النعمان بن المنذر" الذي حبس أباه وقتله، فأراد الانتقام منه بأيّ طريقة، وكان المناذرة موالين للفرس. وفي مجلس من المجالس، أخذ "زيد بن عدي" يصف لكسرى جمال بنات "النعمان" وأخواته وقريباته، وأسرف في الوصف، فتوقدت عينا "كسرى"، وطلب من "زيد بن عدي" أن يذهب للنعمان ويأتيه بابنته هند زوجًا له. ففرح زيد بهذه المهمة، التي يعلم نهايتها، لأنه يعلم أنّ النعمان سيرفض تنفيذ طلب كسرى لأنّ العرب ترفض تزويج بنتاها من غيرهم. وهو ما تمّ فعلا، وغضب كسرى على النعمان، وأرسل أحد رجاله للقبض عليه ثم سجنه في سجن مخصص له ومات النعمان بالطاعون. وهربت بنات النعمان وقريباته ولجأن إلى هانئ بن مسعود، الذي رفض تسليمهن لكسرى، فأرسل كسرى جيشًا لمحاربته والقضاء عليه، لكنّ العرب اتحدّت بجهود حنظلة السيار، و"سنان بن كعب" وزير النعمان ومستشاره. وكان شعار العرب يومها: "يا محمد، يا منصور"، وقال صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا». وقد ورد الحديث في تاريخ اليعقوبي، ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط6، 1995م، ج2، ص46.

للاستزادة عن المعركة؛ ينظر، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة–مصر، ط1، 1942، ص ص 6–34.

[1] أفراح عبد محمود الصباغ، الخيلُ رموزًا ودلالات في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير، إشراف: مؤيد محمد صالح اليوزبكي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2002م، ص52.

[2] ينظر، خلدون الكناني، الخيل والإبل في الشعر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي العربي، سورية، ع 3و4، مارس 1947م، ص121.

[3] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط3، (د.ت)، ص227.

على العدو، بل إنهم عُرفوا به، وضُربت بهم الأمثال في ذلك*، فالخيل رفيقة الصعاليك، ومُعتمَدُ حياتهم، سواء في تنقلاتهم أم في غزواتهم.

ومن الأبيات التي يظهر فيها رمز الخيل قول **الشنفرى** (من الطويل):

ولا عَيبَ في اليَحمومِ غَيرُ هُزالِهِ عَلَى أَنَّهُ يَومَ الهِياجِ سَمينُ
وكَم مِن عظيمِ الخَلقِ عبلٍ مُوثَّقٍ حواهُ وفيهِ بَعدَ ذاك جُنونُ[1]**

يُصبغُ **الشنفرى** حصانه بصفاته، فيصفه بصفاته الجسدية، ويلبسه لباس التصعلك؛ يقول **خليف**: «... **وطرافة الصورة تأتي من أنّ الشنفرى يُضفي صفات التصعلك على جواده، فهو جواد هزيل كصاحبه، جنى عليهما الفقر والجوع، ولكنه كصاحبه أيضًا جريء مقدام، كأنما يشعر كما يشعر صاحبه بأنّ الحقّ للقوة، وأنّ الرزق في الشجاعة، وأنّ الجواد الخامل كالصعلوك الخامل. وتأتي طرافة الصورة أيضا من أنّ الشنفرى يلوّن صورة جواده بألوان مغامراته هو، فإذا جواده صورة منه، كم حوى من خيل سمينة قوية موثّقة، كشأنه مع أفراد مجتمعه الأغنياء، وهكذا يقدّم لنا الشنفرى جواده على أنه "صعلوك جواد"**»[2]. يذهب **خليف** إلى أنسنة جواد **الشنفرى**، وجعله معادلًا موضوعيا له، فوصف **الشنفرى** نفسه من خلال فرسه، بالجوع والفقر والهزال، والشجاعة والإقدام، وكأننا أمام "جواد صعلوك" يختلف عن غيره من الجياد.

وإذا رُمنا البحث أكثر في رمزية الخيل في هذين البيتين، فإننا نجد **الشنفرى** يُبرز سطوته على أعدائه، وإقدامه وشجاعته، رغم هزاله، فكم من سمين عظيم الجسد قد بزّه وانتصر عليه أثناء الحرب (الهياج)، وفي انتصاره حياة له ولحصانه، فالهزال لا يعني الجبن، بل يعني الخفة والقدرة على اتقاء ضربات الخصم، وبالتالي اقتناص الفرصة للنيل منه، فهزيمته وحفظ روحه من الهلاك.

---

*يقال: "أعدى من الشنفرى"، و"أعدى من السليك". ينظر، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1374هـ-1955م، ج2، ص 46-47.

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص78.

اليحوم: فرس الشنفرى. **الهياج: الحرب. **العبل**: الضخم.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص229.

ولأنّ للخيل مكانة مهمة عند الصعاليك، فإنهم لا يستنكفون من ذكرها حتى في مراثيهم؛ ومن ذلك أنّ **تأبّط شرا** خصّ جواد **الشنفرى** ببيتي شعري، يقول (من الطويل):

وَأَشْــقَرُ غَيــداقُ الجِــراءِ كَأَنَّــهُ   عُقــابٌ تَـدَلّى بَــينَ نيقَــينِ كاسِــرُ
يَجُــمُّ جُمــومَ البَحــرِ طــالَ عُبابُــهُ   إِذا فــاضَ مِنــهُ أَوَّلٌ جــاشَ آخِـرُ[(1)]*

يُعدّد **تأبط شرا** صفات جواد **الشنفرى**، فهو أشقر، سريع الجدي، يعتلي هامات أعدائه، فيقفز فوقهم كالعقاب الكاسر بين قمتي جبلين شامخين، ويشبهه بالبحر في هيجانه وعلو أمواجه، وما هذا إلا لأنّ الفرس من الفارس، **فالشنفرى** يعتمد على فرسه في اقتحام الأعداء دون مهابة، وهو بهذه الصفات يواجه الموت ولا يهابه، بل يقتحم الأهوال والمهالك والمخاطر، وينجو منها بفضل شجاعته وحصانه، فحصانه وسيلته للنجاة والحفاظ على حياته، ومتى ما كان هذا الحصان بتلك الصفات، فإنّ نسبة النجاة ترتفع، فهي معطيات يستند عليها **الشنفرى** أثناء ملاقاة خصومه، ولعلّ **تأبّط شرا** يغبط **الشنفرى** على امتلاك هذا الجواد، فيصبو إلى أن يمتلك واحدًا مثله يساعده في غزواته، فيضمن بذلك الغنيمة والنجاة.

وغير بعيد عن هذا؛ نجد **السليك بن السلكة** يقول (من الوافر):

كَــأَنَّ قَــوائِمَ النَّحّــامِ لَمّــا   تَحَمَّــلَ صُــحبَتي أُصُــلاً مَحــارُ
عَلــى قَرمــاءَ عاليَــةٌ شَــواهُ   كَــأَنَّ بَيــاضَ غُرَّتِــهِ خِمَــارُ
وَمــا يُــدريكَ مــا فَقــري إِلَيــهِ   إِذا مَــا القَــومُ وَلَّــوا أَو أَغــاروا
وَيُحضِـرُ فَـوقَ جُهـدِ الحُضَّـرِ نَصًّـا   يَصــيدُكَ قــافِلاً وَالمُــخُّ رارُ[(2)]**

يُقدّمُ **السليك** وصفًا لحصانه "**النّحّام**"، فهو متحمّلٌ صُحبَتَهُ، ذو غرّة بيضاء، **والسليك** في حاجة دائمة لفرسه، وبخاصة في حالة الحرب والإغارة، فهو مُعتَمَدُهُ في

---

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، ص82.

* **الأشقر**: يعني فرسا. **غيداق** الجراء: شديد الجري واسعه. **نيقين**: مفرده نيق، هو الموضع الأعلى بالجبل. **كاسر**: صفة للعقاب. **جُموم البحر**: هياجه وعلو أمواجه. **العباب**: الموج. **جاش**: هاج واضطرب.

(2) السليك بن السلكة، أخباره وشعره، ص ص52-53.

** **أصلا**: جمع أصيل وهو العشي. **محار**: جمع محارة وهي الصدفة. **قرماء**: موضع في اليمامة. **شواه**: قوائمه. **يحضر**: يرتفع في عدوه. **النص**: الجد. **يصيدك**: يصيد لك. **قافلًا**: عائدًا. **رارُ**: ذائب من الهزال، رقيق.

مواجهة العدو، وبه يحافظ على حياته، كما أنّ **النّحّام** يتميّزُ بسرعة عدوه وإحضار الصيد **للسليك** أثناء عودته، وهو مغنم الشاعر الصعلوك الذي يصارع لأجل البقاء على قيد الحياة.

ويواصل رمز الخيل حضوره في شعر الصعاليك مُرتبطًا بنسق الحياة، كما في قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

كَـأَنّي حِصـانٌ، مـالَ عَنـهُ جِلالُـهُ، أَغَـرُّ، كَـريمٌ، حَولَـهُ العـوذُ، راتِـعُ[1]*

شبّه عروة نفسه بالحصان، فجعله معادلا موضوعيا له، يعبّر به عن قوّته وفتوته، وكيف أنّ الإناث يلتففن حوله، فيتنعّم بينهن، وهذا لفحولته وقدرته على الإنتاج، التي تساهم في استمرارية الحياة من خلال النكاح فالتوالد وميلاد أبناء جدد لهذه الحياة، ولعلّ استمرارية النسل يُبقي ذكرهُ خالدًا في الحياة.

أما **عمرو بن براقة الهمداني** فيقول (من الخفيف):

غَبَـرَت خَيلُنـا نُقاسِـمُها القـو تَ وَلَـم يُبـقِ حاصِـدُ المَحـلِ عـودا
شَـتوَةٌ توسِـعُ الجِمـالُ لَهـا الـرِّس لَ وَنُسـقي عِيالَنـا تَصـريدا
ذاكَ حَتّـى إِذا الرَبيـعُ نَفـى الأَز مَـةَ قُـدنا بِهـا شَـياطينَ قـودا
وَرَمَينـا بِهـا دِيـارَ الأَعـادي فَأَثابَـت بِكُـلِّ قَعـبٍ قَعـودا
حَبَّـذا هُـنَّ مَتجَـرًا رَبِـحَ الصَفـ قَةَ تَحوي الغِنى وَتَشفي الحَقودا[2]**

تُبرز الأبيات أهمية الخيل في حياة الصعلوك، ودورها في المحافظة على حياته، وحياة من معه، فإذا جاء الشتاء الباردُ آثر الصعلوكُ خيله باللبن على أبنائه، فللأولى

---

[1] ديوان عروة بن الورد، تح: سعدي ضناوي، ص187.

* **الجلال:** الغطاء، ما يوضع على ظهر الحصان. **أغرّ:** في جبهته بياض. **كريم:** كرم الفرس: أن يرقّ جلده ويلين شعره، وتطيب رائحته. **العوذ:** جمع عائذ، وهي الأنثى إذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ابنها يعوذُ بها. **راتع:** لاهٍ، متنعّم.

[2] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره–، ص93.

** **غَبر الشيءُ يغبرُ:** أي بقي، والغابر: الباقي أو الهالك، وهو من الأضداد. **التصريد:** الشرب دون الريّ. **الرّسل:** اللبن. **قود:** جمع أقود، والأقود من الخيل: طويل الظهر والعنق. **القعب:** القدح الكبير، والقعود من الإبل: ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد.

الريّ، وللثانية التصريد، وهذا حتى تقوى الخيل فتساعدهم وتعينهم –إذا ما حلّ الربيع– على مواجهة الأعداء. وهذا الاهتمام بالخيل وإيثارها يؤتي أُكله، إذ يعودون بكل قعب آثروا الخيل به على أبنائهم، يعودون في مقابله بناقة حلوب، وهذه صفقة رابحة، فالجوع الذي عاناه الصعاليك وعيالهم في الشتاء، والمحافظة على حياتهم بالنزر القليل، عاد عليهم –لاهتمامهم بالخيل– بالربح والخير الوفير، الذي يضمن حياتهم لمقبل الأيام.

نخلص إلى أنّ رمز الخيل لدى الشعراء الصعاليك، ورد –في عمومه– معادلًا موضوعيًا يعبّر به الشاعر عن مكنوناته، ويسرد أخبار مغامراته، ذاكرًا صفاته وأخلاقه، وكيف أنّ الخيلَ خيرُ وسيلةٍ لمواجهة المخاطر والمهالك والمحافظة على حياتهم.

1-1-2-2-رمزية الذئب*

يُعدّ الذئبُ من الحيوانات التي عايشها الشعراء الصعاليك، وتعاملوا معها، ولا شكّ أنّ شعرهم لا يشي بخطورة هذا الحيوان عليهم، بل على خلاف ذلك؛ فهم يأنسون إليها، ولا يتضايقون من وجودها، وذلك ما يُظهره شعرهم، فقد ذُكِر غير مرّة في أشعارهم، ولعلّ أكثرهم ذكرًا إياه: **الشنفرى**، ومن ذلك قوله (من الطويل):

وَلـي دونَكُـم أَهلَـونَ: سـيدٌ عَمَلَّـسٌ وَأَرقَـطُ زُهلـولٌ، وَعَرفـاءُ جَيـأَلُ
هُـمُ الأهـلُ، لا مُسـتَودَعُ السِـرَّ ذائِـعٌ لَـدَيهِم، وَلا الجـاني بِمـا جَـرَّ يُخـذَلُ
وَكُـلٌّ أَبِـيٌّ باسِـلٌ، غَيـرَ أَنَّـي إِذا عَرَضَت أُولـى الطَرائِـدِ أَبسَلُ[1]**

---

* من أسمائه: بالكنى: أَبُو كاسب، أَبُو الغطلس، أَبُو جعد، أبُو جعادة، أبُو عسلة. أسماؤه: الشيذمان، السلق، السرحان، السرحال، الولاس، التِّبْن، الطمل، الطملال، العلوس، العساس، العسوس، العسعس، العسعاس، المقانب، اللعوس، النهشل، العسلق، الأصمع، الأمعط، الأطحل، الخليع، الخيلع، العمرد، الهقلس، الشقذان، الشقذ، السلغد، الهطل، الْعَجُوز، السَّيِّد، أويس، الْعين، الغطلس، الْأَوْس، السمسم، السمسام، المياس، الدعلج، القطرب، الهملع، الهبهب، القاعب، القليب، الْقُلُوب، القلاب، الحطل، اللعلع، القواع، الكنع، الخيعور، الأعقد، الخمع، الملاز، الهذلول، الهطلس، الأمرط، الوعوع، الْمصدر، الذيخ، المذيخة، المقانب، العسالق، الطبس، العملس، العسلق، الْعين، التسبيد. ينظر: اللبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي، اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء، ص ص70-71.

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص59.

** **الأهلون:** جمع أهل. **السّيد:** الذئب. **العملّس:** القويّ السريع. **الأرقط:** الذي فيه سواد وبياض. **زُهلول:** خفيف. **العرفاء:** الضبع الطويلة العُرف. **جيألُ:** من أسماء الضبع. **باسل:** شجاع بطل. **الطرائد:** جمع طريدة.

وردت الأبياتُ من لامية **الشنفرى** في سياق الحديث عن المجتمع البديل للصعلوك، فقد اتّخذ **الشنفرى** من عالم الوحش أهلًا بديلين عن قبيلته، فَحالة اللانتماء التي عاشها **الشنفرى** جرّاء تخلّي قبيلته عنه جعله في حالة الموت، فالإنسان بطبيعته اجتماعي، وإخراجه من دائرة مجتمعه حُكم بالموت عليه؛ وفي هذا يقول **يوسف اليوسف: «ولمّا كان رفض الجماعة للفرد، أو إقناعه بأنه غير صالح للعيش ضمن الثّلّة، أو المنظومة الاجتماعية أيّا كان شأنها، هو قتلٌ له، فإنّ الشاعر، سعيًا وراء تعويض، يطرح هذه الحيوانات كمجتمع بديل، أو كإشباع لدافع محظور إشباعه في الواقع المعاش إنسانيًا»**[1]. ورمز الذئب، كغيره من رموز الحيوانات الأخرى، يرتبط بالحياة، فالانتماء الذي افتقده **الشنفرى** في أهله حَكم عليه بالعزلة والموت وإهدار الدم والتفرّد، يعيش وحيدًا في القفر الذي يفتقر لأدنى شروط الحياة، ووجود الذئب في هذا القفر، واتخاذه بديلًا عن القوم، وأنيسًا في الوحدة يبعث الحياة من جديد في نفس الصعلوك.

وفي اللامية، دومًا، نجد رمز الذئب مرة أخرى؛ يقول **الشنفرى** (من الطويل):

وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدَا أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ
غَدا طاوِيًا يُعارِضُ الريحَ هافِيًا يَخوتُ بِأَذنابِ الشِعابِ وَيَعسَلُ
فَلَمّا لَواهُ القوتُ مِن حَيثُ أَمَّهُ دَعا فَأَجابَتهُ نَظائِرُ نُحَّلُ
مُهَلهَةٌ شِيبُ الوُجوهِ كَأَنَّها قِداحٌ بِكَفَّي ياسِرٍ تَتَقَلقَلُ[2]*

يشبّه **الشنفرى** نفسه بالذئب الجائع، وهو على عادته يتخذه معادلًا موضوعيا، **فالشنفرى**/الذئب هزيل نحيل يذهب وقت الغداة بحثًا عن طعامه من شدة الجوع الذي

---

[1] يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، بيروت (لبنان)، ط4، 1985م، ص213.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص63-64.

* **أغدو:** أذهب في الغداة، وهي الوقت بين شروق الشمس والظهر. **القوت:** الطعام. **الزهيد:** القليل. **الأزل:** صفةٌ للذئب القليل اللحم. **تهاداه:** تتناقله وتتداوله. **التنائف:** الأرضون، واحدتها تنوفة، وقيل: هي المفازة في الصحراء. **الأطحل:** الذي في لونه كُدرة. **الطاوي:** الجائع. **يُعارض الريح:** يستقبلها؛ أي يكون عكس اتجاهها، وهذا الوضع يساعده على شمّ رائحة الفريسة واتباعها. **الهافي:** الذي يذهب يمينًا وشمالًا من شدّة الجوع، وقيل: معناه السريع. **يخوت:** يختطف وينقضّ. **أذناب:** أطراف. **الشّعاب:** جمع الشِّعب، وهو الطريق في الجبل. **يعسل:** يمرّ مرًّا سهلًا. لواهُ: دفعه، وقيل: مطله وامتنع عليه. **أمّهُ:** قصده. **النظائر:** الأشباه التي يشبه بعضها بعضا. **نُحّلُ:** جامع ناحل، وهو الهزيل الضامر. مُهلّلة: رقيقة اللحم (وهي صفة لنظائر). **شيب:** جمع أشيب وشيباء. **القِداح:** جمع قِدح، وهو السّهم قبل بريه وتركيب نصله، وهو أيضًا، أداة للقمار. **الياسر:** المقامر. **تتقلقل:** تتحرك وتضطرب.

أصابه وجعله يترنح يمينا وشمالا، وأثناء بحثه عن الطعام الذي يحفظ حياته يقابل الريح ليشم رائحة فريسة أو صيد، وهو يسير في أطراف الشعاب الضيقة مرورًا سهلًا، لهزاله وضمور جسمه، ولمّا أعجزه الجوع نادى صحبه الذؤبان/الصعاليك، فلبت نداءه وأجابته، فإذا هي كحاله، شبيهة به، نحيلة ضامرة، قليلة اللحم، مُسنّة أنهكتها المخاطر، مضطربة كسهامٍ بيدي مُقامرٍ يُحرّكها

يشي رمز الذئب في هذه الأبيات بحياة الصعلوك ضمن مجتمع الصعاليك، إذ يتشاركون كلّ شيء؛ القوت والمخاطر، فلا يتأخر عن تلبية داعيه، صحيح أنه هزيل نحيل، لكنه وقت الحاجة يُعينه صحبه ولا يُسلمهم للمخاطر، على عكس القبيلة التي أبعدتهم وتخلت عنهم، وأسلمتهم لمخاطر الصحراء، ما يؤدي بهم إلى الموت المحقق.

يقول أيضا (من الطويل):

فَضَجَّ وَضَجَّت بِالبَراح كَأَنَّها وَإِيّاه نوحٌ فَوقَ عَلياءَ ثُكَّلُ
وَأَغضى وَأَغضَت وَاتَّسى وَاتَّسَت بِهِ مَراميلُ عَزّاها وَعَزَّتهُ مُرمِلُ
شَكا وَشَكَت ثُمَّ اِرعَوى بَعدُ وَارعَوَت وَلَلصَّبرُ إِن لَم يَنفَع الشَكوُ أَجمَلُ
وَفاءَ وَفاءَت بادِراتٍ وَكُلُّها عَلى نَكَظٍ مِمّا يُكاتِمُ مُجمِلُ[1]*

جعل **الشنفرى** الذئاب الجائعة مقابلا لنفسه الجائعة البائسة، فكلّ منهما قد أصابه غضب الطبيعة، وضجّ بالبكاء والنواح، وهما يشتركان في المعاناة، يتبادلان الشكوى مع بعضهما البعض[2]، فنسق الذئب يرتبط بالشراعة في المعاناة التي يعيشها الصعلوك والذئب معًا، ولكل منهما رفاق وأصحاب، يعانون الجوع، ينوحون كالأرامل الثّكّل، ولا يجدون حلًا سوى الصبر على ما أصابهم، صبرٌ يطول حتى يكاد يفتك الجوع بهم فيموتون، لكنهم بعد ذلك ينالون صيدًا، فيعودون به مُسرعين، وكلهم –على جوعه الذي

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص65.

* **ضجّ:** صاح. **البراح:** الأرض الواسعة. **النوح:** النساء النوائح. **العلياء:** المكان المرتفع. **ثكّل:** جمع ثكلى، وهي المرأة التي فقدت زوجها أو ولدها أو حبيبًا. **أغضى:** كفّ عن العواء. **اتّسى:** اقتدى. **مراميل:** جمع مرمل، وهو الذي لا قوت له. **شكا:** أظهر حاله من الجوع. **ارعوى:** كفّ ورجع. **الشكو:** الشكوى. **فاء:** رجع. **بادرات:** مسرعات، وبارده بالشيء أسرع به إليه. **النكظ:** شدة الجوع. **يكاتم:** يكتم ما في نفسه. **مُجمِل:** صانع للجميل.

[2] ينظر، ماهر أحمد المبيضين، عماد عبد الوهاب الضمور، أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي، حوليات آداب عين شمس، مصر، مج43، يناير–مارس2015م، ص243.

يكتمه- يصنع خيرًا وجميلًا في من معه، فيقسّم معه صحبه صيده، ويقتاتون به، فيحفظون حياتهم من الهلاك.

لعله من نافلة القول أن نشير إلى أنّ سياسة القطيع لدى الذئاب ومثيلتها عند الصعاليك، فهذه السياسة تحافظ على حياة القطيع/الجامعة بالتشارك في الغنائم، فتقاسُم الغنيمة يعني أن يحظى كلّ فرد بنصيب من الطعام يحفظ حياته، عكس الاستئثار والأنانية التي تحفظ حياة واحد منهم وتُبقي الآخرين جياعًا حتى ينال منهم الجوع فيهلكهم.

وإذا ما انتقلنا إلى صعلوك آخر، وهو **تأبط شرا**، فإننا نجد رمز الذئب يحضر في شعره هو الآخر، فيتخذه صاحبًا يحاوره، يقول (من الطويل):

وَنَعـلٍ، كَأَشـلاءِ السُـمانى، نَبَـذتُها إِلـى صـاحِبٍ حـافٍ وَقُلْـتُ لَـهُ: اِنعَـلِ
وَقِربَـةِ أَقـوامٍ جَعَلْـتُ عِصـامَها عَلـى كاهِـلٍ مِنّـي ذَلـولٍ مُرَحَّـلِ
وَوادٍ كَجَـوفِ العَيـرِ، قَفـرٍ، قَطَعْتُـهُ، بِـهِ الـذِئبُ يَعـوي كَـالخَليعِ المُعَيَّـلِ
تَعَـدّى بِزَيـزاةٍ، تَعِـجُّ، مِـنَ القـوا، وَمَـن يَـكُ يَبغـي طُرقَـةَ اللَيـلِ يُرمِـلِ
فَقُلْـتُ لَـهُ، لَمّـا عَـوى،:إِنّ "ثابِتًـا" قَليـلُ الغِنـى إِن كُنـتَ لَمّـا تَمَـوَّلِ
كِلانـا إِذا مـا نـالَ شَـيئًا أَفاتَـهُ وَمَـن يَحتَـرِث حَرثـي وَحَرثَـكَ يُهـزَلِ
كِلانـا طَوى كَشحًا عَنِ الحَـيِّ بَعدَما دَخَلنـا عَلـى كِلابِهِـم كُـلَّ مَـدخَلِ
طَرَحـتُ لَـهُ نَعـلاً مِـنَ السِّـبتِ طَلَّـةً خِـلافَ نَـدًى مِـن آخِـرِ اللَيـلِ مُخضِـلِ
فَـوَلّى بِهـا جَـذلانَ يَـنفُضُ رَأسَـهُ كَصـاحِبِ غُـنمٍ ظـافِرٍ بِـالتَمَوُّلِ[1]*

صوّر كثيرٌ من العرب جوعهم ومعاناتهم من خلال الذئاب، «**الأمر الذي جعل فئة الصعاليك والصيادين من أكثر فئات المجتمع العربي تشبّها بالذئب، كما أسهمت صورة**

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص181-185.

* **السّمانى:** طائرٌ صغير، وقوله كأشلاء السمانى يريد أنه خلق مهلهل ممزق. **عصام القربة:** الحبلُ الذي تُحمل به ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره. **الكاهل:** موصل العنق إلى الظهر. **ذلول مرحّل:** أي اعتدت على ذلك، يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه. **المعيّل:** كثير العيال. **الزيزاة:** الأرض الغليظة. **تعجّ:** تُصوّتُ، يتردد فيها الصوت لخلوها. **القوا:** الخلاء، القفر من الأرض. **يُرمل:** يقلّ زاده وينفد. **طوى كشحًا:** انصرف. **الكلّاب:** صاحب الكلاب الذي يقوم على أمرها والحراسة بها. **السّبتُ:** الجلدُ المدبوغ. **الطّلّة:** الشربة من اللبن أو الخمر. **الخضل:** البلل الخفيف. **جذلان:** فرح.

الذئب في التعبير عن واقع الفقر والجوع الذي كان يعمّ المجتمع من حين لآخر بسبب القحط والجدب فيفضي بالناس إلى الفقر والجوع والتشرد»[1]، فالذئب، إذن، رفيق الصعاليك ووسيلتهم للتعبير عن الجوع والفقر والتشرّد الذي ألمّ بهم. ويتمظهر رمز الذئب في الأبيات السابقة ليدلّ على معاناة الصعلوك، فالصعلوك في وادٍ قفرٍ خالٍ لا حياة فيه، غير الذئب، هذا الذئب الذي يملأ عواؤه المكان، وهو كالصعلوك، خليعٌ منبوذٌ ذو عيالٍ ينتظرون صيده فريسة أو حصوله على طعامٍ يقتاتون به، ويسدون به جوعهم، **وتأبط شرًا** حين سمع هذا العواء أجاب الذئب بأنه فقير مثله، وأنه لا جدوى من مراقبته وتحيّن الفرصة للنيل منه، فكلاهما جائع فقير لم ينلْ شيئًا، وكلاهما، أيضًا، هزيلٌ نحيلٌ لم يغنم من إغارته ومراوغة كلاب الحيّ.

ومع هذه الحجج البراهين، لم يقتنع الذئب، بل بقي يراقب تأبط شرا لينال منه ويتخذه فريسة يعود بها إلى عياله، فاحتال له **تأبط شرا** وطرحَ له نعلًا مبللةً بندى آخر الليل، فظنها الذئب غنيمة وطعامًا طريًا، فالتقطها ومضى بها سعيدًا ينفض رأسه، كظافرٍ بغنيمةٍ تُغنيه أبد الدهر.

وخلاصة ما نصل إليه، أنّ رمز الذئب في شعر الصعاليك يرتبط بالحياة، فالأماكن التي يتواجد بها الذئب عادةً خِلوٌ من مظاهر الحياة، فهي قفرٌ خاليةٌ، وعواءُ الذئب يكسرُ الصمت الرهيب المهمين على المكان، فيبث الحياة فيه، كما أنّ تواجد الذئب فيه يشي ببحثه عن القوت والطعام، مثله مثل الصعلوك، بل إنه يمكننا أن نسمي الذئاب "**صعاليك الحيوان**" لتشابهها حدّ التطابق مع الصعاليك، وأينما تواجدت الذئاب تواجدت الحياة، وسياسة القطيع عندها شبيهة عند مثيلتها لدى الصعاليك، فالتشارك والتضامن، ولو بالقليل، يضمن بقاءها حية في بيئة تتسم بالقسوة والقحط.

[1] رائد المهيرات، صورة الذئب في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2009م، ص216.

1-1-2-3-رمزية الطير

حضرَ رمزُ الطير في الشعر الجاهلي حضورًا كبيرًا، إذ من خلاله تُعرف نظرة الإنسان القديم للطير آنذاك من جوانب دينية وأسطورية ونفسية واجتماعية، فقد عكس الطيرُ الألوان التي تتلونُ بها نفسية الشاعر ورؤيته الذاتية؛ فهو وسيلة للتعبير عن خلجاته ومشاعره الباطنة، التي يُسقطها على الطيور من حوله[1].

ولم يكن هذا الحضور مقتصرًا على شعراء القبائل فقد حضر بدوره في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **تأبط شرا** (من الطويل):

فَلَو نَبَّأَتني الطَيرُ، أَو كُنتُ شاهِدًا، لَآساكَ في البَلوى أَخٌ لَكَ ناصِرُ[2]*

ورد البيت في موضع رثاء **تأبط شرًا الشنفرى**، فغياب الطير لحملها نبأ مشكلة **الشنفرى** جعله يموت وحيدًا، لكنها لو كانت حاضرة ونقلت النبأ **لتأبط شرا** آساه وأعانه في محنته وجعل **الشنفرى** يبقى حيًا لا يموت، وقال في موضع آخر (من الطويل):

قَعقَعتُ حِضنَي "حاجِزٍ" وَصِحابِهِ وَقَد نَبَذوا خُلقانَهُم وَتَشَنَّعوا
أَطِنُّ إِذا صادَفتُ وَعثًا، وَإِن جَرى بِيَ السَهلُ أَو مَتنٌ مِنَ الأَرضِ مَهيَعُ
أُجاري ظِلالَ الطَيرِ، لَو فاتَ واحِدٌ، وَلَو صَدَقوا قالوا لَهُ: هُوَ أَسرَعُ
فَلَو كانَ مِن فِتيانِ قَيسٍ وَخِندِفٍ أَطافَ بِهِ القُنّاصُ مِن حَيثُ أَفزَعوا
أَحُثُّ ثَلاثًا نِصفَ يَومٍ وَلَيلَةً وَأَنتَ مُريحٌ عِندَ بَيتِكَ أَروَعُ
وَلَو كانَ قِرنٌ واحِدٌ لَكَفَيتُهُ وَما كانَ بِي في القَومِ مُذ جُدتُ مَطمَعُ[3]**

---

[1] ينظر، أماني بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي، صورة أمومة الطير في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، إشراف: مريم عبد الهادي القحطاني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1435-1436هـ، ص10.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص83.

*آساك: ساندك وشاركك فيما أنت فيه من البلاء.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص105-108.

**قعقع: حرّك بشدّة. الحضن: جانب الصدر مما يلي الإبط إلى الخصر. الخُلقان: قديم الثياب باليها. تشنّع: جدّ وَهمّ بأمر شنيع شديد. الطنين: الصوت يصدر عن الشيء الصلب إذا مرّ في الهواء مرًّا سريعًا جدًا، ومنه الإطنان أي سرعة القطع للصوت الذي يصدر عنها. الوعثُ: الرمل اللين تغيب فيه الأقدام وتغوص. القُنّاص: جمعُ قانص.

ربئ رهْطٌ من **الأزد** ربيئةً **لتأبط شرا**، فترصدوه، لكنه حين قرُبَ من موضعهم توجّس، فانصرفَ، ثم عادَ، فنهضوا في إثره حين رأوه لا يجوز، ومرّ قريبًا منهم، فطمعوا في إمساكه، وفيهم "**حاجز الأزدي**"*، فأغروه **بتأبطّ شرًا**، لكنه لم يقوَ على لحاقه[1].

وما يهمنا في هذه الأبيات: رمز الطير، الذي تمظهر أكثر في قوله:

أُجاري ظِلالَ الطَيرِ، لَو فاتَ واحِدٌ، وَلَو صَدَقوا قالوا لَهُ: هُوَ أَسرَعُ

فتأبط شرا حين رأى القوم يترصدونه ويرومون النيل منه؛ أطلق رجليه للعنان، يركضُ فارًّا منهم، فيجاري الطيرَ بعدوه السريع، هربًا ونجاةً بحياته من خطر الموت المُحدق به، فرمزُ الطير يتعلّق بالحياة، ونحن نعرف أنّ تأبط شرا معروف بسرعة العدو، وتقنية الفرار عند الصعاليك لا تعني الجبن والخوف، بل هي ذكاء وحيلة يستخدمها الصعلوك للمحافظة على حياته إذا ما هدده الموت في كلّ حين.

كما يتمظهر رمز الطير في قول **صخر الغيّ الهذلي** (من الطويل):

وَلِلَّهِ فَتخاءُ الجَناحَينِ لِقوَةٌ تُوَسِّدُ فَرخَيها لُحومَ الأَرانِبِ
كَأَنَّ قُلوبَ الطَيرِ في جَوفِ وَكرِها نَوى القَسبِ يُلقى عِندَ بَعضِ المَآدِبِ
فَخاتَت غَزالاً جاثِماً بَصُرَت بِهِ لَدى سَلَماتٍ عِندَ أَدماءَ سارِبِ[2]**

يتحدّثُ **صخر الغيّ** عن العقاب وهي تُطعم صغارها، فتتخيّرُ لفراخها لحم الأرانب، وتُكثر منه حتى تصير قلوبه المُرماةُ كنوى التمرِ كثرةً، ثم هي تصطاد غزالًا عند شجرات، وتحمله لفرخيها الضعيفين.

---

*حاجز الأزدي: هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم، من بني الأزد، شاعرٌ جاهليٌ مُقلٌ، وهو أحدُ الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، كان مشهورًا بالعدو حتّى يسبق بعدوه الخيلَ.

[1] ينظر، ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط1، 1424هـ-2003م، ص36.

[2] السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص ص250-251.

فتخاء الجناحين: أي العقاب التي استرخى جناحاها، وهو لينٌ فيهما. **لِقوةٌ: مائلة الرأس. **تُوسّد**: تُفرشُ أي تُطعم. **القسب**: تمر يابس يتفتت في الفم. **خاتت**: انقضّت. **جاثمًا**: رابضًا. **سلمات**: شجرات. **أدماء**: ظبية. **شارب**: سربت في موضعها فدخلت، وقيل: "تسرب في الأرض"؛ أي تسرح تطلب المرعى.

يرتبط رمز الطير، السابق الحديث عنه، بالصعلوك **صخر الغيّ**، وورد للتعبير عنه في صورة حيوانية، فالعقابُ الصعلوكُ نفسه، والفرخان ابناهُ، فهو يسعى لإطعامهما وتقوية جسديهما الضعيفين، فيبث فيهما الحياة والقوة، ليعتمدا فيما بعدُ على نفسيهما، فحضور العقاب (الأم) حياةٌ لابنيها، وغيابها موتٌ.

ويتسابقُ **الشنفرى** مع القطا لبلوغ مورد ماء، فيقول (من الطويل):

وَتَشرِبُ أَسآرِيَ القَطا الكُدرُ بَعدَما سَرَت قَربًا أَحناؤُها تَتَصَلصَلُ
هَمَمتُ وَهَمَّت وَابتَدَرنا وَأَسدَلَت وَشَمَّرَ مِنّي فارِطٌ مُتَمَهَّلُ
فَوَلَّيتُ عَنها وَهْيَ تَكبو لِعُقرِهِ يُباشِرُهُ مِنها ذُقونٌ وَحَوصَلُ
كَأَنَ وَغاها حَجرَتَيهِ وَحَولَهُ أَضاميمُ مِن سِفرِ القَبائِلِ نُزَّلُ
تَوافَينَ مِن شَتّى إِلَيهِ فَضَمَّها كَما ضَمَّ أَذوادَ الأَصاريمِ مَنهَلُ
فَعَبَّت غِشاشًا ثُمَّ مَرَّت كَأَنَّها مَعَ الصُبحِ رَكبٌ مِن أُحاظَةَ مُجفِلُ[1]*

يتنافس **الشنفرى** والقطاة في الوصول إلى ماءٍ قليلٍ في إناء، قصداه معًا، لكن القطاة أثناء السعي إلى الماء أسدلت جناحيها من تعبٍ نالها، فتقدّمها **الشنفرى** وهو في كامل نشاطه، وعدا عدوًا متمهلًا لأنه واثق من السّبق، ثم شرب وانصرف عنها، وهي ما تزال تكبو وتسقط، ثم تصلُ الماءَ وتتكبُ عليه انكبابًا من شدّة ظمئها، ثم لحقت بها

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص 66-67.

* **الأسآر**: جمع سؤر، وهو البقية في الإناء من الشراب. **القطا**: نوع من الطيور مشهور بالسرعة. **الكدر**: جمع أكدر للمذكر، وكدراء للمؤنث: والكُدرة: اللون ينحو إلى السواد. **القَرب**: السيرُ إلى الماء وبينك وبينه ليلة. **الأحناء**: جمع الحنو، وهو الجانب. **تتصلصل**: تصوّتُ. **هممتُ بالأمر**: عزمت على القيام به ولم أفعله. **أسدلت**: أرخت أجنحتها، كناية عن التعب. **الفارط**: المتقدّم، فارط القوم: المتقدّم ليصلح لهم الموضع الذي يقصدونه. **وليّت**: انصرفت. **تكبو**: تسقط. **العُقر**: مقام الساقي من الحوض يكون فيه ماء يتساقط من الماء عند أخذه من الحوض. **الذقون**: جمع الذقن، وهو منها ما تحت حلقومها. **الحوصل**: جمع الحوصلة، وهي معدة الطائر. **وغاها**: أصواتها. **حجرتاه**: ناحيتاه، والضمير يعود على الماء. **الأضاميم**: جمع الإضمامة، وهي القوم ينضمّ بعضهم إلى بعض في السّفر. **السُّفر**: المسافرون. **نُزّل**: جمع نازل، وهو المسافر الذي حطّ رحله، ونزل بمكان معيّن، وحوله جماعات من المسافرين حطّت الرّحال محدثةً صخبًا كبيرًا. **توفين**: توافدن وتجمّعن. **شتّى**: متفرقة. **الأذواد**: جمع ذود، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل. **الأصاريم**: جمع الصرمة، وهي العدد من الإبل نحو الثلاثين. **المنهل**: الماء. **العبُّ**: شرب الماء من غير مصّ. **الغشاش**: العجلة. **الركبُ**: خاص بركبان الإبل. **أحاظة**: قبيلة من اليمن، وقيل: من الأزد. **المُجفل**: المنزعج أو المسرع.

أخواتها إلى الماء، فتضاممن وتراصصن حوله يشربن شرب الظمآن الذي يكاد يهلكه عطشه، فشربن ثم تفرقن لشؤونهن.

ويعبّر هنا رمز القطاة عن إصرار الصعلوك لتحقيق هدفه، وهو شرب الماء، والتكافل الذي تحمله روح الشنفرى نحوى المستضعفين.

حين نقارن بين الصعلوك والقطاة، نجد القطاة على حافة الموت عطشًا، بينما الصعلوك في كامل قواه وحيويته ونشاطه، لذا فإن نسق الحياة يتمظهر تمظهرًا كبيرًا في الأبيات السابقة.

1-1-3-النسق الأسطوري

عاش الإنسان الجاهلي في عصر تتبعث فيه الآلهة والأرواح في كلّ شيء حوله، فاعتقد بوجود قوى خفية متنوّعة في حلّ ما يحيطه من نبات وحيوان وجماد، ونسب إليها؛ أي القوى الخفية، قدرةً تفوق وتعلو قدرةَ الناس، وسلّم بسيطرتها على قوى الطبيعة، وباختبائها وراء كلّ حركةٍ أو ظاهرةٍ تواجهه، فحاول التقرّب إليها، واسترضاءها بشتى الوسائل والطرائق، واستمالتها إليه بتقربه إليها بالقرابين والهدايا.

وكانت الصحراء حولهُ تعجُّ بكائناتٍ روحية، لا بداية لها ولا نهاية، وكان يرى في صورها المتعددة هذه القوى الخفية، ما دفعه إلى إقامة علاقات تشبيهٍ بين الأشياء، فإذا به يرى في بعض الأشياء صورة أشياء أخرى، فيستعيرها لها، وكان يُحسّ بالحياة والحركة في كلّ ما يقع نظره عليه، فظنّ ألّا فرق بينه وبين الموجودات، واعتقد أنّ للجماد حياةً حقيقية تحلّ فيه أحيانًا. وبعث هذا الاعتقادُ في الجاهليين تفاؤلًا وتيمنًا بحيوانات، وتشاؤمًا من بعض الآخر، وهو الاعتقاد نفسه الذي كان سببًا من أسباب تقديس الأشجار واجتناب قطعها أو إلحاق الأذى بها، خوفًا من انتقال الروح الحالّة فيها، وقد عملت البيئة العربية والخيال العربي عملهما في حكايات تخيّل الغيلان والجن، وتصوّر الأرواح، لتوحّدهم في القفار، وتفرّدهم في الشّعاب، وسلوكهم المفاوز والمهامه الموحشة.

ووهب الشعراء العرب، وبخاصة الصعاليك منهم، حِسًا دقيقًا بوحدات الصحراء المسموعة، وأصوات الفلوات وأصوات أصدائها التي تتجاوب فيها إذا ما أرخى الليل سدوله، وذهبوا مع الأوهام في تصوّر مصادرها، فاعتقدوها من الجنّ تارةً، ومن غير الجنّ

تارةً أخرى[1]، وهو ما يمكن أن نسميه **الكائنات الأسطورية**، ويرى **عبد الملك مرتاض (ولد1935م)*** أنّ الأسطورة «**مزيجٌ من كلّ شيء،... وهي تاريخ آلهة، وهي تاريخ أبطال، وهي تاريخ أجداد، وهي سيرة حيوانات**»[2]، فالأسطورة ليست شيئًا واحدًا، بل هي مزيجٌ من كلّ شيء؛ الماديّ والروحيّ، والتاريخي.

وتُستدعى الأساطيرُ لاسترداد مجد أو بطولة غائبة، أو لتجاوز انتكاسة تعيشها الذات الفردية أو الجماعية، والأهداف وراء هذا متنوّعة يتوّجها الموضوع وسياق الإبداع، وبذلك الأسطورة استحضارٌ للغائب المتخيّل بغية تصوير وتعرية حاضر مقرّر[3].

وعلى غرار المباحث السابقة، نروم في هذا المبحث دراسة الأنساق الأسطورية الواردة في شعر الصعاليك، ونخص بالذكر رمز الغول، ورمز الجن، دون أن ننسى الإشارة إلى أنّ أكثر الصعاليك –محل الدراسة– ذكرًا لهما: **تأبط شرا والشنفرى**، مع غياب الرمزين عند بقية الصعاليك.

---

[1] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1970م، ص ص 235–236.

* **عبد المالك مرتاض**: أستاذ جامعي، أديب وناقد جزائري، ولد بتاريخ 10 أكتوبر 1935 م في مسيرة بولاية تلمسان، التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط، المغرب سنة 1960م،كما سجّل في كلية الحقوق والعلوم السياسية، ومعهد العلوم الاجتماعية، بجامعة الرباط.تخرج من المدرسة العليا للأساتذة بالرباط سنة 1963م. نال درجة دكتوراه الطور الثالث في الآداب من جامعة الجزائر ببحث (فن المقامات في الأدب العربي) سنة 1970م، لينال درجة دكتوراه الدولة من جامعة السوربون الثالثة بباريس في الآداب.اشتغل في عدة وظائف وتقلّد عدّة مناصب، منها: مدير لمعهد اللغة العربية وآدابها لدى استحداثه، لأول مرة، بجامعة وهران سنة 1974م، ثم وكيلا لجامعة وهران (1980–1983)، وعُيّن مديرًا للثقافة والإعلام لولاية وهران (1983–1986)، رُقّي إلى درجة أستاذ كرسي في جامعة وهران سنة 1986م، اشتغل رئيسًا للمجلس الأعلى للغة العربية بين سنتي 1998م و2001م، حيث استقال بسبب قانون التعريب الذي جمّده الرئيس الجزائري آنذاك. بالإضافة إلى عدد من المشاركات والعضويات، أهمها عضويتهفي مسابقة أمير الشعراء التي تقام في أبي ظبي بالإمارات العربية، بداية من الموسم الأول سنة 2009م.له عدّة مؤلفات أدبية ونقدية، منها: القصة في الأدب العربي القديم (1968م)، فن المقامات في الأدب (1980م)، بنية الخطاب الشعري (1986م)، ألف . ياء (تحليل سيمائي لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد (1992م)، قضايا الشعريات (2008م)...

[2] عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، (د.ط)، 1989م، ص13.

[3] ينظر، محمد عدناني، شعرية المضمرات الثقافية في ديوان "رماد هسبريس" لمحمد الخمار الكنوني، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، المغرب، ع3،خريف/شتاء، 2014–2015، ص150.

1-1-3-1-رمز الغول

كثُرت الأخبار عن الغول، وتكررت، ولعلّ **الجاحظ (159 هـ-255 هـ)** أوّل من تعرّض لظاهرة الغول، ويرى «**الغول اسم لكلّ شيء من الجنّ يعرضُ للسُّفّار، ويتلوّن في ضروب الصور والثياب، ذكرًا كان أو أنثى، إلا أنّ أكثر كلامهم على أنّه أنثى**»[1]. نستشف من هذا القول خصائص عدّة للغول، فهي من الجنّ، تتعرض للمسافرين، تظهر في صور وأشكال متنوعة، وجنسها أنثى.

ويُعدّ **تأبّط شرا** أكثر الشعراء الصعاليك ذكرًا للغول، بل لعلّه تفرّد بهذا، ومردّ ذلك إلى طبيعة الحياة التي خاض فيها هذا الصعلوك مغامراته، يقول عن الغول (من المتقارب):

فَأَصبَحتُ وَالغولُ لي جارَةٌ، فَيا جارَتا أَنتِ ما أَهوَلا
وَطالَبتُها بُضعَها فَالتَوَت بِوَجهٍ تَهَوَّلَ فَاستَغوَلا
فَقُلتُ لَها: يا اِنظُري كَي تَرَي، فَوَلَّت، فَكُنتُ لَها أَغوَلا
فَطارَ بِقِحفِ اِبنَةِ الجِنِّ ذو سَفاسِقَ قَد أَخلَقَ المِحمَلا
إِذا كَلَّ أَمهَيتُهُ بِالصَفا فَحَدَّ وَلَم أُرِهِ صَيقَلا
عَظاءَةَ قَفرٍ لَها حُلَّتانِ مِن وَرَقِ الطَلحِ لَم تُغزَلا
فَمَن سالَ: أَينَ ثَوَت جارَتي فَإِنَّ لَها بِاللَوى مَنزِلا
وَكُنتُ إِذا ما هَمَمتُ اِعتَزَمتُ، وَأَحرِ إِذا قُلتُ أَن أَفعَلا[2]*

---

[1] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، مصر، ط2، 1967م، ج6، ص158.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص164-166.

***البُضع:** النّكاح، وقيل هو الفَرج. **تهوّل:** من الهول. **استغول:** من الغول، تلوّن وتغيّر. **القِحف:** العظم الذي فوق الدّماغ من الجمجمة وما كُسر منها. **ابنة الجن:** الغول. **ذو سفاسق:** السيف. **أخلق المحمل:** أبلى حمائله لثقله ودوام حمله. **كَلَّ:** من الكلال، وهو التعب وافتقاد القدرة. **أمهى السيف:** أي أحدّه ورقّقه. **الصّيقلُ:** شحّاذ السيوف وجلّاؤُها. **العظاءة:** دُويبة صغيرة من الزواحف ذات سرعة كبيرة وهي ملساء الملمس. **الطّلح:** شجر عظيم له أشواك ترعاه الإبل. **سال:** مخففة من سأل. **ثوى:** بمعنى هلك. **اللوى:** اسم موضع. **هممت:** نويتُ وقصدت. **أحر:** أجدر.

لا يحمل الجوار دومًا معاني التعاطف والألفة، إذ كانت جارة **تأبط شرا** نوعًا آخر غير البشر، فلم تملأ فراغه النفسي، بل كشفت عن عالمٍ جديدٍ يجمع وحشية الإنس وإنسانية الوحش، وقد صبغها بكثير من السمات الإنسانية[1].

وعلاقة الجوار بينه وبين الغول هذا الكائن الأسطوري الذي يختصّ بصورةٍ في المخيال العربي القديم، إذ إنّه يثير الرعب والخوف في نفوس كل من يسمع به أو يلقاه، لكن **تأبّط شرا** كسر حاجز الرعب والخوف، وخرج عن التّصوّر المألوف والسائد حول هذا الكائن، فطلب نكاح الغول بكل جرأة وشجاعة، ففي الوقت الذي يهابُ الناس لقاءها يتجرّأ صاحبُنا ويُطالبُها بُضعَها، ما جعلها تغضب منه، وتزداد تهوّلًا وتغوّلًا.

ومن الطبيعي أن يثير التغوّل والتهوّل الرعب في النفوس، لكن هذا الصعلوك على عكس ذلك صار أكثر تغوّلًا منها وأشدّ فتكًا، وجرّد سيفه الحاد الثقيل الذي لا يقوى على حمله إلا من أوتي شجاعةً وبأسًا، فضربها به وقطع عظام رأسها وطيّره في الهواء، ما جعل الغول تتحوّل إلى عظاءة صغيرة تفرّ بجلدها هربًا من بطش هذا الصعلوك المتغوّل، راسمًا بذلك صورة التحوّل الذي فرضته شجاعته أمام الغول، ما يدحضُ الصورة السائدة في المخيال العربي الجاهلي حول الموت عند لقاء الغول، ويصيّرها حياةً جديدة له.

ويتواصل حضور رمز الغول في شعر **تأبط شرا**، ويتجلّى ذلك في قوله (من الوافر):

أَلا مَـــن مُبلِـــغٌ فِتيـــانَ فَهـــمٍ ... بِمـــا لاقَيـــتُ عِنـــدَ رَحـــى بِطـــانِ
بِـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ الغـــولَ تَهـــوي ... بِسَـــهبٍ كَالصَـــحيفَةِ صَحصَـــحانِ
فَقُلـــتُ لَهـــا كِلانـــا نِضـــوُ أَيـــنٍ ... أَخـــو سَـــفَرٍ فَخَلّـــي لـــي مَكـــاني
فَشَـــدَّت شَـــدَّةً نَحـــوي فَـــأَهوى ... لَهـــا كَفّـــي بِمَصـــقولٍ يَمـــاني
فَأَضـــرِبُها بِـــلا دَهَـــشٍ فَخَـــرَّت ... صَـــريعاً لِليَـــدَينِ وَلِلجِـــرانِ
فَقالَـــت عُـــد فَقُلـــتُ لَهـــا رُوَيـــداً ... مَكانَـــكِ إِنَّنـــي ثَبـــتُ الجَنـــانِ
فَلَـــم أَنفَـــكُّ مُتَّكِـــئً لَـــدَيها ... لِأَنظُـــرَ مُصـــبِحاً مـــاذا أَتـــاني

---

[1] ينظر، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية (مصر)، ط1، 2002م، ص ص127-128.

إذا عَينـــانِ فـــي رَأسٍ قَبـــيحٍ كَـــرأسِ الهِـــرِّ مَشـــقوقِ اللِســـانِ
وَســـاقا مُخـــدَجٍ وَشَـــواةُ كَلـــبٍ وَثَـــوبٌ مِـــن عَبـــاءٍ أَو شَـــنانِ(1)*

وثّق **تأبّط شرا** ملحمة تُبيّن جرأته وحنكته وذكاءه، إذ أخذ يبحثُ عن إنسان يُحمّله رسالة العزّ إلى قبيلته (بني فهم)، وضمّنها انتصاره على الغول بكلّ ما تحمله من هول ورعب وخوف، افتتحها بقوله: "أَلا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ"، ما يُشيرُ إلى عملية الخلع والاستبعاد والتشريد التي تعرّض لها من قبيلته، ويجدُ هذا الخليعُ نفسه أمام أمرين لا ثالث لهما؛ إمّا أن يفرّ إلى مجاهل الصحراء فيلاقي مصيره المحتوم (الموت/الهلاك)، وإمّا أن يجد من يُجيره ويحميه(2).

وجد **تأبط شرا** نفسه أمام الخيار الأول؛ إذ اتّخذ الصحراء موطنًا بديلًا عن قبيلته، والصحراء ملأى بالمهالك والمخاطر، ومن بينها الغيلان، فقد التقى **تأبط شرًا** الغولَ عند "**رحى بطان**" وهي تجري نحوه، لتنقضّ عليه، لكنّه قابَلَ فعلها هذا بإعلامها بأنّ كليهما هزيلٌ مُتعبٌ، كثيرُ السفرِ والترحالِ في الفلوات، ليأمرها أن تبتعدَ عن طريقه، وتُخلي سبيله، لكنها هاجمته بشراسة لتنال منه فدافع عن نفسه وضربها بسيفه، وكلّه شجاعة وبأس، وطلبت منه أن تبقى في مكانها مؤكّدًا شجاعته، وبات الليلة بقربها يترقّبُ الصُبح ليعرف هذا الكائن الذي لاقاه ليلًا، فإذا بها ذات منظر قبيح لم يعهد له مثيلًا، فالرأسُ رأس قط، واللسان لسان أفعى، والسّاق مشوّهة، وشواتها شواةُ كلبٍ، ولباسُها خرقةٌ باليةٌ أو قربةٌ قديمة.

---

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص222-227.

* **فهم:** قبيلة تأبط شرا. **رحى بطان:** موضع في بلاد هذيل. **السهب:** الفلاة، وهي أيضا ما بعُد من الأرض واستوى. **الصحصحان:** الأرض المستوية الواسعة العارية من النبت. **تهوي:** من الهَوي، وهو العدو السريع. **النّضو:** الدّابّة التي هزلتها الأسفار وأنضتها. **الأين:** التّعب والإعياء. **الشَّدّةُ:** الهَجمةُ، وهي أيضًا كُلّ قَدمةٍ في عُنف. **أهوى:** ارتفع وامتهدّ. **مصقول يماني:** السيف. **الدّهش:** ذهاب العقل من الذّهَل والوله والفزع. **الجِران:** مُقدّم العنق. **عُد:** أي أعد الضربة ثانية. **مكانك:** اثبتي وظلّي في مكانك. **ثبت:** أي ثابت. **الجنان:** القلب والفؤاد. **المخدج:** الناقص الخلق من الإبل وغيرها، والمقصود المشوه الممسوخ. **الشواة:** جلدة الرأس. **العباء:** من الكساء واسعٌ فيه خطوط سود كبار. **الشّنان:** الأسقية والزقاق الخلقة البالية من الجلد، وتكون داكنة اللون أقرب إلى السواد.

(2) ينظر، حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إشراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، 2005م، ص267.

يُجسّد الصعلوك مشاعره بإظهار مواقفه الزاهرة بالتغلب والانتصار، ولعلّ ورود رمز الغول يعبّر من خلاله عن إثبات قدرته على الانسجام والتّكيّف مع أقسى الظروف من جهة، وليثبتَ علوّ كعبه وكفاءته في القتال من جهة أخرى، وهذا في حدّ ذاته كافٍ ليجذب انتباه القبيلة (فهم)، عساها تُصحّح موقفَها، وتُعيد النظر في إبعاده؛ فتعيده إلى أحضانها، فيعيش هنيئًا بعيدًا عن مخاطر الموت، التي يتعرّض لها في مجاهل الصحراء.

1-1-3-2-رمز الجن

عرف العربُ الجاهليون الجنّ وتداولوا أخباره، وجعلوا له عالمًا كعالمهم؛ فهو قبائل تربط بينها رابطة القربى وصلة الرّحم، واتخذوا القفرَ والمنازلَ المهجورةَ مساكنَ لهم. وأسهب الشعراء الجاهليون في وصف القفار والفلوات الواسعة، التي قطعوها وهم يسمعون عزيف الجنّ في نواحيها[1]، وتطرّق الشعراء الصعاليك بدورهم إلى الجنّ، ومن ذلك قول **الشنفرى** (من الطويل):

وَوادٍ بَعيــدِ العُمــقِ ضَــنكٍ جُماعُــهُ مراصــدُ أيــمٍ قانــبُ الــرّأسِ أجــوفُ
وَحُــوشٍ يُــرى بــادِ الــذِّئابِ مَضــلّة بَواطِنُــــه لِلجــــنِّ والأُســــدِ مَــــألَفُ
تَعَسَّــفتُ مِنــهُ بَعــدَما سَــقَطَ النَــدى غَماليــلَ يَخشــى غيلَهــا المُتَعَسَّــفُ
وَإنَــي إذا خــامَ الجَبــانُ عَــنِ الــرَدى فَلي حَيثُ يَخشى أَن يُجاوِزَ مِخشَفُ[2]*

تحملُ الأبيات السابقة خبرًا من أخبار **الشنفرى**؛ إذ يذكر واحدًا من الأماكن الخطيرة التي كانت تعترض طريقه، وهو وادٍ عميق ضيّق تتخذه الأفاعي مرصدًا لتفتك بفرائسها في سكونٍ وهدوءٍ، يتيه السائر فيه، ظاهره ذئابٌ، وباطنه جنٌّ وأسود تسكنه، ومع هذا، سار فيه **الشنفرى** آخر الليل دون مُرشد أو دليل؛ يخترقُ الأحراش والشجر الملتفّ دون

---

[1] ينظر، عبد الغني زيتوني، الجن وأحوالهم في الشعر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي العربي، سورية، ع1، جانفي 1985م، ص ص125-126.

[2] شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبيد، ص ص104-105.

* **ضنك:** ضيّق. **جماعه:** مجتمع أصله. **مراصد:** مكان للرصد والترقب. **أيم:** ذكر الحيّة. **قانب:** منكمش ومَخفي. **أجوف:** مطمئن ومستوٍ: أي الوادي. **حُوش:** واد يسكنه الجن. **مُضِلّة:** يضلّ فيها السّائر. **تعسّفت:** سرتُ دون دليل. **غماليل:** جمع غملول، وهو الوادي الضيّق الكثير الشجر والنّبت الملتف. **غيل:** شجر كثيف ملتف. **خام:** ضعف. **مخشف:** جريء على أهوال الليل.

خوف، فهو شجاعٌ وجريءٌ، يُقدمُ إذا ما خاف الجبانُ وأحجم عن اقتحام هذه الأماكن الوحدة.

وتعجّ الأبيات السابقة بملامح الحياة، فالأفاعي والجنّ والذئاب والأسود أرواح/ كائنات حية تنتظر فريسة تتصيّدها وتقوي بها أجسادها الجائعة في هذا الوادي القفر المخيف. ونجا الصعلوك بشجاعته من فتكها؛ فحافظ على حياته، وفرّ بجلده منها، فكُتبت له حياةٌ جديدة، ليواصل مسيرته ومغامراته في الحياة بكلّ قوة وثبات.

وممّا يُنسبُ **لتأبّط شرا*** قوله (من الوافر):

وَنـــارٍ قَـــد حَضَـــأتُ بُعَيـــدَ هَـــدءٍ بِـــدارٍ مـــا أُريـــدُ بِهـــا مُقامـــا
سِـــوى تَحليـــلِ راحِلَـــةٍ، وَعَيـــرٍ أُكالِئُـــــهُ مَخافَـــــةَ أَن يَنامـــــا
أَتـــوا نـــاري، فَقُلـــتُ: مَنـــونَ أَنـــتُم؟ فَقـالوا: الجِـنَّ، قُلـتُ: عِمـوا ظَلامـا
فَقُلـــتُ: إِلـــى الطَعـــامِ، فَقـــالَ مِـــنهُم زَعـيمٌ: نَحسُـدُ الإِنـسَ الطَعامـا[1]**

في واحدة من رحلات **تأبّط شرًا**، توقّف ليلًا ليرتاحَ ويُريح راحلته، فأوقدَ نارًا تُبدّدُ ظلمةَ الليلِ وتُؤنسُهُ، وإذا بجماعة يقصدونه ويحضرون عنده، فسألهم عمّن يكونون، فأجابوه بأنّهم من الجنّ، فحيّاهم ودعاهم إلى الطّعام، فتكلم زعيمهم وأخبره بأنّ الجنّ تحسدُ الإنسَ على طعامها.

وتظهر من خلال هذه الأبيات صفة الكرم عند الصعاليك، التي يتحلون بها، حتى وهم فقراء معدمون في أمسّ الحاجة إلى الطّعام، ويتعدّى كرمهم الإنس إلى الجنّ، وكان الأجدر بتأبط شرا أن يخاف ويرتعب من جماعة الجنّ، لا سيمَا في جوف الليل وفي مكانٍ قفر، لكنه على العكس من ذلك؛ أبدى شجاعة منقطعة النظير باستقبال الجنّ ودعوتهم إلى مشاركته طعامه، لأنّ الصعلوك يعرف أنّ الطعام وسيلة لحفظ الحياة من

---

*أُختُلِفَ في نسبة هذه الأبيات إلى **تأبّط شرا**، فقد نُسبت إلى "**شمير بن الحارث الضّبّي**"، كما نُسبت إلى "**سهم بن الحارث الضّبّي**". للتفصيل أكثر في موضوع نسبتها يُنظر: ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص254-255.

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص254-257.

**حضأتُ النّار: سعّرتُها. بُعيد هدءٍ: بعد هزيع من الليل حين سكن الناسُ وهدأوا، والهَدْءُ: الثّلثُ الأوّل من الليل. تحليل الراحلة: إراحتها وحلّ حِملها عنها. أكالئه: أراقبه.

الموت، ولأنّه يعرف قيمة الجوع جاد بما يملك، ودعا الجنّ إلى مشاركتهم إياه، فهو من الباحثين عن القوت لحفظ الجسد من الهلاك.

نخلص مما سبق، إلى أنّ رمز الجنّ عند الصعاليك يرتبط بالحياة، فحضور الجنّ يرتبط بالحياة وتنوّعها، كما أنّه جزء يرتبط بالنسق الأسطوري الذي نسجه المخيال العربي القديم حول الكائنات الماورائية، والتي يتشجع الصعلوك حين يلقاها، بل يتعدى الأمر إلى قتلها والنيل منها؛ دفاعًا عن النفس وضمانًا للحياة، أما إذا كانت مسالمة فإنّ الصعلوك يتعايش معها ويعاملها معاملة الإنس، فيجود عليها بما يملك.

1-2-النسق الاجتماعي

قام البناء الاجتماعي في العصر الجاهلي على نظام القبيلة، بوصفها وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية مستقلة، فكانت الإطار الاجتماعي الذي يوجّه حياة العرب آنذاك، سواء أكانوا أهل مدر أو وبر، وينتسب أفراد القبيلة إلى «**أب واحد، وقلّ أن ينتسب إليها من لم يشاركها في نسبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء**»[1]، فالقبيلة، إذن، هي الإطار/ الحيّز الذي تظهر فيه روح الولاء والجماعة، فتتلاشى الذاتية، وتذوب في الجماعة.

غير أنّ الصعاليك، على خلاف هذا الفكر السائد، أسّسوا لأنفسهم مجتمعًا بديلًا عن القبيلة، مخالفين بذلك مبادئ المجتمع القائم، إذ ظهرت ذاتيتهم، وتغنّوا بها في إطار العصبية المذهبية، فجعلوا شعرهم وسيلة لإذاعة مذهبهم وإشاعة تصوراتهم وأفكارهم المناهضة للفكر القبلي.

فورد شعره مليئا بالحديث عن شتى الظواهر الاجتماعية، لذا يجد المتمعّن في شعرهم بروز عدّة بنيات، كبنية الفقر وبنية الغنى، وبنية القرابة... وهو ما سنقف عليه بالتحليل في ما هو آت.

1-2-1-بنية الفقر

يُعدّ الفقرُ السّمة الغالبة على العرب الجاهليين في صحراء الجزيرة العربية، إذ كان جُلُّهم فقراء معدمين، وكان المال في يد فئة قليلة تتمثل في سادة القبائل وأمرائها، فعاشَ

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1992م، ص38.

الفقراء حالَ الذّلّ والمهانة ينتظرون من يرمي لهم فتاتًا يقتاتون منه، ويسدّون به رمق جوعهم، ويرضون بالقليل مع أنهم في حاجة إلى الكثير.

ولم يرض الصعاليك بهذا الوضع، ولم يتقبلوا أن يعيشوا فقراء أذلّاء، فعبّروا عن هذا في أشعارهم، ومن ذلك قول **تأبط شرا** (من الطويل):

وَوادٍ كَجَوفِ العَيرِ، قَفرٍ، قَطَعتُهُ، بِهِ الذِئبُ يَعوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ
تَعَدّى بِزَيزاةٍ، تَعِجُّ، مِنَ القوا، وَمَن يَكُ يَبغي طُرقَةَ اللَيلِ يُرمِلِ
فَقُلتُ لَهُ، لَمّا عَوى،:إنّ "ثابِتًا" قَليلُ الغِنى إن كُنتَ لَمّا تَمَوَّلِ
كِلانا إذا ما نالَ شَيئًا أَفاتَهُ وَمَن يَحتَرِث حَرثي وَحَرثَكَ يُهزَلِ
كِلانا طَوى كَشحًا عَنِ الحَيِّ بَعدَما دَخَلنا عَلى كِلابِهِم كُلَّ مَدخَلِ
طَرَحتُ لَهُ نَعلاً مِنَ السِّبتِ طَلَّةً خِلافَ نَدًى مِن آخِرِ اللَيلِ مُخضِلِ
فَوَلّى بِها جَذلانَ يَنفُضُ رَأسَهُ كَصاحِبِ غُنمٍ ظافِرٍ بِالتَمَوُّلِ[1]*

يُصوّر **تأبّط شرًا** في هذه الأبيات موقفًا له مع الذئب، فأثناء تواجد الشاعر في وادٍ قفرٍ ظهر له الذئب يعوي، وهو يبحثُ عن طعامٍ يُسكتُ به جوعه، فأجابه **تأبّط شرًّا** بأنه فقير (قليل الغنى)، وكلّ من الذئب والصعلوك فقيرٌ جائعٌ يبحث عمّا يسدّ به رمقه، ولأنّ الصعلوك لا يملك شيئا يمنحه للذئب؛ فقد رمى له نعله ليتّقي شرّه، وكانت النعلُ طريةً مُندّاة، فخالها الذئب قطعة لحمٍ فحملها وولّى بها فرحًا، ظنًّا منه أنّه قد نال صيدًا ثمينًا.

أمّا **عروة بن الورد** فكان حواره مع زوجه **تماضر**، يقول (من الطويل):

قالَت تُماضِرُ إذ رَأَت مالي خَوى وَجَفا الأَقارِبُ فَالفُؤادُ قَريحُ
ما لي رَأَيتُكِ في النَدِيِّ مُنَكِّسًا وَصِبًّا كَأَنَّكَ في النَدِيِّ نَطيحُ

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص181-185.

* **السّمانى:** طائرٌ صغير، وقوله كأشلاء السمانى يريد أنه خلق مهلهل ممزق. **عصام القربة:** الحبلُ الذي تُحمل به ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره. **الكاهل:** موصل العنق إلى الظهر. **ذلول مرحّل:** أي اعتدت على ذلك، يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه. **المعيّل:** كثير العيال. **الزيزاة:** الأرض الغليظة. **تعجّ:** تُصوّتُ، يتردد فيها الصوت لخلوها. **القوا:** الخلاء، القفر من الأرض. **يُرمل:** يقلّ زاده وينفد. **طوى كشحًا:** انصرف. **الكلّاب:** صاحب الكلاب الذي يقوم على أمرها والحراسة بها. **السّبتُ:** الجلدُ المدبوغ. **الطّلّة:** الشربة من اللبن أو الخمر. **الخضل:** البلل الخفيف. **جذلان:** فرح.

خـاطِر بِنَفسِـكَ كَـي تُصـيبَ غَنيمَـةً إِنَّ القُعـودَ مَـعَ العِيـالِ قَبـيحُ
المـالُ فيـهِ مَهابَـةٌ وَتَجِلَّـةٌ وَالفَقـرُ فيـهِ مَذَلَّـةٌ وَفُضـوحُ[(1)]*

ينقلُ **عروة** صورة الفقير في مجتمعه، وما يعانيه من جفوة أقاربه، ما يُخلّفُ في نفسه جُرحًا غائرًا يُدمي قلبه ألمًا، فيشعر بالذّلّ والهوان وسط قومه، ويُتشاءم به لما تُبرزهُ ملامحُ وجهه التي تُظهر عجزه وضعفه، وأمام هذا الوضع؛ يجد الصعلوك نفسه مضطرًا للمخاطرة قصد تغيير حال الفقر التي يعيشها، والسعي إلى الغنى سدًّا لحاجته، ورفعًا لمكانته وسط قومه، فالقعود مع العيال أمر مذموم وقبيح، لأنّ المال يصبغ صاحبه بالمهابة والعظمة والجلال، والفقر مهانة وذلة وهوان وفضيحة.

ويقول **عروة** في موضع وصف الصعلوك/الفقير (من الطويل):

لَحـى اللَـهُ صُـعلوكًا، إِذا جَـنَّ لَيلُـهُ، مُصـافي المُشـاشِ، آلِفًـا كُـلَّ مَجـزَرِ
يَعُـدُّ الغِنـى مِـن نَفسِـهِ، كُـلَّ لَيلَـةٍ، أَصـابَ قِراهـا مِـن صَـديقٍ مُيَسَّـرِ
يَنـامُ عِشـاءً ثُـمَّ يُصـبِحُ ناعِسًـا، يَحُـتُّ الحَصـى عَـن جَنبِـهِ المُتَعَفِّـرِ
قَليـلُ اِلتِمـاسِ الـزادِ إِلا لِنَفسِـهِ، إِذا هُـوَ أَمسـى كَـالعَريشِ المُجَـوَّرِ
يُعـينُ نِسـاءَ الحَـيِّ، مـا يَسـتَعِنَّهُ، وَيُمسي طَليحًـا، كَـالبَعيرِ المُحَسَّرِ[(2)]**

ينتمي المقطع إلى رائية عروة الشهيرة والتي مطلعها (من الطويل):

أَقِلّـي عَلَـيَّ اللَـومَ يـا بنـت مُنـذِرٍ، وَنـامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاسهَري

وفيه يُقدّمُ **عروة** صورةً للصعلوك الخامل الفقير، ويبدأه بإلقاء اللعنة عليه (لحى الله)، فهذا الصعلوك الخامل إذا ما أرخى الليل سدوله انصرف يقتات من بقايا غيره، فيمشّ العظام، وإذا ما نال قرًى من صديق ميسور عدَّ نفسهُ غنيًّا وبلغ غايته القصوى،

---

(1) ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، ص88.

* **خوى:** خلا من المراح. **جفا:** ترك برّه وصلته. **قريح:** جريح. **النّديّ:** مجلس القوم. **مُنكّسًا:** خافضٌ رأسه. **وصبًا:** من الوصب، وهو الوجع والمرض. **النطيح:** الرجل الذي يُتشاءَم به. **تَجِلّة:** جلالة وعظمة.

(2) ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص68.

** **مصافي المشاش:** مختار، مؤثر للأكل. **والمشاش:** رأس العظم اللين. **المجزر:** الموضع الذي تجزر فيه الإبل. **الصعلوك:** أراد به الصعلوك اللئيم الذي يعيش خاملًا. **يحتّ الحصى:** لا يبرح الحي، **وحتّ الشيء:** قشره وأسقطه. **العريش:** شبه الخيمة. **يمسيطليحًا:** قد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير محسر، أي حسير ضعيف.

غير آبهٍ بزوجه وعياله، وهو على عكس الصعاليك النشيطين؛ ينام الليل بطوله، ويتّخذ الأرضَ فراشًا، والسّماء لحافًا، وإذا ما طلع عليه النهار؛ أصبح ناعسًا يُبعد عن ثوبه وجسده ما التصق به من حصى.

ويذهب **عروة** بعيدًا في تقديم صورة هذا الصعلوك الخامل الفقير، فيُخبرنا بأنّه يُعين نساء الحيّ ويشتغل بأعمالهن، وهذه مسبّة في حقّه، فعليه أن يقوم بما يقوم به الرّجال في خوض معترك الحياة، لا أن يقوم بأعمالٍ حقيرة لا ترقى إلى أعمال الرجال.

ويستمر الصعلوك الفقير الخامل على هذه الحال؛ بين النوم وإعانة النّساء والتقوت من فضلات غيره، لينهيه مُنهكًا كالبعير المُتعبِ، وهو بهذه الصورة حيوان –في نظر عروة– لا شأن له في الحياة، بل هو سقط متاعٍ وجب التخلّص منه.

وترد بنية الفقر عند **الشنفرى** في لاميته، ومن ذلك قوله (من الطويل):

أَديـمُ مِطـالَ الجـوعِ حَتّـى أُميتَـهُ وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحًا فَأَذهَلُ
وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يُرى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوَّلُ
وَلَولا اجتِنابُ الذَأمِ لَم يُلفَ مَشرَبٌ يُعاشُ بِهِ إلا لَدَيَّ وَمَأكَلُ
وَلَكِنَّ نَفسًا مُرَّةً لا تُقيمُ بي عَلى الذَامِ إلا رَيثَما أَتَحَوَّلُ
وَأطوي عَلى الخَمصِ الحَوايا كَما انطَوَت خُيوطَةُ مارِيٍّ تُغارُ وَتُفتَلُ
وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدَا أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ(1)*

يصوّر **الشنفرى** الفقير صراعه مع الجوع، الذي أضحى يهدّد حياته، ويقضّ مضجعه، غير أنّه اتّخذ من الصدّ والإحجام والتغافل موقفًا، وقابله باستعداده أن يستفّ

(1) ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، ص ص62-63.

*أديمُ: من المداومة، وهي الاستمرار. **المطال**: المماطلة. **أضرب عنه الذكر صفحًا**: أتناساه. **أذهل**: أنساه. **الطَّوْل**: المنّ. **المتطوّل**: المنّان. **الذّأم والذّام**: العيبُ الذي يُذمّ به. **يُلفى**: يوجد. **مُرّة**: صعبة أبيّة. **الخَمص**: الجوع، **والخُمص**: الضُّمر. **الحوايا**: جمع حويّة، وهي الأمعاء. **الخيوطة**: الخيوط. **ماريّ**: فاتل، وقيل: اسم رجل اشتهر بصناعة الحبال وفتلها. **تُغارُ**: يُحكم فتلها. **أغدو**: أذهب في الغداة، وهي الوقت بين شروق الشمس والظهر. **القوت**: الطعام. **الزهيد**: القليل. **الأزل**: صفة للذئب القليل اللحم. **تهاداه**: تتناقله وتتداوله. **التنائف**: الأرضون، واحدتها تنوفة، وقيل هي المفازة في الصحراء. **الأطحل**: الذي في لونه كُدرة.

التراب درءًا لنفسه عن الظهور في صورة الذليل المُهان حتى لا يتطاول عليه غيره، ساعيًا بذلك أن يحفظ كرامته وأن يظهر ذا أنفةٍ عزيزَ النفس.

وليس الأمر مُرتبطًا بطريقة كسب الطعام بقدر ما هو مرتبطٌ بإظهار الجانب المشرق في النفس، أي الكبرياء، التي يناضل **الشنفرى** ويكافح من أجل إبقائها عزيزة مُصانة، ولعلّ هذا الكبرياء ما يقف حائلًا بينه وبين حصوله على الطعام، فهو شديد الحرص على ألّا يذلّ أو يُهان أو يمنّ أحدٌ ما عليه، وهذا ما يراه عيبًا وانتقاصا من قدره.

وهذه الأنفة وعزّة النفس جعلتاه يقبل الجوع طواعيةً ويرضخ للأمر الواقع؛ أي الجوع الشديد الذي ألمّ به، فجعل أمعاءه تتلوى كحبال أُتقِنَ فتلُها، وأثناء بحثه عن الطعام ينتقلُ ويرتحلُ من مكانٍ إلى الآخر كوحوش الفلا يجوب الفيافي والقفار، رافعًا سقف طموحه معتمدًا على نفسه في تغيير وضعه[1].

بناءً على ما سبق، نصل إلى بنية الفقر كانت ظاهرة في شعر الصعاليك، وقد ارتبطت بالرغبة في الحياة الكريمة بعيدًا عن الذلّ والهوان، من خلال السعي نحو الغنى، والإقدام على المخاطر، وأن يعيش الصعلوك فقيرًا مصان الكرامة خير له من أن ينتظر عطف الآخرين عليه بما يعقب ذاك من منّ وأذى.

1-2-2-بنية الغنى

مثّل النظام العربي السائد في الجاهلية صراعًا بين أقليّة حاكمة تستأثر بالمال، وأغلبية محكومة تُعاني الفقرَ والجوعَ، وكان الصعاليك من الفئة الثانية، لكنهم لم يركنوا ويستسلموا للسائد، فآلوا على أنفسهم السعي نحو الغنى، وسلكوا طريق الصعلكة لبلوغ غايتهم. ومن الأمثلة الدالة على هذا النّسق قول **عروة بن الورد** (من الوافر):

دَعينـــي لِلغِنـــى أَســـعى، فَـــإِنّي رَأَيـــتُ النـــاسَ شَـــرُّهُمُ الفَقيـــرُ
وَأَبعَـــدُهُم وَأَهـــوَنُهُم عَلَـــيهِم، وَإِن أَمســـى لَـــهُ حَسَـــبٌ وَخيـــرُ
وَيُقصـــيهِ النَـــديُّ، وَتَزدَريـــهِ حَليلَتُـــهُ، وَيَنهَـــرُهُ الصَـــغيرُ

[1] ينظر، عاطف محمد مصطفى كنعان، الإنسان في الشعر الجاهلي في ضوء الدراسات الحديثة، إشراف: محمد السمرة، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأدرنية، الأردن، كانون الأول، 1997م، ص19.

وَيُلفــى ذو الغِنــى، وَلَــهُ جَــلالٌ، يَكــادُ فُــؤادُ صــاحِبُهُ يَطيــرُ
قَليــلٌ ذَنبُــهُ، وَالــذَنبُ جَــمٌّ، وَلَكِــن لِلغِنــى رَبٌّ غَفــورُ[1]*

تظهر بنية الغني في الأبيات السابقة، بذكر صفات الغني ومكانته عند الناس، فهو ذو عزّة وشأن ومهابة في مجتمعه، يحضر المجالس، وتحترمه زوجه، ويوقّره الصغير، كما أنّ الغنى والمال يُكسبه جلالًا ومهابة في قلوب الناس، ومهما ارتكب من ذنوب فهي قليلة في نظر الناس، لأنّ ستر الغنى يُغطيها ويحول دون رؤيتها. وهذا ما يسعى إليه **عروة**، وبقية الصعاليك، أن يغتنوا ويلقوا المكانة الرفيعة في قلوب الناس، لأنّ فقرهم جعلهم محتقرين في قومهم، مهانين في بيوتهم لدى عيالهم وأزواجهم.

وغير بعيدٍ عن هذا؛ نجد **الشنفرى** يقول (من الطويل):

فَـإِنّي لَمَـولى الصَـبرِ أَجتـابُ بَـزَّهُ عَلى مِثلِ قَلبِ السِمعِ وَالحَزمَ أَفعَلُ
وَأُعــدِمُ أَحيانًــا وَأَغنــى وَإِنَّمــا يَنــالُ الغِنــى ذو البُعْـدَةِ المُتَبَـذَّلُ
فَــلا جَــزِعٌ مِــن خَلَّــةٍ مُتَكَشِّــفٌ وَلا مَـرِحٌ تَحـتَ الغِنـى أَتَخَيَّـلُ[2]**

تظهرُ في الأبيات أخلاق **الشنفرى**، في حالي الفقر والغنى، فمتى ما كان فقيرًا كان صبورًا حازمَ الفعلِ، ولا يخافُ من فقره الذي ألمّ به، وهو متى اغتنى لا يفرحُ ولا يختالُ أو يغترّ بغناه، فالحال عنده سَيّان، **والشنفرى** نفسه **الشنفرى**؛ فقيرًا كان أم غنيًّا، لا يؤثر في شخصيته شيء، والمال عنده وسيلة للحياة، لا غاية في حدّ ذاتها.

ويردّ **تأبّط شرًا** على لائميه بقوله في قافيته المفضلية (من البسيط):

يــا مَــن لِعَذّالَــةٍ، خَذّالَــةٍ، أَشِــبٍ، حَــرَّقَ بِــاللَومِ جِلــدي أَيَّ تِحــراقِ
يَقولُ: أَهلَكتَ مـالاً، لَـو قَنِعتَ بِـهِ، مِن ثَوبِ صِدقٍ، وَمِن بَزٍّ وَأَعلاقِ

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص79.

* **الخير**: هنا بمعنى الشرف. **تزدريه**: تحتقره. **حليلته**: زوجته. **ينهره**: يعامله معاملة سيئة. **جلال**: إكرام وإكبار وتعظيم.

[2] ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، ص69.

** **مولى الصّبر**: وليّه. **أجتابُ**: أقطعُ. **البزّ**: الثّياب. **السِّمع**: ولد الذئب من الضّبع. **أنعل**: أتّخذُه نعلًا. **أُعدِم**: أفتقرُ. **البعدة**: بضمّ الباء وكسرها، اسمٌ للبعد. **المتبذّل**: المُسِفُّ الذي يقترف ما يُعاب عليه. **الجَزِع**: الخائف أو عديم الصبر عند وقوع المكروه. **الخَلّة**: الفقر والحاجة. **المتكشّفُ**: الذي يكشف فقره للناس. **المَرِح**: شديد الفرح. **المُتخيّل**: المختال بغناه.

عـاذِلَتي.. إنَّ بَعضَ اللَـومِ مَعنَفَـةٌ، وَهَـل مَتـاعٌ وَإن أَبقَيتُـهُ بـاقِ؟ !
إنّـي زَعيمٌ، لَـئِن لَـم تَتْرُكـي عِـذَلي، أَن يَسـأَلَ الحَـيَّ عَنّـي أَهـلَ آفـاقِ
أَن يَسـأَلَ القَـومُ عَنّـي أَهـلَ مَعرِفَـةٍ فَـلا يُخَبِّـرُهُم عَـن "ثابِـتٍ" لاقِ
سَـدِّد خِلالَـكَ مِـن مـالٍ تُجَمِّعُـهُ حَتّـى تُلاقـي الَّـذي كُـلُّ اِمـرِئٍ لاق
لَتَقـرَعَنَّ عَلَـيَّ السِـنَّ مِـن نَـدَمٍ إِذا تَـذَكَّرتَ يَومـاً بَعضَ أَخلاقِي[1]*

يُنكرُ **تأبط شرّا** على عاذلته لومها على إنفاقه مالَهُ، وتطالبه بأن يبقيه ويدّخره، وأن يمتنع عن بذله، ويردّ عليها بأنّه حتّى وإن أراد أن يُبقي متاعًا فإنّه لن يبقَى، ويتعرّف للتلف، فكلّ مُدّخَرٍ سيفنى ويزول ولن يبقى منه شيء.

ويستمر **تأبط شرا** متمسكًا برأيه حول إنفاق المال، ويصل لدرجة تهديد عاذلته بالرحيل إنْ لم تكفّ عن لومه، فيذهبُ مسافرًا في الآفاق ولن تقف له على خبر أو أثر، ليقدّم نصيحةً لمتلقي شعره بأن يسعى للغنى ويبذل ماله في سدّ حاجته وفقره حتّى يوافيه الأجل.

وهذه اللائمة ستندم على لومها إياه إذا ما فارقها واستذكرت شيمه وأخلاقه الكريمة، ومن بينها الجود والكرم، والبذل والعطاء، فهو ليس بخيلًا همّهُ اكتنازُ المالِ وادّخارُه، وهي الخصال نفسها التي تُبقي ذكرهُ أبدَ الدّهر.

بناءً على ما سبق، نخلص إلى أنّ بنية الغنى في شعر الصعاليك قد وردت مناقضةً لبنية الفقر، إذ يحمل الفقرُ معنى المعاناة والجوع والاحتقار والمهانة، بينما يحمل الغنى معاني الجلال والتقدير والعزّة والمكانة الاجتماعية الرفيعة، وهو ما يصبو إليه الصعاليك بِسعيهم نحو الغنى، أي أن ينالوا التقدير والاحترام في مجتمعهم، فسعوا إلى الغنى، ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوه وسيلةً للبذل والعطاء والعطف على الفقراء الآخرين قصد سدّ حاجاتهم التي يشتركون معهم فيها، فالمالُ غايةٌ ووسيلةٌ في الوقت نفسه عند الصعاليك.

---

[1] ديوان تأبّط شرًا وأخباره، ص ص140-144.

* **عذّالة:** اللائمة. **خذّالة:** تخذله في إرادته وتخالفه فيها. **الأشبِ:** المختلط الذي لا يقفُ عند حدّ. **ثوب صدق:** ثوبٌ يصدق في الجودة. **البزّ:** ثياب المعركة أو السلاح. **الأعلاق:** جمع علق، وهو المال الكريم. **الزعيم:** الضامن والكافل. **أهل آفاق:** كناية عن سفره الطويل. **الخِلال:** جمع خلة، وهي الفقر والعوز. **لتقرعنّ عليّ السّن:** أي لتصكّنّها ندمًا وحسرةً.

1-2-3-بنية القرابة

نتناول في هذا المبحث أهم بنيات القرابة في شعر الصعاليك، وقد قسمناها وفق الجنس: أعمدة القرابة الصلبة، للذكور، وأعمدة القرابة الناعمة وهي للإناث، وفيما يلي تفصيل لها.

1-2-3-1-أعمدة القرابة الصلبة (الذكر)

يمثّل الرجل عنصرًا فاعلًا في المجتمع العربي الجاهلي، إذ توكل له المهمات الصعبة، فيتحمّل أعباء الحياة في شتى المجالات؛ من سلطةٍ سياسية، ودفاعٍ عن القبيلة وحماها إذا ما تعرّضت للغزو والإغارة. وقد يكون هذا الرجل: أبًا، أو أخًا، أو ابنًا، أو غير ذلك، ولأنّ طبيعة الحياة العربية قوامها الحروب والنزاعات، فلا بدّ أن تتّسم العلاقة بين الإخوة بالتآلف والتآزر والتعاضد، لتحقّق لهم مكانة رفيعةً في مجتمع يقوم على مبدأ التلاحم والقوة[1].

وقد فهم كثير من الصعاليك قيمة الأخ فعبّروا عنها في أشعارهم، ومن ذلك قول **صخر الغي الهذلي** في رثاء أخيه (من الطويل):

لَعَمرُ أَبـي عَمروٍ لَقَد ساقَهُ المَنـا ... إِلـى جَـدَثٍ يـوزى لَـهُ بِالأَهاضِـبِ
لِحَيَّـةِ قَفْـرٍ فـي وِجـارٍ مُقيمَـةٍ ... تَنَمّـى بِهـا سَـوقُ المَنـا وَالجَوالِـبِ
أَخـي لا أَخـا لـي بَعدَهُ سَبَقَت بِـهِ ... مُنَيَّتُـهُ جَمـعَ الرُقـى وَالطَبائِـبِ
فَعَينَـيَّ لا يَبقـى عَلـى الـدَهرِ فـادِرٌ ... بِتَيهـورَةٍ تَحـتَ الطِخـافِ العَصـائِبِ
تَمَلّـى بِهـا طـولَ الحَيـاةِ فَقَرنُـهُ ... لَـهُ حِيَـدٌ أَشـرافُها كَالرَواجِـبِ
يَبيـتُ إِذا مـا آنَـسَ اللَيـلَ كانِسًـا ... مَبيتَ الغَريـبِ ذي الكَسـاءِ المُحـارِبِ
مَبيـتَ الكَبيـرِ يَشـتَكي غَيـرَ مُعتَـبٍ ... شَـفيفَ عُقـوقٍ مِـن بَنيـهِ الأَقـارِبِ
بِهـا كـانَ طِفـلاً ثُمَّ أَسدَسَ فَاِستَوى ... فَأَصـبَحَ لِهمًـا فـي لُهـومٍ قَراهِـبِ
يُـرَوَّعُ مِـن صَـوتِ الغُـرابِ فَيُنتِحـي ... مَسـامَ الصُـخورِ فَهُـوَ أَهـرَبُ هـارِبِ
أُتـيحَ لَـهُ يَومًـا وَقَـد طـالَ عُمـرُهُ ... جَريمَـةُ شَـيخٍ قَـد تَحَنَّـبَ سـاغِبِ

[1] ينظر، عادل حماد القاسمي البلوي، صورة الأخ في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف: خليل الرفوع، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2008م، ص16.

يُحامي عَلَيهِ في الشِتاءِ إِذا شَتا وَفي الصَيفِ يَبغيهِ الجَنا كَالمُناحِبِ
فَلَمّا رَآهُ قالَ لِلِّهِ مَن رَأى مِنَ العُصمِ شاةً قبلهُ بِالعَواقِبِ
أحاطَ بِهِ حَتّى رَماهُ وَقَد دَنا بِأَسمَرَ مَفتوقٍ مِنَ النَبلِ صائِبِ
فَنادى أَخاهُ ثُمَّ طارَ بِشَفرَةٍ إِلَيهِ اِجتِزارَ الفَعفَعِيِّ المُناهِبِ[1]*

رثى **صخرُ الغيّ** أخاه، وأخبرنا أنّ القدر ساقه إلى أن يُدفن في الأهاضب، ويعود سبب وفاته إلى لدغة حية، ولم تنفع في علاجه الرقى والطبائب، ثم يشبّهه بالوعل، ويصوّر لنا حياته منذ الطفولة إلى الكبر، وكيف كان يمضي أيامه فوق الصخور، وفي الكناس، ويتّقي الوعل ويخشى نعيق الغراب التي تهدّد حياته، فإذا ما سمعها انتحى مسام الصخور للنجاة بحياته، فهو شديد الحرص على البقاء حيًا.

ولأن الحياة القبلية تعتمد على القوة وأسبابها لتحصيل المعاش؛ سعى العربي إلى الإنجاب إكثارًا من الذّريّة، وبخاصة الذكور، إذ بهم تشتدّ الأسرة، ويقوى البيت، وتعز القبيلة. وكلما ازداد عدد الذكور ازدادت قوتهم وبأسهم وفروسيتهم، ما يؤدي إلى ارتفاع شأن القبيلة، وعلوّ مكانتها بين القبائل الأخرى. لذا، كان الأبُ يُعِدُّ أبناءهُ منذ الصّغر ليكونوا فرسانًا شجعانًا، يذودون عن أسرهم وقبائلهم، إذ كانت العلاقة بين الأب وابنه تقوم

---

[1] السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص ص245-250.

* **المنا**: القدرُ. **الجدثُ**: القبر. **يوزى له**: يُشرّفُ له ويُنصبُ. **الأهاضب**: جمع هضبة، وهي رؤوس الجبال. **الوجار**: جُحر الحية والضبع. **تنمّى**: ارتفع من مكانه إلى آخر. **سوق المنا**: القَدَر. **الجوالب**: ما يجلبُ الدهر من آفات وشدائد. **الطبائب**: جمع طبيبة، ولعلّ المقصود الكاهنة التي ترقي المريض. **والطبيبة**: القطعة المستطيلة من القماش أيضا. **الفادر**: الوعلُ المُسنّ. **التيّهورة**: ما اطمأنّ من الرّمل. **الطّخاف**: ما رقّ من الغيم، وهو الطّهاءُ أيضًا. **العصائب**: العمائم. **تملّى**: تمتّع. **الرواجب**: ما نتأ من أصول الأصابع إذا ضممت كفّك. **حيد**: جوانب. **ألبسَ**: غطّى. **الكناسُ**: مثل البيت، يحفره في أصل شجرة ويكون فيه. **غير معتب**: لا يُطلَبُ رضاه، قد استخفوا به. **الشفيف**: الوجع. **العقوق**: القطيعة. **أسدس**: وقع سديسه، وهو السنّ التي تلي الرباعية. **لهمًا**: مُسنًا. **قراهب**: مسان، واحده قرهب. **ينتحي**: يعتمد. **مسام الصخور**: ممره في الصخور. **أتيحَ له**: قُدر له. **جريمة شيخ**: أي كاسب شيخ، أي صائدٌ يكسبُ لأبيه، وجريمة القوم: كاسبهم. **تحنّبَ**: احدودب، أي تحنّت عظامه. **ساغب**: جائع. **الجنا**: ما اجتنى من الثمر. **المناحب**: المجاهد. **النحب**: النّذر. **العُصم**: الأروى، **وعَصَمُها**: خطوط في أيديها. **في العواقب**: مآخير الزمان. **أسمر مفتوق**: يعني سهم مُخلّق. **مفتوق من النبل**: سهم واسع النصل. **صائب**: قاصد. **شفرة**: سكّين. **اجتزار**: قطع. **الفعفعي**: الخفيف. **المناهب**: المبادر.

على عطف الأب وحنانه تجاه ابنه، ومع هذا كان للشّدّة والقوّة حضور يداخل عاطفة الحنان، ما يجعلهما تلائمان طبيعة الحياة في ذلك العصر[1].

وبناءً على هذا؛ كانت مكانة الأب عظيمة في نفس ابنه، فسعى إلى حمايته حيًّا، والمطالبة بثأره ميّتا، ومثال ذلك **الشنفرى** الذي سعى لأخذ ثأر والده "**الأواس**" الذي قتلته "**بنو سلامان**"، فاستعان بقومه "**الأزد**" للأخذ بثأره ومساندته في مسعاه، لكنهم تثاقلوا عن نصرته، والانتقال له؛ يقول **الشنفرى** (من الطويل):

أَضَعتُم أَبي قتلاً فَكُنتُم بِثَأرِهِ عَلى قَومِكُم يا آلَ عَمرِو بن مَرثَدِ
فَها أَنَذا كَاللَّيثِ يَحمي عَرينَه وَإِن كُنتُ عانٍ في وِثاقي مُصَفَّدِ
فَإِن تَقطَعوا كَفِّي أَلا رُبَّ ضَربَةٍ ضَرَبتُ وَقَلبي ثابِتٌ غير مُرعِدِ
أَضَعتُم أَبي إِذ مالَ شِقٌّ وِسادِه عَلى جَنَفٍ قد ضاعَ مَن لَم يُوَسَّدِ
فَإِن تَطعَنوا الشَّيخَ الذي لم تُفَوِّقوا مَنِيَّتَهُ، وَغِبتُ إِذ لَم أُشَهَّدِ
فَطَعنَةُ خِلسٍ مِنكُمُ قَد تَركتُها تَمُجُّ عَلى أَقطارِها سُمَّ أَسوَدِ
فَإِن تَقتُلوني تَقتُلوا غَيرَ ناكِصٍ ولا يرم هامٍ عَلَى الحيرِ مُلهَدِ
أَلا فَاقتُلوني إِنَّني غَيرُ رَاجِعٍ إِلَيكُم وَلا أُعطي عَلَى الذُّلِّ مِقوَدي[2]*

يُعاتبُ **الشنفرى** "**آل عمرو بن مرثد**" الذين تثاقلوا عن الأخذ بثأر أبيه، فهم بهذا قد كانوا ضدّ قومهم، ما جعله يعتمد على نفسه في الثأر لأبيه، حتى وإن كلّفه ذاك قطع كفّه فلن يتراجع عن مسعاه، فهو مُقبلٌ غير مدبرٍ ولا خائفٍ عن مواجهة قاتلي أبيه ليُشفي غليله ويُريح باله. ويتمظهر نسق الحياة أكثر في قوله:

فَإِن تَطعَنوا الشَّيخَ الذي لم تُفَوِّقوا مَنِيَّتَهُ، وَغِبتُ إِذ لَم أُشَهَّدِ

---

[1] ينظر، عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين (الإمارات)، ط1، 2001م، ص ص115-116.

[2] الشنفرى الأزدي، تحقيق: أحمد محمد عبيد، ص ص89-90.

* **جنف:** ميل. **طعنة خلسٍ:** طعنة اقتنصتها ببراعتي وحذري. **أقطارها:** جوانبها. **أسود:** ثعبان. **ناكص:** راجع.

أي أنّ **الشنفرى** لو كان حاضرًا لدافع عن أبيه ومنع الموت عنه، لكن غيابه حال دون ذلك، ما جعله يتعرّض للطعن فالموت من "**آل سلامان**"، **والشنفرى** لم يفعل أيّ شيء لأبيه غير أخذه بثأره، يقول (من الطويل):

قَتَلنـــا قَتـــيلاً مُحرمًـــا بِمُلَبَّـــدٍ جِمـارَ مِنًـى وَسـطَ الحَجـيجِ المُصَـوَّتِ
جَزَينـا سَـلامانَ بـنَ مُفـرِجَ قَرضَـها بِمـــا قَـــدَّمَت أَيـــديهِمُ وَأَزَلَّـــتِ
وَهُنَّـئَ بـي قَـومٌ وَمـا إِن هَنَـأتُهُم وَأَصبَحتُ فـي قَومٍ وَلَيسوا بِمُنبَتـي[1]*

فالشنفرى، على غير عادة العرب، يأخذ ثأره من قاتِل أبيه فقط، ولا يتعدّاه إلى غيره من أفراد القوم، فهو يأخذ حياةً بحياةٍ، ويحافظ على حياة البقية، على غير السائد عند العرب المعروفين بأخذ الثأر من كل من يلقاه طالب الثأر من القبيلة الجاني التي قتلت قريبه.

وإذا انتقلنا إلى شاعر آخر، وهو **عروة الصعاليك**، فإنّنا نجده ينقُم على أبيه، يقول (من الطويل):

مـا بِـيَ مِـن عـارٍ إِخـالُ عَلِمتُـهُ، سِوى أَنَّ أَخوالي، إِذا نُسِبوا، نَهدُ
إِذا مـا أَرَدتُ المَجـدَ قَصَّـرَ مَجـدُهُم، فَأَعيـا عَلَـيَّ أَن يُقـارِبَني المَجـدُ
فَيـا لَيـتَهُم لَـم يَضـرِبوا فِـيَّ ضَـربَةً، وَأَنِّـيَ عَبـدٌ فـيهِمُ، وَأَبـي عَبـدُ
ثَعالِبُ فـي الحَربِ العَوانِ، فَإِن تَبُخ، وَتَنفَرِجِ الجُلّـى، فَـإِنَّهُمُ الأُسـدُ[2]**

يتبرّأ **عروة** من كلّ نُقص قد يلتصق به، ويستثني عارًا واحدًا، هو أنّ أخواله من قبيلة وضيعة لا ترقى إلى قبيلة أبيه، وهذه الوضاعة تقف في طريقه نحو المجد، وهو

---

[1] ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص37.

* **المُحرم:** الداخل في الحرم. **مُلبّد:** إشارة إلى عادة العرب في العصر الجاهلي بدهن شعورهم بشيء من الصّمغ للتلبد. **المصوّت:** الذي يجهر بصوته في الدعاء ونحوه. **الجمار:** الحصى التي يرمي بها الحاجّ في منى. **منى:** مكان في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي بها الجمار في الحرم. **سلامان بن مفرج:** بطنٌ من الأزد، وهم بنو عمّ الشنفرى، وقيل: كانوا قتلوا أباه. **أزلّت:** قدّمت.

[2] ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، ص74.

** **نهد:** قبيلة في بلاد اليمن. **أعيا علي:** أعجزني عن مقاربة المجد. **لم يضربوا فيّ ضربة:** لم يُشركوني في نسبهم. **الحرب العوان:** التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة. **تبُخ:** يعني الحرب، أي تنطفئ وتسكن. **الجُلّى:** الأمر العظيم.

بهذا صار عبدًا وأباهُ، ويصفهم بالجُبن في ساح الوغى، وادّعاء الشجاعة إذا ما انجلى غبار المعركة.

ويردُ الأب في هذه الأبيات ليحمل معاني النقمة التي يُكنّها **عروة** نحو أبيه، **فعروة** بعيدٌ عن المجد بسبب سوء اختيار أبيه، ولو أنّ أباه أحسن اختيار أخوال أبنائه لكان **لعروة** شأنٌ آخر في قومه، كما يرى، لذا فمحبّة الابن لأبيه في هذه الأبيات يشوبها العار. هذا عن تيمة الأب عند الأبناء.

أمّا إذا ذهبنا نتلمّس تيمة الأبناء في شعر الصعاليك، فإنّنا نجد نماذج منها، كقول السليك بن السلكة (من الرجز):

مَـن مُبلِـغَ حَربًـا بِـأَنّي مَقتـول
يـا رُبَّ نَهـبٍ قَـد حَوَيـتُ عُثكـول
وَرُبَّ خِـرقٍ قَـد تَرَكـتُ مَجـدول
وَرُبَّ زَوجٍ قَـد نَكَحـتُ عُطبـول
وَرُبَّ عـانٍ قَـد فَكَكـتُ مَكبـول
وَرُبَّ وادٍ قَـد قَطَعـتُ مَشـبول[1]*

أنشدَ **السليك** هذه الأرجوزة وهو يفارق الحياة، فأراد إيصال رسالة إلى ولده تَعجُّ بمظاهر الحياة، فنكاحُ المرأة العطبول يُخلّف في النفس رضًا ويبث الحياة فيها، كما أنّ النكاح يعني حملًا وميلادَ طفلٍ جديدٍ إلى الدنيا، وفكّ الأسير يعني خروجه من الضّيق إلى فسحة الحياة والشعور بالحريّة، ونجاته من وادٍ مليء بالأسود وأشبالها نجاةٌ من الموت المحقّق وكتابة عُمر جديد له.

وأما إذا انتقلنا إلى **عروة بن الورد** فإننا نجده يقول (من الطويل):

قُلـتُ لِقَـومٍ فـي الكَنيـفِ تَرَوَّحـوا عَشِـيَّةَ قِلنَـا عِنـدَ مـاوانَ رُزَّحِ

---

[1] السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص ص63-64.

* **حرب:** ابن السليك، وكان به يُكنّى. **العثكول:** عذق النخلة، وهو بمنزلة العنقود من الكَرْم. **الخِرق:** الظريف في سماحة ونجدة. **مجدول:** مصروع على الجدالة وهي الأرض. **العطبول:** المرأة الحسنة التّامة. **عانٍ:** عاجز وأسير. **مكبول:** مُقيّد. **مشبول:** المكان الذي فيه أشبال الأسود.

تَنَـالوا المنـى أَو تَبلُغـوا بِنُفوسِـكُم إِلـى مُسـتَراحٍ مِـن عَنـاءٍ مُبَـرِّحِ
وَمَـن يَـكُ مِثلـي ذا عِيـالٍ وَمُقتِـرًا مِنَ المـالِ يَطـرَح نَفسَـهُ كُـلَّ مَطـرَحِ
لِيَبلُـغَ عُـذرًا أَو يُصـيبَ رَغيبَـةً وَمَبلَـغُ نَفـسٍ عُـذرَها مِثـلُ مُـنْجِحِ
لَعَلَّكُـمُ أَن تَصْـلُحُوا بَعـدَما أَرى نَبـاتَ العِضـاهِ المُقبِـلِ المُتَـرَوِّحِ
يُنـوءونَ بِالأَيـدي وَأَفضَـلُ زادِهِـم بَقِيَّـةُ لَحـمٍ مِـن جَـزورٍ مُمَلَّـحِ[(1)]*

يُخاطب **عروة** من معه من أصحاب الكنيف، وهم عند مكان ماءٍ يُسمّى "**ماوان**"، اتّخذوه موطنًا للراحة بعد أن نال منهم التّعب، ويُطالبُهم أن يتزوّدوا من هذا المكان لعلّهم ينالون غنىً فيرتاحوا من الجوع والتّعب الذي نال منهم، ثم ترد تيمة الأبناء بقوله:

وَمَـن يَـكُ مِثلـي ذا عِيـالٍ وَمُقتِـرًا مِنَ المـالِ يَطـرَح نَفسَـهُ كُـلَّ مَطـرَحِ

فعروة ذو عيال ينتظرون أن يحضر لهم الطعام والزاد الذي يقوون به أجسادهم، ولأجل ذلك فهو يطرح نفسه كل مطرح، أي يُغامر في سبيل تحصيل قوته وقول عياله، فإن حصّله فهو جدير به، وإن لم يفعل فإّنه قد كفاه شرف المغامرة.

يُمثّل الأبناء الحياة لآبائهم، بهم تزهو، ولأجلهم يرتقى كلّ صعبٍ، يسعدُ بسعادتهم، ويحزن لحزنهم، وهم حقًّا زينة الحياة؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. سورة الكهف، الآية46.

1-2-3-2-أعمدة القرابة الناعمة (الأنثى)

تحتل المرأة مكانة مهمة عند عرب الجاهلية، إذ «نزلت المرأة من نفس العربي منزلة رفيعة، فهي الأم والأخت والبنت والحبيبة»[(2)]، فنجد الشعراء يبدأون القصائد بذكرها،

---

(1) ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، ص ص52-54.

* **الكنيف:** الحظيرة من الشجر تُتّخذ للإبل والغنم لتقيها الريح والبرد. **تروّحوا:** سيروا وقت الرواح، وهو بعد الزوال بقليل إلى الليل. **ماوان:** وادٍ فيه ماء فيما بين النّقرة والرّبذة، فغلب عليه الماء فسُمّي ذلك الماءُ: ماوان. **رُزّح:** مهازيل، وهي صفة القوم. **يطرحُ نفسه كلّ مطرح:** أي يبتعد كلّ الابتعاد عن أهله، ويرمي نفسه في كلّ مشقّة. **الرغيبة:** الشيء المرغوب فيه، وأراد المال. **المنجح:** الظافر الغانم. **الطلح:** شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل، الواحدة طلحة. **ينوءون بالأيدي:** ينهضون بجهد ومشقة معتمدين على الأيدي. **جزور:** ما ذُبح من الإبل.

(2) يحي الجبوري: الشعر الجاهلي -خصائصه وفنونه-، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي-ليبيا، ط6، 1993، ص 48.

فيتغنون بجمالها، ويكنونها بكنيتها، ويحترمونها، ويفخرون بالنسبة إلى أمهاتهم كما يفخرون بآبائهم[1]. ولا يُختزل الحديث عن المرأة في هذا الباب، فقد كان من عادة العرب، وبخاصة الفقراء منهم، وأدُ بناتهم، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ البنت "عارٌ" يجبُ دفنه*، والخلاص منه، فالخوف من السّبي وإلحاق العار بالقبيلة كان السبب الرئيس في هذا؛ يقول **محمد الشيخ محمود صيام:**«**فالاهتمام بالأبناء الذكور كانت تفرضه حالة الغزو المستمر، وحالة الحرب الدائمة والحرب على النساء، والتشاؤم من مولد الفتيات، كانت تفرضهما خليقة استباحة النساء في الغزو وسبيهن في القتال. كما كانت تفرضهما حساسية البدوي في الصحراء من ناحية عرضه، وحرصه على حريمه وخوفه من أن يعيّر بهن إذا انتهكت أعراضهن أو استبيحت حرماتهن**»[2]، فالخوف من العار، والخوف على السمعة التي تتميز بها الأسرة ومن ورائها القبيلة حدا بالعربي إلى وأد بناته. لكن هذا لم يمنع أن يكون في العرب من يحارب هذه العادة، فقد نهى عنه **زيد بن عمرو بن نفيل القرشي**، وتبعه في ذلك **صعصعة بن ناجية** جد **الفرزدق**، إذ كان يطوف بين القبائل فيفتدي البنت من الوأد بناقتين وجمل[3].

لم تكن نظرة الخوف هذه منتشرةً عند كلّ العرب، فإنّ من العرب من كان يكرمُ بناته ويخاف على حياتهن، بل إنّه كان من عادتهم أن يشاور الأبُ ابنته، ولها كامل الحرية في اختيار بعلها، فقد روي أن **عتبة بن ربيعة** عندما خطب كلٌّ من: **سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب** ابنته **هند**، استشارها، وعرض عليها صفات كليهما، فاختارت **أبا**

---

[1] ينظر، محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 39.

* يرى كثيرون؛ أنّ أوّل من وأد البنات من العرب "قيس بن عاصم المِنقريّ التميمي"، وكان وجوه قومه "بني تميم"، ومن ذوي المال، وسبب قتله بناته أنّ "النعمان بن المنذر" غزَا "بني تميم" بجيشٍ لمنعِهم الإتاوة، فسبوا ذراريهم، فأرسل له القوم يسألونه تحرير أسراهم، وخيّر النعمان النساء الأسيرات؛ فمن اختارت أباها رُدّتْ إليه، ومن اختارت سابيها تُركَتْ له، فاختارت كُلُّهُنّ أباها، إلا ابنةً لقيس بن عاصم؛ فإنها اختارت صاحبها "عمرو بن المُشَمْرَج"، فنذر قيس أنّه لا تولَدُ له ابنةٌ إلا قتلها، فكان يقتلهنّ. ينظر، المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص ص112-114.

[2] محمد الشيخ محمود صيام، طرفة بن العبد –حياته وشعره–، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة–السعودية، 1979–1980، ص ص 48، 49.

[3] ينظر، حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–مصر، (د.ط)، 2014، ص 10.

سفيان لما يميزه عن سهيل من حسب حسيب، ورأي سديد، وعزّ عشيرة، ورحمة بأهله[1]، وهذا يدلّ على احترام المرأة واستشارتها والأخذ برأيها، وعدم انفراد الرجل برأيه، وبخاصة زواجها واختيار شريكها.

كانت هذه لمحةً عن حضور المرأة عند العرب، وسنتطرق فيما يلي إلى تيمة الأنثى في شعر الصعاليك.

تُعدّ الأم أوّل امرأة يعرفها المرء في حياته، فهي من تحمله في بطنها جنينا، ثم يخرج إلى الحياة فتقوم على شؤونه وتنشئته، وتبقى مرتبطة به أبدًا، لذا فالرجل يفخر بأمّه كما يفخر بأبيه، وهناك من انتسب من عرب الجاهلية إلى أمه، بل ومن الصعاليك على وجه الخصوص؛ **كالسليك بن السلكة.**

وإذا ما نظرنا في شعر الصعاليك؛ فإننا نجد حضور المرأة متعددا، فمنها الأم، والحبيبة، والعاذلة، والمجيرة.

أما عن الأم فنجد قول الشنفرى (من الطويل):

ألـيسَ أبـي خيـر الأواس وغيرهـا وَأُمّـي اِبنَـةُ الخيـرين لَـو تَعلمينهـا
إِذا مـا أرومُ الـودّ بَينـي وبَينَهـا يَـؤُمُّ بَيـاضَ الوَجـهِ مِنِّـي يَمينَهـا[2]

يمدح **الشنفرى** أمه، ويفتخر بها، ولعلّ في هذا رغبةً منه في الانتماء إلى الأصل؛ ذلك الحضن الدافئ الذي يبثّ الحياةَ في نفسه المثقلة بالهموم، فالأمّ عالمه الأول، الذي احتضنه لحظة خروجه إلى الحياة...

أما **عروة**، فهو على عكس **الشنفرى**، ناقم على أمه لوضاعة نسبها، يقول (من الطويل):

أَعَيَّرتُمـــونـي أَنَّ أُمّـــي نَزيعَـــةٌ وَهَل يُنجِبَن في القَومِ غَيرُ النّزائِـعِ[3]*

---

[1] ينظر، ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1983، ج7، ص ص 93– 94.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص78.

[3] ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، ص75.

***النزيعة:** الغريبة. وفي رواية أخرى: التريعة، **والتريعة:** المُسرعة إلى الشر. ينظر، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص85.

ويقول في موضع آخر (من الطويل):

مـا بِـيَ مِـن عـارٍ إِخـالُ عَلِمتُـهُ، سِـوى أَنَّ أَخـوالي، إِذا نُسِـبوا، نَـهـدُ
إِذا مـا أَرَدتُ المَجدَ قَصَّرَ مَجدُهُم، فَأَعيـا عَلَـيَّ أَن يُقـارِبَني المَجـدُ
فَيـا لَيـتَهُم لَـم يَضرِبوا فِـيَّ ضَربَةً، وَأَنِّـيَ عَبـدٌ فـيهِمُ، وَأَبـي عَبـدُ
ثَعالِبُ في الحَربِ العَوانِ، فَإِن تَبُخ، وَتَنفَـرِجِ الجُلّـى، فَـإِنَّهُمُ الأُسـدُ[1]*

تردُ تيمة الأم في شعر **عروة** لتعبّر عمّا يكنّه عروة من نقمة على أمه، فنسبها الوضيع (من قبيلة نهد)، وصفاتها (نزيعة، تريعة)، تجعلهُ بعيدًا عن المجد الذي هو حقيقٌ به، بل والأمرّ من ذلك أنه صار وأباهُ عبدين لأخواله الذين يتصفون بالجبن في الحرب، وادّعاء الشجاعة بعدها، وهذا هربًا من الموت، وخوفًا على حياتهم من مواجهته.

ويصبغ **الشنفرى** صاحبه **تأبط** بصفات الأمومة، ويُسميه "**أم العيال**"، فيقول فيه (من الطويل):

وَأُمَّ عِيـالٍ، قَـد شَـهِدتُ، تَقـوتُهُم إِذا أَطعَمَـتهُم أَوتَحَـت وَأَقَلَّـتِ
تَخـافُ عَلَينـا العَيلَ إِن هِـيَ أَكثَرَت وَنَحـنُ جِيـاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّـتِ
مُصَـعِلِكَةٌ لا يَقصُـرُ السِـترُ دونَهـا وَلا تُرتَجـى لِلبَيـتِ إِن لَـم تُبَيَّـتِ
لَهـا وَفضَـةٌ فيهـا ثَلاثـونَ سَـيحَفًا إِذا آنَسَـت أولـى العَـدِيِّ اقشَـعَرَّتِ
وَتَـأتي العَدِيَّ بـارِزًا نِصفُ ساقِها تَجـولُ كَعَيـرِ العانَـةِ المُتَلَفِّـتِ
إِذا فَزِعـوا طـارَت بِـأَبيَضَ صـارِمٍ وَرامَـت بِمـا فـي جَفرِهـا ثُـمَّ سَـلَّتِ
حُسـامٍ كَلَـونِ المِلـحِ صـافٍ حَديـدُهُ جُـرازٍ كَأَقطـاعِ الغَـديرِ المُنَعَّـتِ
تَراهـا كَأَذنـابِ الحَسـيلِ صَـوادِرًا وَقَـد نَـهِلَـت مِـنَ الـدِماءِ وَعَلَّـتِ[2]**

---

[1] ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، ص74.

***نهد:** قبيلة في بلاد اليمن. **أعيا علي:** أعجزني عن مقاربة المجد. **لم يضربوا فيّ ضربة:** لم يُشركوني في نسبهم. **الحرب العوان:** التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة. **تبُخ:** يعني الحرب، أي تنطفئ وتسكن. **الجُلّى:** الأمر العظيم.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص35-36.

****أمّ عيال:** تأبط شرا. **تقوتهم:** تطعمهم. **أوتحت:** أعطت قليلا. **العيل:** الفقر. **أيّ آلٍ تألّت:** أيّ سياسةٍ ساست. **مصعلكة:** صاحبة صعاليك. **لا يقصر السّتر دونها:** لا يُغطي أمرها، فهي مكشوفة. **الوفضة:** جعبة السهام. **السيحف:** السهم العريض النصل. **آنست:** أحسّت وأبصرت. **العديّ:** جماعة القوم يعدّون للقتال. **اقشعرّت:** تهيأت للقتال.=

وردت الأم في تائية **الشنفرى** لتُعبّر عن معاني الرحمة والعطف والاهتمام بالأبناء؛ فأمّ العيال تُشرفُ على إطعام أبنائها، وتُقلّل الطّعام خوفًا من نفاد الزاد وعدم تحصيل المزيد منه، فتخاف عليهم الجوع لاحقًا إنْ هي أكثرت في عطائها، فهي تحفظ حياتهم من الموت بما عندها من زاد، فهي صعلوكةٌ كمن تُعيل، ومكشوفة مرئية، لا تبيت في الديار إلا إن أرادت هي ذلك، وهذا لأنها تشارك الصعاليك مغامراتهم.

كما أنّ لها عتاد حرب تحمي به عيالها؛ جُعبة تضع فيها ثلاثين سهمًا، فإذا ما أحسّت حركةً وأبصرت أعداءً يقصدونهم؛ انتبهت سريعةً تذودُ عن حياض أبنائها، وطارت لهم بسيف حادٍ، مكشوفٌ نصفُ ساقها، تجولُ بين الأعداء تقطيعًا وقتلًا حتى ترتوي منهم. فهذه الأم حريصةٌ على حياة أبنائها؛ تُطعمهم إذا جاعوا، وتدافع عنهم إذا هوجموا.

أما ثاني امرأة تبقى في قلب الرجل وذاكرته، وتحضر في خاطره دومًا، فهي الحبيبة، وقد وردت تيمة الحبيبة في شعر **قيس بن الحدادية**، يقول (من الطويل):

سَـعى بَيـنَهُم واشٍ بِـأَفلاقِ بِرمَـةٍ لِيَفجَـعَ بِالأَظغـانِ مَـن هُـوَ جـازِعُ
بَكَـت مِـن حَـديثٍ بَثَّـهُ وَأَشـاعَهُ وَرَصَّـفَهُ واشٍ مِـنَ القَـومِ راصِـعُ
بَكَت عَينُ مَن أَبكاكَ لا يَعرِفُ البُكا وَلا تَتَخالَجـكِ الأُمـورُ النَـوازِعُ
فَـلا يَسـمَعَن سِـرّي وَسِـرَّكِ ثالِـثٌ أَلا كُـلُّ سِـرٍّ جـاوَزَ اِثنَـينِ شـائِعُ
وَكَيـفَ يَشـيعُ السِـرُّ مِنّـي وَدونَـهُ حِجابٌ وَمِن دونِ الحِجابِ الأَضالِعُ[1]*

تنتمي هذه الأبيات إلى عينية "**قيس بن الحدادية**"، وقد نظمها في محبوبته "**أمّ مالك بن ذؤيب الخزاعي**"[2]، وضمّنها حديثَهُ عن الوشاية والوشاة، **فقيس بن الحدادية** يهيم بها حُبًا عظيمًا، ويظهرها في القصيدة كلها، إذ يود **قيس** أن يطمئن محبوبته بأنه لا يبوح

=**العير**: الحمار الوحشي. **العانة**: الأتان. **الجفر**: كِنانة السهم. **الجُراز**: السيف القاطع. **أقطاع الغدير**: القطع من مائه يضربها الهواء فتتكسر وتبرق. **المنعّت**: الموصوف بالحُسن، بالغ الجودة. **الحسيل**: جمع حسيلة، وهي أولاد البقر. **صوادر**: رجع من الشرب. **نهلت**: شربت الشرب الأول. **علّت**: شربت تباعًا.

[1] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مُقلوّن، ص38.

*__أفلاق__: جمعُ فَلَق، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين. **برمة**: اسم موضع قرب المدينة المنورة. **الراصع**: المُزيّن للكلام. **تتخالجك**: تتنازعك، والنوازع التي تنزعُ النفوس من صدرها.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص38.

بسرّهما، لأنّ في ذيوع السّر موتًا لها، وبخاصة أنّ العرب تتورع من كلّ ما من شأنه أن ينقص من قدرها، ويسيء لسمعتها، ويُلحق العار بها.

ويتفرّد الصعاليك بنظرتهم إلى الواقع والقبيلة والحياة، وانسحب هذا على نظرتهم إلى المرأة؛ فالشعراء الصعاليك أكثر عفّة من غيرهم، إذ انفردوا في غزلهم بالغزل في الزوجة، ما يشي بالاتجاه الأخلاقي المشروع في عواطفهم[1]، فلم يُشبّب الصعاليك ببنات الحي الجميلات، الساحراتِ الألبابَ، بل تحدثوا عن زوجاتهم، وعبّروا عن أشواقهم لهن، وعتابهن لهم.

لذا، تحضر في شعر الصعاليك، غالبًا، المرأة العاذلة، وهي المرأة التي تُكثر من لوم زوجها وعتابه، وهو ما يرفضه الصعلوك ويأباه؛ يقول **عروة بن الورد** (من الطويل):

أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا بنتَ مُنذِرٍ وَنامي، وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاسهَري
ذَريني وَنَفسي، أُمَّ حَسّانَ، إِنَّني بِها، قَبلَ أَن لا أَملِكَ البَيعَ، مُشتَري
أَحاديثَ تَبقى، وَالفَتى غَيرُ خالِدٍ، إِذا هُوَ أَمسى هامَةً فَوقَ صُيَّرِ
تُجاوِبُ أَحجارَ الكِناسِ، وَتَشتَكي إِليّ كُلِّ مَعروفٍ رَأَتهُ، وَمُنكَرِ
ذَريني أُطَوِّف في البِلادِ، لَعَلَّني أُخَلّيكِ، أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضَري
فَإِن فازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُن جَزوعًا، وَهَل عَن ذاكَ مِن مُتَأَخِّرِ؟
وَإِن فازَ سَهمي كَفَّكُم عَن مَقاعِدٍ لَكُم خَلفَ أَدبارِ البُيوتِ، وَمَنظَرِ
تَقولُ لَكَ الوَيلاتُ، هَل أَنتَ تارِكٌ ضُبُوًّا بِرَجلٍ تارَةً، وَبِمِنسَرِ[2]*

تظهر العاذلة وهي تصبّ لومها وعتابها على زوجها **عروة**، فيطالبها بالإقلال منه، وأن تتركه في شأنه، فهو صعلوك يروم الغنى، لذا يغامر ويُعرّض نفسه للمخاطر

---

[1] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك –منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1987م، ص338.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص67.

* **هامة:** يُريد أنّ الفتى يموت فتخرج منه هامة تعلو كلّ نشز. **صيّر:** حجارة تجعل كالحظيرة، زربًا للغنم. **الكناس:** موضع. **أخليك:** أي أُقتَلُ عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج. **وإن فازَ سهمي كفّكم:** أي إن سلمت وغنمت كفّكم ذاك عن مقاعد عند أدبار البيوت، وهي مكان قعود الضيوف. **ضبوًا:** الضبوء اللصوق بالأرض.

والمهالك، فتارةً على قدميه، وتارةً بالخيل، يبقى في الحيّ نهارًا، ويتصعلكُ ليلًا، هذا الليل المظلم الدامس الذي لا يؤتمن لكثرة مخاطره.

وتلومه في مقطع آخر على قعوده، وتطلب منه المغامرة ليُحصّل رزقه ويغتني، يقول **عروة** (من الطويل):

قالَت تُماضِرُ، إذ رَأَت مالي خَوى وَجَفا الأَقارِبُ، فَالفُؤادُ قَريحُ
ما لي رَأَيتُكِ في النَدِيِّ مُنَكِّسًا وَصبًّا، كَأَنَّكَ في النَدِيِّ نَطيحُ
خاطِر بِنَفسِكَ كَي تُصيبَ غَنيمَةً؛ إِنَّ القُعودَ، مَعَ العِيالِ، قَبيحُ
المالُ فيهِ مَهابَةٌ وَتَجِلَّةٌ؛ وَالفَقرُ فيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضوحُ[1]*

تمثّل تيمة العاذلة في الأبيات السابقة صورة المرأة التي تطالب زوجها بالمخاطرة، فهي تلومه على قعوده، وعلى بقائه مع العيال، فذلك مدعاة للعار والمسبّة، وتذكّره بأنّ المال هيبة وعظمة، وأنّ الفقر ذلّ وفضيحة، وهي لا ترغب في أن تكون مع فقير.

فزوج **عروة** عاذلة لائمة في كل الأحوال، إن قعد معها لامته عن قعوده، وطلبت منه المخاطرة بنفسه في سبيل الغنى، وإن خاطر بنفسه وسعى للغنى لامته على ذلك ودعته إلى القعود، فأيّ امرأة هذه؟ !

ولعلّ هذا من أسباب تصعلك **عروة**، الذي رماهُ القدر بين أحضان امرأة متناقضة، لا تُعجبها حال من أحواله، بل لا يُعجبها العجب العجاب.

كما نجدُ العاذلة حاضرة في قافية **تأبّط شرًّا**، يقول (من البسيط):

يا مَن لِعَذّالَةٍ، خَذّالَةٍ، أَشِبٍ، حَرَّقَ بِاللَومِ جِلدي أَيَّ تِحراقِ
يَقولُ: أَهلَكتَ مالاً، لَو قَنِعتَ بِهِ، مِن ثَوبِ صِدقٍ، وَمِن بَزٍّ وَأَعلاقِ
عاذِلَتي.. إِنَّ بَعضَ اللَومِ مَعنَفَةٌ، وَهَل مَتاعٌ وَإِن أَبقَيتُهُ باقِ؟ !
إِنّي زَعيمٌ، لَئِن لَم تَترُكي عِذَلي، أَن يَسأَلَ الحَيَّ عَنّي أَهلَ آفاقِ
أَن يَسأَلَ القَومُ عَنّي أَهلَ مَعرِفَةٍ فَلا يُخَبِّرُهُم عَن "ثابِتٍ" لاقِ

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص54.

* **خوى**: فرغ. **الوصب**: المريض. **النطيح**: من نطحه الثور بقرنه: أصابه به، ونطحه فلان: دفعه عنه وأزاله.

سَـدِّد خِلالَـكَ مِـن مـالٍ تُجَمِّعُـهُ حَتّى تُلاقي الَّذي كُلُّ اِمرِئٍ لاق[1]*

تلومُ العاذلةُ **تأبطَ شرّا** على إنفاقه المال الذي يغنمه، وتطالبه بأن يحتفظ به، لكنه يردّ عليها بأنها إن لم تتركه فإنه سيغادرها ويرحل عنها، يجوب الآفاق، ويقطع الفيافي والقفار، ولن تقف له على خبر بعدها، كما يُقدّم نصيحةً مهمة، وهي أنّه على الإنسان أن يستغلّ المال في سدّ الفقر والحاجة حتى يموت، أي ينفقه ولا يكنزه.

وفي القافية عينها تظهر تيمة امرأة أخرى، هي الحبيبة، يقول **تأبط شرا** (من البسيط):

طَيفِ اِبنَـةِ الحُـرِّ إِذ كُنّـا نُواصِـلُها ثُـمَّ اِجتُنِنـتَ بهـا بَعـدَ التِفِـرّاقِ
تَاللَـهِ آمَـنُ أُنثـى بَعـدَما حَلَفَـت أَسـماءُ بِاللَـهِ مِـن عَهـدٍ وَميثـاق
مَمزوجَةُ الوُدِّ، بَينا واصَلَت صَرَمَت الأَوَّلُ اللَـذ مَضـى، وَالآخَـرُ البـاقِي
فَـالأَوَّلُ اللَـذ مَضـى: قـالي مَوَدَّتُهـا وَاللَـذُّ مِنهـا: هُـذاءٌ غَيـرُ إِحقـاقِ
تُعطيـكَ وَعـدَ أَمـانيٍّ تُغِـرُّ بِـهِ كَـالقَطرِ مَـرَّ عَلـى ضَـجنانَ، بَـرّاقِ
إِنّـي، إِذا خُلَّـةٌ ضَـنَّت بِنائِلِهـا وَأَمسَـكَت بِضَـعيفِ الوَصـلِ أَحـذاقِ
نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلقَيتُ، لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ، أَرواقِي[2]**

تتمظهر في هذه الأبيات تيمة الحبيبة؛ حبيبة جُنّ بها **تأبط شرا** بعد الفراق، والسبب في ذلك مخالفتها وعودها، ما جعله لا يصدقها ولا يصدّق غيرها من النساء مهما حلفت

---

[1] ديوان تأبّط شرًا وأخباره، ص ص140-143.

* **عذّالة:** اللائمة. **خذّالة:** تخذله في إرادته وتخالفه فيها. **الأشبِ:** المختلط الذي لا يقفُ عند حدّ. **ثوب صدق:** ثوبٌ يصدق في الجودة. **البزّ:** ثياب المعركة أو السلاح. **الأعلاق:** جمع علق، وهو المال الكريم. **الزعيم:** الضامن والكافل. **أهل آفاق:** كناية عن سفره الطويل. **الخِلال:** جمع خلة، وهي الفقر والعوز.

[2] المصدر نفسه، ص ص127-129.

** **ممزوجة الود:** مشوبة الودّ. **اللذ:** الذي. **قالي مودتها:** تحولت وتغيّرت واستحالت بُغضا بعد محبة. **الهذاء:** الهذيان، الكلام أو الأمر غير المعقول لا حقيقة له. **الإحقاق:** تحقيق الأمر وتصديقه. **اللذ منها:** الباقي منها، وهو هذا الهذاء الذي لا إحقاق له. **القطر:** السحاب المتتابع. **ضجنان:** جبل. **برّاق:** من البرق، أي أنه سحاب خُلّب يُبرق ولا يمطر، أو يكون قد عنى بالقطر المطر الخفيف على الجبل الصلد لا يغني ولا يُغيث. **الأحذاق:** المتقطع، جمعٌ وصف به الواحد، أي وصلَ أو حبل متقطع ضعيف. **الخُلّة:** الصديقة. **الخبت:** المنخفض من الأرض. **الرهط:** موضع في ديار هذيل، وقيل في بلاد بجيلة. **ألقى أرواقه:** استفرغ جهده.

أو قدمت عهودًا ومواثيق، لأنها غير واضحة الود، تخلط الودّ بالجفاء، والوصل بالصرم، وقد صار حبها له بغضًا بعد مودةٍ، فتغيّرت عليه تغيّرًا واضحًا، حتى صار كلامها معه هذيانًا غير مفهوم، وهي، أي الحبيبة، تُمنّي **تأبّط شرًا** كالغيم المارّ على الجبل، فوق الأرض العطشى، يظنه الرائي سيمطر غيثًا تحيا به الأرض، لكنه غير ذلك، يبرق دون أن يُمطر، فلا فائدة تُرجى منه. وهكذا هي حبيبة **تأبط شرا**، تعدُ ولا تفي، تُظهر الوصال ثم تصرم، ما يجعله يتركها وينجو بنفسه منها.

ولعلّ الصعاليك غير محظوظين في الحب، فما حصل مع **تأبّط شرًا**، قد حصل مع **الشنفرى**، يقول (من الطويل):

أَلا هل أتَى فتيانَ قومي جماعةً بِما لَطَمَتْ كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها
وَلَو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدي وَوالِدِها ظَلَّت تَقَاصَرُ دونَها
أَليسَ أبي خيرَ الأواسِ وغيرها وَأُمّي اِبنَةُ الخيرين لَو تَعلمينها
إِذا ما أرومُ الودَّ بَيني وبَينَها يَؤُمُّ بَياض الوَجهِ مِنِّي يَمينَها[1]

تظهر تيمة الحبيبة في الأبيات السابقة وهي تحملُ صورة امرأة عنيفةٍ أحبها **الشنفرى**، وهي "**قعسوس**" التي تربى معها في حجر أبيها الوجيه في قومه، إذ أحسّ **الشنفرى** بفحولته وأراد أن يصلها، لكنها قابلته بالرفض، وأتبعته بلطمةٍ على خدّه، فأغاضهُ الأمرُ، وقلبَ طلبَ وصلها إلى افتخارٍ بنسبه ونسب أمّه، لأنّ رفض **قعسوس الشنفرى** كان بسبب اعتقادها بوضاعة نسبه، لذا آل على نفسه الخروج عن هؤلاء القوم والانتقام منهم.

ووردت في شعر **السليك بن السلكة** تيمة أخرى للمرأة غير واردة في أشعار بقية الصعاليك، يقول (من الوافر):

لَعَمرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمي لَنِعمَ الجارُ أُختُ بَني عُوارا
مِن الخفَراتِ لَم تَفضَح أَباها وَلَم تَرفَع لِإِخوَتِها شَنارا
كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي وَيَتبَعُ المُمَنَّعَةَ النوارا

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص78.

وَمـا عَجِـزَت فَكيهَـةُ يَـومَ قامَـت بِنَصـلِ السَـيفِ وَاِسـتَلَبوا الخِمـارا

غـذَاها قـارصٌ يغـدو عليهـا ومحـضٌ حـين تنتظـرُ العِشـارا[1]*

نظم **السليك** الأبيات السابقة بعد أن أجارته "**فكيهة بنت قتادة**"، إذ غزا **السليك** "**بكر بن وائل**"، لكنه لم يجد غفلة يلتمسها، فرأى البكريون أثر قدم على الماء لم يعرفوها، فكمنوا له، حتى إذا ورد وشربَ وثبوا عليه، ففرّ منهم وعدَا، فأثقله بطنه ممّا شرب، فدخل قُبّة **فكيهة** مُستجيرًا، فأجارته، وأدخلته تحت درعها، فانتزعوا خمارها، فنادت إخوتها، فجاؤوا عشرة ومنعوا القوم عن أختهم.

تظهر تيمة المجيرة وهي تحمل مكرمة من مكارم العرب، وهي إجارة المستجير والذود عنه، وهي هنا امرأة كان الأصل فيها أن تخاف، لكنها على عكس ذلك؛ أجارت صعلوكًا غازيًا، وآوته، بل ودافعت عنه وعن نفسها بإخوتها.

نخلص مما سبق، إلى أنّ أعمدة القرابة الناعمة في شعر الصعاليك وردت متنوعة، إذ تراوحت بين الأم والحبيبة والعاذلة والمجيرة، ويرتبط هذا التنوع بتنوع حياة الصعاليك، وتنوع مغامراتهم، كما أنّ لها علاقة وطيدة بحياة المجتمع، والمرأة في حياة الصعاليك ليست نفسها المرأة في الشعر الجاهلي الآخر، الذي يتسم عادة بذكر الحبيبة والتشبيب بها، والتغزل بها وبمفاتنها.

2-نسق الموت

أرّق الموتُ بالَ الإنسان، وشغل تفكيرَهُ المصيرُ المحتومُ الذي أثار في أعماق نفسه المضطربة تساؤلات حائرة عن جدلية الموت والحياة، وسرّ الفناء وغاية الزوال. وقد عبّرت ثقافات الشعوب، وفلسفاتها، وأساطيرها عن قضية الموت بمستويات مختلفة، ونقلت كثيرًا من التصورات عن طبيعة العدم والبقاء. وكان الشعر من بين الفنون الإبداعية قد حلّ

---

[1] السليك بن السلكة، أخباره وشعره، ص ص55-56.

* **بني عوار**: من رجال بني عُكابة. **الخفرات**: جمعُ خفيرة، وهي المرأة الشديدة الحياء. **الشنار**: العيب والعار. **النوار**: المرأة النفور من الريبة. **القارص**: اللبن الحامض الذي يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب حموضته. **المحض**: اللبن الخالص. **العشار**: جمع عُشراء، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل تسمى عشارا بعدما تضع ما في بطنها للزوم الاسم بعد الوضع.

خطرات فكرية، وتأملات ذهنية أطلقها الشعراء تعبيرًا عن حقائق الوجود وبانوراما الحياة والفناء.

والشاعر الجاهلي، كغيره من الناس، عني بأمر الموت، ومضى به تأمله الفكري إلى إدراك حقيقة الحياة، في قصرها ومحدودية أيامها، فهي كالكنز؛ ينقص ولا يزداد[1].

2-1- العلاقة مع الآخر

لم يُولد الصعاليك متمردين بالفطرة، لكنهم كانوا أفرادًا ينتمون إلى قبائل، أمضوا طفولتهم وشبابهم الأول في إطارها، لكنهم بسبب الظلم، والحيف، وكثرة جرائرهم...؛ تعرضوا للخلع والإبعاد، ما ولّد في نفوسهم حقدًا وغلًّا نحوها، فاتخذوها عدوًّا وكُلَّ من يقفُ في طريقهم.

2-1-1- القبيلة

قام البناء الاجتماعي في العصر الجاهلي على نظام القبيلة، بوصفها وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية مستقلة، فكانت الإطار الذي يوجّه حياة العرب آنذاك، سواءٌ أكانوا أهل مدرٍ أم وبر، وينتسبُ أفراد القبيلة إلى «**أب واحد، وقلّ أن ينتسب إليها من لم يشاركها في نسبها إلا عن طريق الحلف والولاء**»[2]، أي أنّ القبيلةَ الأصلُ وأمُّ كلّ المنتمين إليها، فقرابة الدم الرابطُ الأولُ بين كلّ أفرادها.

وللقبيلة نظامٌ يسير وفقه كلّ أفرادها؛ صغيرهم وكبيرهم، رجلا كان أم امرأة، ومن شذّ عن هذا النظام يُعاقَبُ، وإن أصرّ على شذوذه خُلع وتُبرّئ منه على رؤوس الأشهاد، ويُعلن في أسواق العرب الجامعة، لينتقل خبره بين الناس، وتعرف القبائل أنّ فلانًا خُلع، وأنّ قبيلته الأصلية لن تُجيره أو تطالب ثأره ودمه إن قُتل، وأنّ القبائل المعتدى عليها من طرفه لا تثأر من قبيلته التي لم يعد ينتمي إليها، وبهذا يصير الخليع فردًا لا أهل له ولا نصير.

---

[1] ينظر، أحمد الحسين، خطاب الموت في الشعر الجاهلي، نزوى، مجلة ثقافية فصلية، تصدر عن وزارة الإعلام، مسقط، سلطنة عمان، مقال منشور بتاريخ: 1997/04/01م، أُطّلع عليه يوم: 2022/12/18م، على الساعة: 14:35. الرابط:

https://www.nizwa.com/خطاب-الموت-في-الشعر-الجاهلي/

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص38.

وكان هذا الإبعاد سببا في ظهور فئة الصعاليك، إذ كسرو أنظمتها، وأسسوا لأنفسهم مجتمعًا موازيًا، لا يعتمد النسب أساسا للانتساب إليه، بل كان جُلّهم من الأغربة وأبناء الإماء، الذين كانوا يعانون من وضاعة النسب في نظر القبيلة. بيدَ أنهم لم يكونوا كلهم أبناء إماء؛ إذا كان منهم الأحرار، **كعروة بن الورد**، الذي كان فقيرا في قومه، وهو ما باعدَ الشّقّة بينه وبين قومه، يقول (من الطويل):

إذا المَرءُ لَم يَبعَث سَوامًا وَلَم يُرَح عَلَيهِ وَلَم تَعطِف عَلَيهِ أَقارِبُه
فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ فَقيرًا وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقارِبُه[1]*

يتمظهر نسق الموت في البيتين مرتبطًا بالقبيلة، فللقبيلة نظرة حول أفرادها، فمن لم يكن ثريًا ذا أنعام فموته خير من حياته فقيرًا ينتظر مساعدة الناس ومعونتهم له، فالفقر موت، والثراء حياة، وهذا ما أرّق **عروة**، وجعله يبحث ويسعى للغنى ليعيش كريمًا بين قومه.

ويقول **قيس بن الحدّادية** (من الرجز):

أَنا الذي تَخلَعُه مَواليهِ وَكُلُّهُم بَعدَ الصَفاءِ قالِيه
وَكُلُّهُم يُقسِمُ لا يَبالِيه أَنا إِذا المَوتُ يَنوبُ غالِيه
مُختَلِطٌ أَسفَلُهُ بِعالِيه قَد يَعلَمُ الفِتيانُ أَنّي صالِيه
إِذا الحَديدُ رُفِعَت عَوالِيه[2]**

تذوّق **قيس بن الحدّادية** طعم الإحباط الذي خلّفه إبعاده وخلعه من قبيلته، فلم تعد له فائدة تُرجى من الانتماء إليها وموالاتها، وهذا الخلع يخلق فجوةً ويباعد الشقة بينه وبينها، لا بدّ له من ملئها، أو استبدالها بمجتمع جديد يتقبله كما هو؛ إيجابا وسلبًا.

أما **تأبّط شرا**، فإنه يردّ على من نصحوا فتاةً بألّا تنكحه بقوله (من الطويل):

وَقالوا لَها: لا تَنكِحيهِ فَإِنَّهُ لأَوَّلِ نَصلٍ أَن يُلاقِيَ مَجمَعا

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص48.

* **السوام**: الماشية والإبل الراعية. **يرح عليه**: ترد إبله إلى مراحها. **المولى**: هنا؛ ابن العم.

[2] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص44.

** **قاليه**: مبغضه. **الغالي في الأمر**: المبالغ فيه.

فَلَـم تَـرَ مِـن رَأيٍ فَتـيلاً، وَحـاذَرَت تَأَيُّمَهـا مِـن لابِـسِ اللَيـلِ أَروَعـا
قَليـلُ غِـرارِ النَـومِ، أَكبَـرُ هَمِّـهِ دَمُ الثَـأرِ، أَو يَلقـى كَمِيًّـا مُقَنَّعـا
يُماصِـعُهُ، كُـلٌّ يُشَـجِّعُ قَومُـهُ، وَمـا ضَـربُهُ هـامَ العِدى لِيُشَـجَّعا[1]*

تظهر القبيلة في أبيات **تأبط شرًا** من خلال تدخلها في موضوع نكاحه المرأة، التي يبدو أنها كانت على وفاق مع هذا الصعلوك، وتدخلت القبيلة "قالوا لها"، ونهوها عن نكاحه، لأنه يموت من أول سهم يصيبه، فموته قريب في نظر القبيلة وأهلها، فتبنّت رأيهم خوفًا من تحولها من زوجة إلى أيمٍ ثكلى، تبكي رجلا يتخذ الليل لباسًا وسترًا، ويذكر تأبط شرا صفاته الصعلوكية؛ كقلة نومه، وإشافته على ذحل، أو لقاء فارس شجاع يبارزه فيصرعه، وينتشر خبره في الآفاق، فهذه عادته؛ القتل وذيوع أخباره.

فنظرة القبيلة حول الصعلوك مرتبطة بالموت؛ خلعه والتبرء من دمه بين القبائل، وتوقع موته في أي لحظة، إنْ في قتال مع البشر، أو في لقائه مع الوحوش والسباع، وهذه النظرة مما جعله يتمرّد على منظومة القيم في المجتمع القبلي الجاهلي، إذ يرى من حقه الزواج ممن أحب، ومنعُهُ صورة من صور التمييز الاجتماعي والاضطهاد.

ولعلّ أكثر الشعراء الصعاليك معاناة مع القبيلة: **الشنفرى**، ومن أسباب رغبته في الانتقام منها؛ قصته مع "**قعسوس**" حين أراد أن يُقبّلها فلطمت وجهه، فأقسم أن ينتقم منها ومن أهلها لإبعادهم إياه، يقول (من الطويل):

أَلا هـل أتَـى فتيـانَ قـومي جماعـةً بِمـا لَطَمَـتْ كَـفُّ الفَتـاةِ هَجينَهـا
وَلَـو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدي وَوالِـدِها ظَلَّـت تَقَاصَـرُ دونَهـا
أَلـيسَ أبـي خيـرَ الأواسِ وغيرهـا وَأُمّـي اِبنَـةُ الخيـرين لَـو تَعلمينهـا
إِذا مـا أرومُ الـودَّ بَينـي وبَينَهـا يَـؤُمُّ بَيـاض الوَجـهِ مِنِّـي يَمينَهـا[2]

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص112-114.

***أول نصل:** أي يُقتل بأول نصل. **المجمع:** الجماعة من المقاتلين. **الغرار:** القليل من النوم، وقوله قليل غرار النوم؛ أي أقلّ القليل. **الكميّ:** الذي يكمي شجاعته أو يتكمّى في سلاحه. **المقنّع:** الملثّم بلثام حرب وقتل. **يُماصعه:** يقاتله، وأصله المصع أي الضرب والرمي.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص78.

تُبرزُ الأبيات القبيلة، إذ تبنّت "**قعسوس**" قيم قبيلتها، واستهجنت أن يُقبّلها شخصٌ وضيع النسب، فكانت ردّة فعلها أن لطمته على خدّه، فأثّر هذا السلوك في نفس **الشنفرى**، وانقلب من مُحبٍ يرغب في الوصال، إلى ناقمٍ يروم الانتقام، مُفاخرًا بنسبي أبيه وأمه، وبهذا تمكّن **الشنفرى** من أن يُقدّم صورة واقعيةً تترجمُ الشعور بالظلم والانتقاص من المجتمع القبلي الجاهلي، وبخاصة نظرة قبيلة **بني سلامان**[1].

وتعرّض **تأبّط شرا** وصاحباه: **الشنفرى** و**عمرو بن براقة** للمطاردة من قبيلة **بجيلة**، يقول (من البسيط):

نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ ... أَلقَيتُ، لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ، أَرواقِي
لَيلَةَ صاحوا، وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ ... بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ
كَأَنَّما حَثحَثوا حُصَّا قَوادِمُهُ، ... أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ
لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي، لَيسَ ذا عُذَرٍ ... وَذا جَناحٍ، بِجَنبِ الرَيدِ، خَفّاقِ
حَتّى نَجَوتُ وَلَمّا يَنزِعوا سَلَبي ... بِوالِهٍ، مِن قَبيضِ الشَدِّ،غَيداقِ[2]*

يُصوّر **تأبّط شرا** في قافيته المفضلية إحدى مغامراته رفقة صديقيه ورفيقيه في الصعلكة: **الشنفرى وعمرو بن براقة**، إذ نصبت لهم بجيلة شَركًا للنيل منهم، **وتأبط شرا** على وجه الخصوص، لكنه أحسّ بالخطر، ووضع خطة للنجاة وصاحبيه من هذه المصيدة.

---

[1] ينظر، وسام حاتم، ضياء غني العبودي، الانتقاص في شعر صعاليك العصر الجاهلي، مجلة (لغة-كلام)، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي غليزان (الجزائر)، ع7، سبتمبر2018م، ص ص18-19.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص129-134.

* **الخبت:** المنخفض من الأرض. **الرهط:** موضع في ديار هذيل، وقيل في بلاد بجيلة. **ألقى أرواقه:** استفرغ جهده. **العيكتان:** موضع في ديار بجيلة. **المعدى:** الموضع الذي تُعدى فيه. **حثحثوا:** حثوّا. **حُص القوادم:** ظليم تناثرَ ريشه. **أم خشف:** ظبية. **ذوشث وطباق:** موضع رعت فيه الظبية الشثَّ والطباقَ وهما نبتان يقويان الراعية ويُضمّرانها. **العُذَرُ:** جمعُ عذرة، وهي الخُصلة من الشعر يُقبل على الوجه، وهي العرف، وعنى بذي عُذرٍ فرسًا. **الريد:** الذروة الأعلى من الجبل. **خفّاق:** صيغة مبالغة أي كثير الخفق. **ذي جناح:** الطير الجارح في أعلى الجبل. **الواله:** الذاهب العقل. **قبيض الشد:** سريع العدو شديده. **الغيداق:** الكثير الواسع.

وتظهر في هذه المقطوعة القبيلة التي تريد النيل من الصعلوك، وأسره، والقضاء عليه، لأنه أمعن فيهم القتل والغزو والسلب، فالصعلوك لا يأمن حياته، فهو في موضع خطر دائم، لذا يجب عليه الحذر، وكلّ غفلةٍ منه تُكلّفه حياته وحياة من معه.

2-1-2- الخصم المقاتل

لا مفرّ من أن يلتقي الصعاليك بفرسان شجعان أثناء إغاراتهم، سواء على القبائل أم القوافل، إذ ليس من المعقول ألّا يدافع المُغار على أهله وأمواله، فإنه يقفُ ندًّا للصعلوك المُغير .ونقل الشعراء الصعاليكُ كثيرًا من هذه اللقاءات، فصوروها وأحسنوا ذلك، ومن ذلك قول **الشنفرى** (من الطويل):

وَمُستَبسِلٍ ضافي القَميصِ ضَمَمتُهُ بِـــأَزرَقَ لا نِكـــسٍ وَلا مُتَعَـــوَجِ
عَليــهِ نَســارِيٌّ عَلــى خــوطِ نَبعَــةٍ وَفُــوقٍ كَعُرقــوبِ القَطــاةِ مُــدَحرَجِ
وَقارَبــتُ مِــن كَفَّــيَّ ثُــمَّ نَزَعتُهــا بِنَــزعٍ إِذا مــا اِســتُكرِهَ النَــزعُ مُحلِــجِ
فَصــاحَت بِكَفَّــيَّ صَــيحَةً ثُــمَّ راجَعَت أَنينَ المَريضِ ذي الجِراحِ المُشَجَّجِ[1]*

واجه **الشنفرى** خصمه المستبسل، فلم يتوانَ في لقائه، بل واجهه بكلّ شجاعة وحزم، فرماه بسهم مستقيم تعلوه ريشة، مصنوع من شجر النبع لجوده وصلاحيته للسهام، فأصاب سهمُ **الشنفرى** خصمَه في ركبته، ثم طعنه واستلّ يده منه، ليُتبعَهُ بضربةٍ أخرى على رأسه، فشجّه، وقتله، وبقي يستمع إلى أنينه وهو يغادر الحياة. فلقاء **الشنفرى** بهذا الخصم انتهى بموت هذا الأخير، فما من شخص التقاه إلا تركه ميتًا صريعًا.

ويصوّر **تأبط شرًا** مصرع أحد خصومه الفرسان، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، تاركًا النساء خلفه يبكينه، ويذكرن ما كان عليه من شجاعة وإباء، يقول (من الطويل):

وَيَـومٌ أَهُـزُّ السَـيفَ فـي جيـدِ أَغيَـدٍ لَــهُ نِســوَةٌ لَــم تَلــقَ مِنّــي أَنكَــرا

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص40.

***المستبسل:** الذي يُقبلُ على الحربِ مستقلًا. **الأزرق:** السهم. **النّكس:** السهم الذي ينكسر مشقّ رأسه، فيُجعل أعلاه أسفلَه. **النّساري:** ريش النسر. **الخوط:** الغصن الناعم. **التبعة:** واحدة شجر النبع الذي تُتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام. **الفوق:** موقع الوتر من رأس السهم. **العرقوب من الدابة:** هو في رجلها كالركبة في يدها. **القطاة:** طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصا. **المحلج:** من حلج النداف القطن إذا خلّصه من بَذْره. **المشجج:** الكثير الجروح في جلد رأسه أو وجهه.

يَـنُحنَ عَلَيــهِ وَهــوَ يَنــزِعُ نَفسَــهُ: لَقَــد كُنــتَ أَبّــاءَ الظُلامَــةِ قَســوَرا
وَقَـد صِـحتُ فـي آثـارِ حَـومٍ كَأَنَّهـا عَــذارى عُقَيــلٍ أَو بَكــارَةُ حِميَــرا
أَبَعــدَ النُفــاثيِّنَ أَزجُــرُ طــائِرًا وَآســى عَلــى شَــيءٍ إِذا هُــوَ أَدبَــرا
أُنَهنِــهُ رِجلــي عَــنهُمُ، وَإِخــالُهُم -مِـنَ الـذُلِّ- يَعـرًا بِالتَلاعَـةِ أَعفَـرا
فَلَـو نالَـتِ الكَفّـانِ أَصـحابَ نَوفَـلٍ بِمَهمَهَــةٍ مِــن بَــينِ ظَــرَّ فَعَرعَــرا
وَلَمّــا أَبــى اللَيثِــيُّ إِلا اِنتِهاكَنــا صَبَرتُ، وَكانَ العِرضُ -عِرضِيَ- أَوفَرا
فَقُلــتُ لَــهُ: حَــقَّ الثَنــاءُ فَــإِنَّني سَــأَذهَبُ حَتّــى لَــم أَجِــد مُتَــأَخَّرا
وَلَمّــا رَأَيــتُ الجَهــلَ زادَ لَجاجَــةً، يَقــولُ؛ فَــلا يَــألوكَ أَن تَتَشَــوَّرا
دَنَــوتُ لَــهُ... حَتّــى كَــأَنَّ قَميصَــهُ تَشَـرَّبَ مِـن نَضـحِ الأَخـادِعِ عُصـفُرا
فَمَــن مُبلِــغٌ لَيــثَ بــنَ بَكــرٍ بِأَنَّنــا تَرَكنــا أَخــاهُم يَــومَ قَــرنٍ مُعَفَّــرا[1]*

تُظهر الأبيات أعلاه الخصم المقاتل الشجاع، الذي قاتل **تأبط شرا**، وهذا المقاتل شابٌ في مقتبل العمر، ذو بأس، قوي شجاع، تركه **تأبط شرا** صريعًا كأسدٍ تُنزع روحه، والنساء حوله ينحن ويبكين عليه، وهذا لأنه أراد التهكم على الصعلوك والنيل من عرضه، فقابله أوّل الأمر بحكمةٍ، لكن الشاب تمادى في السخرية وألحّ عليها، فردّ **تأبط شرا** على سخريته هذه بضربة سيفٍ قطعت عروق رقبته فجعلت جسده كله دمًا، كأنه صُبغَ بالعصفر، ليسأل الصعلوك عمّن ينقل نبأ هذا الخصم الذي تركه صريعًا، فينقله إلى أهله ويخبرهم بأنّ **تأبط شرا** قد تركه على الأرض ملطخًا بالتراب. ويقول (من الطويل):

فَقَلَّـدتُ سَـوّارَ بـنَ عَمـرِ بـنِ مالِـكٍ بِأَســمَرَ حَشــرِ القُــذَّتَينِ طَميــلِ

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص100-103.

* **الأغيد:** هو المائل ذو الجوانب المائلة، وهي صفة للشاب في أول طلعته وللفتاة يقال غيداء إذا بلغت. **أنكر:** ذو البأس الشديد. **القسور:** الأسد. **الحوم:** القطيع من الإبل أو البقر. **عقيل:** قبيلة عربية. **حمير:** قبيلة عربية يمانية. **النفاثيون:** بنو نفاثة، قوم غزاهم الشاعر. **أنهنه:** من النهنهة وهي الكفّ والتّأخر. **إخالهم:** أحسبهم. **اليعر:** الجدي الذي يربط لدى حفرة لصيد السباع. **التلاعة:** ماء تشرب منها بنو كنانة. **مهمهة:** البلد المقفرة والصحراء الجرداء. **ظرء:** اسم لموضع بذاته، وكذا عرعر. **اللجاجة:** الإلحاح في طلب الشيء والإصرار عليه، وهي العناد والمخاصمة الشديدة. **يألو:** يقصر ويبطئ في طلب الشيء. **تتشور:** تخجل. **النضح:** إخراج الشيء من منبعه ومكمنه. **الأخادع:** جمع أخدعان، وهما عرقان في جانبي العنق. **العصفر:** صيغ يستخرج من نباتٍ. **يوم قرن:** يوم من أيام العرب جرت في مكان اسمه قرن. **المعفّر:** الملطّخ بالتراب.

فَخَـرَّ كَـأَنَّ الفيـلَ أَلقـى جِرانَـهُ عَلَيـهِ، فَتًـى شَـهمُ الفُـؤادِ أَسـيلِ
وَظَلَّ دُعاعُ المَتنِ مِن وَقعِ حاجِزٍ يَخِـرُّ، وَلَـو نَهنَهـتَ سَـوقَ قَليـلِ
لَأُبـتُ كَمـا آبـا، وَلَـو كُنـتُ قارِنًـا لَجِئـتُ وَمـا مالَكـتُ طـولَ ذَميلـي
فَسَـرَّكَ نَـدماناكَ لَمّـا تَتابَعـا وَأَنَّـكَ لَـم تَرجِـع بِعَـرضِ قَتيـلِ
سَـتَأتي إِلـى فَهْـمٍ غَنيمَـةُ خُلسَـةٍ وَفـي الأزدِ نَـوحُ خُلَّـةٍ بِعَويـلِ[1]*

نَصب **الأزدُ** فخًا للنيل من **تأبط شرا**، لكنه كان حازمًا حذرًا، فنجا منه بعد أن قتلَ "**سوّار بن عمرو بن مالك**" بسهم في نحره، وقتل أيضًا "**عوف بن مالك**"، وفرّ "**حاجز بن أُبي**" هاربًا من أن يلقى مصير صاحبيه.

ويتمظهر نسق الموتُ في الأبيات السابقة في الموقف البطولي الذي جسّده **تأبط شرا** في وجه أعدائه، الذين كادوا له، وأرادوا قتله، لكن ذكاءه وحرصه وحذره قلب اللعبة عليهم، فنال منهم؛ إذ قتل اثنين، وفرّ الثالث بجلده خشيةً من لقاء مصير صاحبيه.

2-2-تيمة الحرب

شكّلت الحرب عند عرب الجاهلية هاجسًا يُلازمُ الفرد والقبيلة في أغلب الأوقات، إذ كانت ظروف البيئة القاسية التي تعيشها القبائل سببًا رئيسًا للنزاعات والحروب، في محاولة لبسط النفوذ، والسيطرة على مواضع الكلأ والماء، فكان البقاء فيها للأقوى. والحرب «**عمل خطير، لا يقوى عليه إلا الفتى القويّ الصبور على الشدائد والمكاره، ويلتهم الجبناء ومن ليس له أصلٌ كريم، ويُطيح بالمرح أي الخيلاء الذي لا ثبات عنده ولا رزانة، وأنها شيء لا يستطيعه إلا من يطلب المعالي والمجد ولا يخشاه إلا الحقير**

---

[1] المصدر السابق، ص ص188-190.

* **سوّار بن عمرو بن مالك:** هو أحد الثلاثة من الأزد الذين اتبعوه وهاجموه. **أسمر حشر القُذّتين:** أي سهم كبير الريش. **طميل:** ملطّخ بالدّم. **قلّده السهم:** أصابه في موضع القلادة بين الصدر والعنق. **الجران:** باطن العنق ومُقدّم الصّدر، وألقى جرانه عليه أي برك عليه بثقله كلّه. **الأسيل:** الحادّ الرقيق المرهف، وقوله: شهم الفؤاد أسيل؛ أي أسيل الفؤاد والنفس حادّها مرهفها. **القارن:** الذي يجمع بين السيف والنّبل. **الذّميل:** السّير اللين. **العرض:** الجسد. **تتابعا:** لحق أحدها بالآخر قتلًا.

الضعيف»[1]. فالحرب مُرتقًى صعب لا يقوى عليه كل الناس، فهي تتطلب الشجاعة والقوة والثبات والحكمة، ليُحصّل واردُها المجدَ والمعالي، ويحفظ بصفاته حياتَه.

والصعاليك من أكثر الناس اقتحامًا للحرب والمعارك، فحياتُهم تقومُ على الغزو والإغارة، وللنجاح في ذلك لا بدّ لهم من وسائل تساعدهم في بلوغ مآربهم، وتحقيق مبتغاهم؛ من تخطيط وتدبير وأسلحة وفرار... إلخ.

2-2-1-تيمة الفرار

تفرض طبيعة الحرب على طرفي القتال أن يتواجها، فيسعى كلّ طرف من طرفي النزال إلى الانتصار، والثبات أمام خصمه، تأكيدًا للقوة والشجاعة، «**ويتجسّد الضعف والجبن والخور والفناء بالهروب والانهزام، وشدّة الحرص على مُتع الحياة، وعدم القدرة على مواجهة المعركة. ولهذا تراهم، على سبيل التهكم والسخرية بالفارّين يطالبونهم بشكر خيلهم التي نجّتهم وأطالت آجالهم...**»[2]. فالفرار من الخصم، جُبن وخور وخوفٌ وحرصٌ على الحياة وملذاتها، لكن الصعاليك يتخذون الفرار وسيلةً واستراتيجية حبية يتقوون بها على أعدائهم، فالفرار ميزة لدى الصعاليك لا تتوافر في غيرهم من الفرسان.

ومن الأشعار الواردة في تيمة الفرار؛ قول **حاجز الأزدي** (من الطويل):

فِـدىً لَكُمـا رِجْلَـيَّ أُمِّـي وخَـالَتِي بِسَـعْيِكُما بَـيْنَ الصَّـفا والأَثَائِـبِ
أَوَانَ سَـمِعْتُ الَقْـومَ خَلْفـي كَـأَنَّهُمْ حَرِيـقُ أَبـاءٍ فـي الريـاحِ الثَّواقِـبِ
سُـيُوفُهم تَغْشَـى الجَبَـانَ ونَـبلُهُمْ يُضِـيءُ لِـدى الأَقْـوام نَـارَ الحُباحِـبِ
فَغَيْرُ قِتـالي فـي المَضِـيقِ أَغَـاثَنِي ولَكِـنَّ بَـذْلِي الشَّـدَّ غَيْـرَ الأكِـاذِبِ
نَجَـوْتُ نجَـاءً لا أَطُبُّـكَ طِبَّـه ويَنْـزو بَشِـيرٌ نـزْوَ أَزْعَـرَ خَاضِـبِ
وَجَـدْتُ بعيـرًا هـامِلاً فرَكِبْتُـه فَكـادَتْ تَكُـونُ شَـرَّ رَكْبَـةِ رَاكِـبِ[3]*

---

[1] علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت)، ص74.

[2] حنّا نصر الحتّي، مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2007م، ص ص58-59.

[3] حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص57.

* **الأثائب:** جمعُ أثأب، وهو شجر ينبتُ في بطون الأودية. **الحباحب:** ذباب يطير بالليل، له شعاع في ذنبه كالسراج. **لا أبيك:** قد يريد بها: لا وأبيك. **الأزعر:** القليل الشعر. **الخاضب:** الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، وهو الذكر من النعام. **الهامل:** المتروك سدى ليلا ونهارا.

ابتدأ **حاجزُ** أبياتهُ بمدح رجليه، وافتدائهما بأمه وخالته، لما لرجليه من فضل عليه في حفظ حياته من الهلاك أثناء فراره ممن يريدون النيل منه، إذ طارده قومٌ، وسعوا خلفه بالسيوف والنّبال، فركضَ فارًّا منهم، ونجا، ووجد بعيرًا امتطاه، غير أنه سلك مسلكًا مغايرًا، فكادت تكون نهايته.

وارتبطت تيمة الفرار في أبيات **حاجز** بالموت، إذ فرّ منه ومن القوم الذين راموا قتله، واستعان بالبعير، والذي كاد بدوره أن يودي بحياته في مجاهل الصحراء.

وعن هربه من قبيلة **بجيلة** يقول **تأبط شرا** (من البسيط):

نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ ... أَلقَيتُ، لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ، أَرواقِي
لَيلَةَ صاحوا، وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ ... بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ
كَأَنَّما حَثحَثوا حُصَّا قَوادِمُهُ، ... أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ
لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي، لَيسَ ذا عُذَرٍ ... وَذا جَناحٍ، بِجَنبِ الرَيدِ، خَفّاقِ
حَتّى نَجَوتُ وَلَمّا يَنزِعوا سَلَبي ... بِوالِهٍ، مِن قَبيضِ الشَدِّ،غَيداقِ[1]*

تعرّض **تأبط شرًا** وصاحباه: **الشنفرى وعمرو بن براقة**، إلى خطر الأسر من طرف قبيلة بجيلة، إذ أعدّت لهم فخًا للإيقاع بهم، لكنّ **تأبط شرا** كان ذكيًا، فدبّر خطة للنجاة منهم**، واعتمد في نجاته على الفرار، الذي حال دون الإمساك به وسلبه متاعه.

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص129-134.

* **الخبت:** المنخفض من الأرض. **الرهط:** موضع في ديار هذيل، وقيل في بلاد بجيلة. **ألقى أرواقه:** استفرغ جهده. **العيكتان:** موضع في ديار بجيلة. **المعدى:** الموضع الذي تُعدى فيه. **حثحثوا:** حثوّا. **حُص القوادم:** ظليم تناثرَ ريشه. **أم خشف:** ظبية. **ذوشث وطباق:** موضع رعت فيه الظبية الشثَّ والطباقَ وهما نبتان يقويان الراعية ويُضمّرانها. **العُذَرُ:** جمعُ عذرة، وهي الخُصلة من الشعر يُقبل على الوجه، وهي العرف، وعنى بذي عُذرٍ فرسًا. **الريد:** الذروة الأعلى من الجبل. **خفّاق:** صيغة مبالغة أي كثير الخفق. **ذي جناح:** الطير الجارح في أعلى الجبل. **الواله:** الذاهب العقل. **قبيض الشد:** سريع العدو شديده. **الغيداق:** الكثير الواسع.

** "أغار تأبط شرا والشنفرى الْأَزْدِيّ وَعَمْرو بن براق على بجيلة. فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لَهُم على المَاء رصدًا فَلَمَّا مالوا لَهُ فِي جَوف اللَّيْل قَالَ لَهُم تأبط شرا: إِن بِالْمَاءِ رصدًا. وَإِنِّي لأسْمع وجيب قُلُوب الْقَوْم -أَي: اضْطِرَاب قُلُوبهم- قَالُوا: وَالله مَا نسْمع شَيْئا وَلَا هُوَ إِلَّا قَلْبك يجب فَوضع يَده على قلبه فَقَالَ: وَالله مَا يجب وَمَا كَانَ وجّابًا. قَالُوا: فَلَا وَالله مَا لنا بُد من وُرُود المَاء. فَخرج الشنفرى فَلَمَّا رَآهُ الرصد عرفوه فَتَرَكُوهُ فَشرب ثمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابه فَقَالَ: وَالله مَا بِالْمَاءِ أحد وَلَقَد شربت من الْحَوْض فَقَالَ تأبط شرا: بلَى لَا يريدونك وَلَكِن يريدونني. ثمَّ ذهب ابْن براق فَشرب ثمَّ رَجَعَ فَلم يعرضُوا لَهُ فَقَالَ: لَيْسَ بِالْمَاءِ أحد فَقَالَ تأبط شرا: بلَى لَا يريدونك وَلَكِن يريدونني ثمَّ قَالَ للشنفرى: إِذا أَنا كرعت فِي الْحَوْض=

فالفرار لدى الصعاليك وسيلة للنجاة من الأسر، ومن التّعرّض للمهالك التي يكيدها الأعداء لهم، لأنهم إذا ما نالوا منهم، فإنّ مصيرهم الموت المؤكّد.

2-2-2-تيمة عُدّة الحرب

ساعدت البيئة الجاهلية على وجود النزاعات والمشاحنات، وذيوع الخوف والرعب والهلع، وترقّب الخطر في كلّ حين، ما انجرّ عنه كثرة الحروب والصراعات، فكان من الطبيعي أن تغدو الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية لكل فرد، إذ إنّ كلّ واحدٍ مسؤول عن حماية نفسه قبل أن تتكفل القبيلة بحمايته. وتزداد الحاجة إلى السلاح لأنّ فريقًا من القبيلة نفسها تحتاج إلى الذود عنها لضعفها وعدم قدرتها على القتال؛ وهي النساء، والأطفال، والشيوخ العُجّز. كما يزداد الأمر تعقيدًا أثناء التنقل في الصحراء، والسير في مسالكها الوعرة التي يجهل المرء ما قد يلقاه فيها[1].

وكان الصعاليك يختارون أجود الأسلحة للتغلب على أعدائهم وخصومهم، وكانوا يعتنون بأسلحتهم أيّما عنايةٍ، لأنّ «**البطل الخبير المحارب هو الذي يعتني بالسلاح وآلة الحرب ويختارها جيّدًا لأنه رفيقته في المعارك والجبان هو الذي لا يفكّر فيها ولا يحاول اقتناءها**»[2]. ولعله من المدهش أن نجد أنّ الأسلحة من الأشياء التي شملها مفهوم

=فَإِن الْقَوْم سيشدون عَليّ فيأسرونني فَاذْهَبْ كَأَنَّك تهرب ثمَّ ارْجع فَكُن فِي أصل ذَلِك الْقرن فَإِذا سمعتني أَقُول: خُذُوا خُذُوا فتعال فاطلقني. وَقَالَ لِابْنِ براق: إِنِّي سآمرك إِن تستأسر للْقَوْم فَلَا تبعد مِنْهُم وَلَا تمكنهم من نَفسك. ثمَّ أقبل تأبط شرا حَتَّى ورد المَاء فَلَمَّا كرع فِي الْحَوْض شدوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ وكتفوه بِوتْر وطار الشنفرى، فَأتى حَيْثُ أمره وانحاز ابْن براق حَيْثُ يرونه فَقَالَ تأبط شرا: يَا بجيلة هَل لكم فِي خير هَل لكم أَن تياسرونا فِي الْفِدَاء ويستأسر لكم ابْن براق فَقَالُوا: نعم وَيلك يَا بْن براق إِن الشنفرى قد طَار فَهُوَ يصطلي نَار بني فلَان وَقد علمت الَّذِي بَيْننَا وَبَين أهلك فَهَل لَك أَن تستأسر وييارسرونا فِي الْفِدَاء فَقَالَ: أما وَالله حَتَّى أروز نَفسِي شوطًا أو شوطين. فَجعل يعدو فِي قبل الْجَبَل ثمَّ يرجع حَتَّى إِذا رَأَوْا أَنه قد أعيا وطمعوا فِيهِ اتَّبعُوهُ ونادى تأبط شرا: خُذُوا.. خُذُوا فَذَهَبُوا يسعون فِي أَثَره فَجعل يُطعمهُمْ وَيبعد عَنْهُم وَرجع الشنفرى إِلَى تأبط شرا فَقطع وثاقه فَلَمَّا رَآهُ ابْن براق قد قطع عَنهُ انْطلق وكر إِلَى تأبط شرا فَإِذا هُوَ قَائِم فَقَالَ: أعجبكم يَا معشر بجيلة عَدو ابْن براق أما وَالله لأعدون لكم عدوا أنسيكموه ثمَّ انْطلق هُوَ والشنفرى". **ديوان تأبط شرا وأخباره، ص131.**

[1] ينظر، ناهد جعفر، عدّة الحرب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف: إحسان عباس، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية، بيروت (لبنان)، نوقشت في: جوان 1985م، ص4.

[2] نايف حمدان أحمد عويضات، صورة البطل في شعر عنترة بن شداد العبسي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، (فلسطين)، 2000م، ص65.

الميراث، فكانت تنتقل من الآباء إلى الأبناء، ومثال ذلك **عروة بن الورد** الذي صرّح بأنه لن يُورّث شيئًا غير أدواته الحربية[1]؛ يقول (من الطويل):

وَذي مـــالٍ يرجُـــو تُراثـــي وإنّ مـــا يصـــيرُ لـــهُ منـــهُ غـــدًا لَقليـــلُ
وَمـــا لـــي مـــالٌ غيـــر درعٍ ومغفـــرٍ وأبـــيضَ مـــن مـــاءِ الحديـــدِ صَـــقيلُ
وأســـمرُ خطّـــيٌّ القَنَـــاةِ مُثَقَّـــفٌ وأجـــودُ عريـــانُ السّـــراةِ طويـــلُ[2]

فلعدّة الحرب، إذن، مكانة خاصة عند العربيّ، يحتاجه في حياته اليومية، وفي ما يلي أنساق الأسلحة الواردة في شعر الصعاليك.

2-2-2-1- السيف

اقترنَ السّيفُ بأمّة العرب لأنها عُرفت بالشجاعة والشهامة والبطولة، فالعرب أكثر الأمم حفاوة بالسيف، وإتقانا في صنعه واستخدامه، إذ كانت تطعن به كالرمح، وتقطع به كالسكين، وتتخذهُ جمالًا في الملأ، وأنيسًا في الوحدة، وجليسًا في الخلاء، وضجيعًا للنائم، وصاحبًا للسائر المسافر[3]. واعتمد الصعاليك، كغيرهم، على السيف في حياتهم، وورد ذكره كثيرًا في قصائدهم، ومن ذلك قول **الشنفرى** في لاميته (من الطويل):

وَإنّـي كَفـانِي فَقـدُ مَـن لَـيسَ جازِيًـا بِحُســنى وَلا فـــي قُربِـــه مُتَعَلَّـــلُ
ثَلاثَـــةُ أَصـــحابٍ: فُـــؤادٌ مُشَـــيَّعٌ وَأَبيَضُ إِصليتٌ وَصَفراءُ عَيطَلُ[4]*

يُعزّي الشاعر نفسه في فقدانه المجتمعَ الذي تخلّى عنه وهمّشه، فاستبدلهُ برفقة جديدة تكون أُنسًا له؛ تحفظ حياته التي أهدرتها القبيلة، وتتمثّل هذه الرفقة في قلبه

---

[1] ينظر، نجيب كيالي، أدوات الفروسية في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، سورية، ع120-121، 2011/1/1م، ص146.

[2] نوري حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد (العراق)، ط1، 1964م، ص166.

[3] ينظر، عبد الجبار محمود السامرائي، تقنية السلاح عند العرب، مجلة المورد، ع4، ج1، 1985م، ص5.

[4] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص60.

* **التعلّل:** التلهّي، والمعنى: ليس في قربه سلوى لي. **المُشيّعُ:** الشجاع، كأنه في شيعة كبيرة من الناس. **الإصليت:** السّيف المجرّد من غمده. **الصفراء:** القوس من شجر النبع. **العيطل:** الطويلة.

الشجاع، وسيفه الصارم، وقوسه الطويلة، ففي وجود هذه الصحبة حياةٌ **للشنفرى**، وفي فقدانها موتٌ.

ويستمر حضور السيف في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **تأبط شرًا** (من الطويل):

وَيَومٌ أَهُزُّ السَيفَ في جيدِ أَغيَدٍ لَهُ نِسوَةٌ لَم تَلقَ مِنّي أَنكَرا
يَنُحنَ عَلَيهِ وَهوَ يَنزِعُ نَفسَهُ: لَقَد كُنتَ أَبّاءَ الظُلامَةِ قَسوَرا[1]*

ارتبط السيف بالموت، إذ كان وسيلةً في سلب الشابّ حياته، إذ هوى **تأبط شرًا** على الشاب بسيفه فأرداه قتيلًا، وترك النّساء ينُحن عليه ويُبكينه، واعترف القتيل وهو في النزع الأخير بشجاعة **تأبط شرًا** وقوّة بأسه ووصفه بأنّه أسدٌ قسور.

ويحضر السّيف في شعر **عروة بن الورد**، ومن ذلك قوله (من الطويل):

تَمَنّى غُربَتي قَيسٌ، وَإِنّي لأَخشى، إِن طَحا بِكَ، ما تَقولُ
وَصارَت دارُنا شَحطاً عَلَيكُم، وَجُفَّ السَيفِ كُنتَ بِهِ تَصولُ
عَلَيكَ السِلمُ، فَاِسلَمها، إِذا ما أَواكَ لَهُ مَبيتٌ، أَو مَقيلُ
بِأَن يَعيا القَليلُ عَلَيكَ، حَتّى تَصيرَ لَهُ، وَيَأكُلكَ الذَليلُ
فَإِنَّ الحَربَ، لَو دارَت رَحاها، وَفاضَ العِزُّ، وَاِتُّبِعَ القَليلُ
أَخَذتَ، وَراءَنا، بِذُنابِ عَيشٍ، إِذا ما الشَمسُ قامَت لا تَزولُ[2]**

نُظمت الأبياتُ في موضع ردّ **عروة بن الورد** على **قيس بن زهير بن جذيمة** ، وهو سيّد **عبسٍ** ورئيسها، بعد أن تخلّى **قيسٌ** عن **عروة**، ويُخبر هذا الأخير **قيسًا** أنّ الأرض ضاقت به لتخليه عنه، وأنه تمنّى مقام **عروة** وبقاءه في قومه متى نزلت **بقيس** المعضلات، التي تجعل ديارهم خرابًا، وقيسٌ يجول في الحيّ حاملًا غمدَ سيفه فارغًا، وينصحه باتباع الصلح، لأنه في حالٍ لا تسمح له بالحرب، فهو ضعيفٌ لا يقوى عليها،

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص100.

* **الأغيد:** هو المائل ذو الجوانب المائلة، وهي صفة للشاب في أول طلعته وللفتاة يقال غيداء إذا بلغت. **أنكر:** ذو البأس الشديد. **القسور:** الأسد.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص95.

** **طحا بك:** ذهب بك. **جُفّ السيف:** غمده. **السّلم:** الصلح. **فاض العزّ:** انتشر. **اتبع القليل:** أي أكل الضعيف. **ذناب العيش:** طرفه. **لا تزول:** أراد إذا طاب عليك اليوم.

لأنه متى ما انتشر العزّ نال من الضعيف، وتقوّى عليه، ولم يقدر قيس على المواجهة، وبالتالي فإنّه سيأخذ بطرف العيشِ متوقّعًا الموت. ويعبّر نسقُ السيف عن غياب **عروة**، والدفاع به عن النفس، وحفظ حياته وكرامتها، ويرتبط هذا الغياب بالموت والذلّ.

أما **السليك بن السلكة**، فقد ورد السيف عنده، في موضع افتخاره بنفسه، وبصفاته الصعلوكية أثناء رفض فتاةٍ وصلهُ، يقول (من الوافر):

فَـــلا تَصِـــلي بِصُـــعلوكٍ نَـــؤومٍ إذا أَمســـى يُعَـــدُّ مِـــنَ العيَـــالِ
وَلَكِـــن كُـــلُّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَصـلِ السَـيفِ هامـاتِ الرِجـالِ[1]*

يُقارن السليك بينه وبين الصعلوك الفقير الذي خطبَ الفتاة، فهذا الأخير كثير النوم، يُعدّ ممن يجب الاعتناء بهم لعجزهم، وهو يتفقّد منكبيه مما قد يعلقُ بهما، وينظر إلى جسمه حذرَ أن ينحف ويصيبه الهزال، فهو يهتمّ بنفسه كثيرًا. أمّا صاحبنا السليك؛ فإنه نشيط يعتمد على نفسه، يستلّ سيفه، يواجه غيره ليُحصّل قوته، ومن رفض الإذعان له؛ فإنّ مصيره الموت بنصل السليك، إذ يقطع رأسه به.

يرتبط، إذن، السيف بالموت، فهو وسيلة قتل الآخرين بغثة تحقيق المآرب، وغيابه يعني التعرّض للقتل وضياع الروح سُدًى.

2-2-2-2- الرمح**

يحلُّ الرمح في المرتبة الثانية بعد السيف، من حيث الاستخدام، وهو على عكس السيف الذي يُستخدم شخصيًا، إذ يغلب استخدام الرمح في الحروب، ويستعمل في الطعن النافذ، الذي يشقّ طريقه في جسد من يُرمى به[2]. وقد استخدمه الصعاليك في مغامراتهم، ومن ذلك قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

وَنَحـنُ صَـبَحنا عـامِرًا، إذ تَمَرَّسَـت عُلالَـــةَ أَرمـــاحٍ وَضَـــربًا مُـــذَكَّرا

---

[1] السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، ص62.

***فلا تصلي:** فلا تبادلي الحب وتصلي أمرك. **نؤوم:** كثير النوم. **العيال:** جمع عيّل وهو من ينفق عليه ويُعال. **الضروب:** كثير الضرب. **هامات الرجال:** رؤوسهم.

**من أسماء الرمح: الثقاف، أسمر، المطر، راعف، المرّان، خرصان، الحربة، المخراق... وغيرها.

[2] ينظر، ناظم خليل حسين اللوقة، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، دراسة دلالية، رسالة ماجستير، إشراف: صادق عبد الله أبو سليمان، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأزهر، غزة (فلسطين)، 2011م، ص108.

بِكُــلِّ رُقــاقِ الشَــفرَتَينِ، مُهَنَّــدٍ، وَلَـدنٍ مِـنَ الخَطِّـيّ، قَـد طُـرَّ، أَسـمَرا
عَجِبـتُ لَهُـم، إِذ يَخنُقـونَ نُفوسَـهُم، وَمَقـتَلُهُم، تَحـتَ الـوَغى، كـانَ أَعـذَرا
يَشُــدُّ الحَلــيمُ مِــنهُمُ عَقــدَ حَبلِــهِ؛ أَلا إِنَّمــا يَــأتي الَّــذي كــانَ حُــذَّرا[1]*

أورد **ابن الورد** هذه الأبيات حين لقائه **وبني عبس** قبيلةَ **بني عامر**، إذ تعرّضت **بنو عبسٍ** صباحًا **لعامر**، وهم يحملون الرماح تهيئًا للحرب، فقابلهم العبسيون بكامل عُدّة الحربِ من سيوفٍ مهنّدةٍ ورماحٍ. ولما وجد العامريون هذا الاستعداد والصلابة من **بني عبسٍ**؛ صاروا يخنقون أنفسهم خوفًا من لقاء **بني عبس**، ولو أنهم واجهوهم في ساح الوغى لكان أعذرَ لهم. ولم يستثنِ سلوك الخنق أحدًا، حتى حلماء **بني عامر** وحكماؤهم، إذ كانوا شدون الحبال على رقابهم، ويخنقون أنفسهم. وارتبط الرمح في هذه الأبيات بالموت، إذ إنّ كثرة الرماح وإتقانها، وجودة صنعها، جعلت العامريين يستعجلون موتهم.

وقال **تأبط شرا** (من الطويل):

أَبَعدَ قَتيلِ العَوصِ آسى عَلى فَتًى، وَصـاحِبِهِ، أَو يَأمَـلُ الـزادَ طـارِقُ؟
أَأَطـرُدُ نَهبًـا آخِـرَ اللَيـلِ أَبتَغـي عُلالَــةَ يَــومٍ أَن تَعــوقَ العَوائِــقُ؟
لَعَمــرُو فَتًــى نِلــتُم، كَــأَنَّ رِداءَهُ عَلى سَرحَةٍ مِن سَرحِ دَومَةَ، شانِقُ
لأَطــرُدُ نَهبًــا، أَو نَــزورُ بِفِتيَــةٍ بِأَيمــانِهِم سُــمرُ القَنــا وَالعَقــائِقُ
مَســاعِرَةٌ، شُــعثٌ، كَــأَنَّ عُيــونَهُم حَريقُ الغَضا تُلفى عَلَيها الشَقائِقُ
فَعُـدّوا شُـهورَ الحِـرمِ، ثُـمَّ تَعَرَّفـوا قَتيـلَ أُنــاسٍ أَو فَتــاةً تُعــانِقُ[2]**

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص74.

* **تمرّست:** تعرّضت وعالجت ذلك. **علالة كل شيء:** ما جاء منه بعد طعن. **بكل رقاق:** رقيق الشفرتين. **ولدن:** يريد اللين المهمزة من الرماح. **طُر:** سُنَّ، **والسّنّ:** التحديد. **الأسمر:** الرمح الذي تؤخذ قناته وقد أدركت في غايتها ونضجت ويبست، فإذا قوّمت خرجت سمراء اللون. **الخطّي:** القنا كله يؤتى به من الخط، وهو مرفأ في البحرين. **الوغى:** الحرب.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص121-124.

** **قتيل العوص:** هو عمرو بن كلاب، وهو أحد صاحبي تأبط شرا. **آسى:** أحزن. **يأمل الزاد طارق:** كناية عن حزنه واكتئابه لمقتلهما. **النهب:** الغنيمة. **العلالة:** ما يتعلّل به الإنسان من طعام أو شراب. **شانق:** مُصعد برأسه إلى أعلى، وهي صفة للطول. **سمر القنا:** الرماح. **العقائق:** السيوف. **مساعرة:** جمع مسعر، وهو الرجل الذي تُحمى به الحرب وتشتعل، وهو كذلك الطويل الشديد. **شعث:** جمع أشعث، وهو المنفوش الشعر المُغبر السّحنة. **الغضا:** شجر تنبته الصحراء جيّد الحريق. **الشقائق:** زهور شديدة الحمرة، وهي المعروفة بشقائق النعمان.

أغار **تأبط شرا** وصاحباه على قبيلة **العوص** من **بجيلة**، فقُتِل صاحبه **عمرو بن كلاب**، فأقسم **تأبط شرا** أن يطردَ نهبًا **للعوص**، أو أن يُغير على **العوص** بفتيةٍ أشدّاء يحملون الرّماح والسيوف، وهم رجالٌ أهل حربٍ، اعتادوا عليها وعلى شظف العيش، وعيونهم متوقّدةٌ شررًا، كأنها نارُ الغضا، وكُلها غضب، **فتأبّط شرا** يتوعّد **بني العوص** بأنه سيُمعن فيهم القتل.ويرتبط نسق الرمح هنا بالموت، إذ إنّه وسيلة الطعن وسلب الحياة من **بني العوص**، وهي التي يعتمد عليها، بالإضافة إلى السيف، **تأبط شرا** ومن معه في قتل **بني العوص**.

وقال عمرو بن براقة (من الطويل):

مَتَى تَطلُبِ المَالَ المُمَنَّعَ بِالقَنَا تعِش ماجِدًا أَو تَخترِمكَ المَخارِمُ
وَكُنتُ إِذا قَومٌ غَزَونِي غَزَوتُهُم فَهَل أَنا في ذا يالَ هَمدانَ ظالِمُ؟
فَلا صُلحَ حَتّى تُقدَعَ الخَيلُ بِالقَنا وَتُضرَبَ بِالبيضِ الخِفافِ الجَماجِمُ
وَلا أَمنَ حَتّى تَغشِمَ الحَربُ جَهرَةً عُبَيدَةَ يَومًا والحُروبُ غَواشِمُ[1]*

يُعدّ **عمرو بن براقة** واحدًا من الصعاليك الشجعان، وقد اعتمد على الغزو في سبيل تحصيل الغنى، لذا، فهو يُخبرنا أنه من أراد أن يغتني فعليه أن يطلبه بقوة الرماح (السلاح)، فلا ينتظر أن يوهَبَ له المال، وهو أمام أمرين: إما الثراء، وإما أن يموت.

وللشاعر أخلاق الفرسان، فهو يقابل من غزاه بغزوهم في ديارهم، ويطرح سؤالا إنكاريًا: " **فَهَل أَنا في ذا يالَ هَمدانَ ظالِمُ؟**"، فهو ينفي الظلم عن نفسه بردّ الغزو على من يغزوه. ويستبعد **ابن براقة** الصلح، فلا صلح لديه إلا بعد المواجهة وضرب السيوف، ولا يأمن من عُبيدةَ حتى تنال الحرب منهم. وارتبط الرمح بالموت، إذ إنّ حضوره لا يكون إلا في الحرب، ويُستعمل فيها للطعن النافذ المؤدي إلى الموت.

---

[1] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ص ص114-115.

* **القنا:** الرمح. **اخترمته المخارم:** أهلكته المنايا. **يال همدان:** أصله يا آل همدان، حُذفت الهمزة تخفيفًا. **تُقدع الخيل بالقنا:** تُضرب بالرماح لتُكبَحَ وتكُفّ. **البيض الخفاف:** السيوف. **تغشم الحرب:** تظلم، وسميت الحرب غشوما؛ لأنها تنال غير الجاني. **الغشم:** أشدّ الظّلم.

4-2-2-3- القوس والسهم

تُمثّل القوسُ أداةً فاعلةً في حياة العربي الجاهلي، إنْ في السّلم أو الحرب، إذ يستخدمها والسهامَ في الصيد، والإغارة والسلب والنهب، وهما وسيلتا نصرٍ عنده، لذا أكثرَ الجاهليون من وصف قسيّهِم وسهامهم التي أعدوها للقتال، وأكثروا الفخر بها، فذكروها في أشعارهم وأمعنوا وصفها[1]. ولم يشذّ الصعاليك عن هذه القاعدة، إذ ورد ذكر القوس والسهم في شعرهم، ومن ذلك قول **الشنفرى** (من الطويل):

وَحَمــراءُ مِــن نَبــعٍ أَبِــيٍّ ظَهيــرَةٌ تُــرِنُّ كَإِرنــانِ الشَــجِيّ وَتَهتِــفُ
إِذا آلَ فيهـا النَـزعُ تَـأبى بِعَجسِـها وَتَرمــي بِــذَروَيها بِهِــنَّ فَتَقــذِفُ
كَأَنَّ حَفيفَ النَبلِ مِن فَوقِ عَجسِها عَـوازِبُ نَحـلٍ أَخطَـأَ الغـارَ مُطنِـفُ
نَــأَت أُمُّ قَــيسِ المَــربَعَين كِلَيهِمــا وَتَحــذَرُ أَن يَنــأى بِهــا المُتَصَــيَّفُ
وَإِنَّــكِ لَــو تَــدرينَ أَن رُبَّ مَشــرَبٍ مَخوفٍ كَداءِ البَطنِ أَو هُوَ أَخَوفُ
وَرَدتُ بِمَــأثورٍ يَمــانٍ وَضــالَّةٍ تَخَيَّرتُهــا مِمّــا أُريــشُ وَأَرصُــفُ
أَرَكَّبُهــا فــي كُــلَّ أَحمَــرَ غــاثِرٍ وَأَنسِــجُ لِلوِلــدانِ مــا هُــوَ مُقــرِفُ
وَتابَعــتُ فيــهِ البَــريَ حَتّــى تَرَكتُــهُ يُــــرِنُّ إِذا أَنْقَذْتُــــهُ وَيُزَفــــزِفُ
بِكَفَّــيَ مِنهــا لِلبَغــيضِ عُراضَــةٌ إِذا بِعــتُ خــلاًّ مَالَــهُ مُتَعَــرَّفُ[2]*

---

[1] ينظر، فهاد بن محمد بن فهاد آل غلفص الدوسري، وصف القوس في الشعر الجاهلي، ماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: دخيل الله بن محمد الصحفي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ، ص1 من المقدمة.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص54-55.

* **الحمراء:** القوس هنا، وجعلها حمراء إمّا لاتّخاذها من شجر النبع، وإمّا لقدمها، وإمّا لأنّ الشمسَ والأنداء غيّرت لونها. **النّبع:** شجر تُتّخذ منه القسيّ والسّهام. **الإرنان:** الصّياح بالبكاء. **الشّجيّ:** الحزين. **العجس:** مقبض القوس. **الذروان:** طرفاها. **عوازب:** جمع عازب، وهي التي ابتعدت عن المرعى. **الغار:** الكهف والمغارة. **المطنف:** من يعلو الطنف وهو رأس الجبل. **نأت:** بعدت. **المربعين:** مثنى المربع، وهو المكان الذي يُقام فيه في فصل الربيع. **المُتصيّف:** المكان الذي يقام فيه في فصل الصيف. **المأثور:** السّيفُ ذو الأثر. **اليماني:** المنسوب إلى اليمن. **تخيّرتها:** اخترتها. **أريش:** ألصق الريش عليه. **أرصف السهم:** أشدّه بالرّصافة (العقب الذي يُلوى فوق مدخل النّصل في السهم). **الأحمر:** القوس. **الغائر:** المغبرّ إلى خضرة. **المقرِف:** غير حسن. **يُرنّ:** يُصوّت. **يُزفزِفُ:** يُحدثُ صوتًا حين يُدار على الظّفر. **العراضة:** الهديّة التي يهديها المسافر بعد عودته، ووردت هنا على سبيل التهكّم.

يصفُ **الشنفرى** في هذا المقطع من فائيته قوسَه وسهمَه، وكيف أتقنَ صنعهما، حتى صارتا أنموذجًا يُحتذى به، إذ تخيّر لهما أجود الشجر، لتكونا ذاتا فاعلية ونجاعة في الضرب. ويمكّنه هذا الإتقان من إصابة الهدف إصابةً دقيقةً، مُخلفًا إياه قتيلًا لا حياة فيه، فأثر الضربة عميقٌ لا تُدركُه المسابر. ويقول **الشنفرى** في لاميته (من الطويل):

وَإنّـي كَفـانِي فَقدُ مَـن لَـيسَ جازِيًـا بِحُسـنى وَلا فـي قُربِـه مُتَعَلَّـلُ
ثَلاثَـةُ أَصـحابٍ: فُـؤادٌ مُشَـيَّعٌ وَأَبـيَضُ إِصـليتٌ وَصَـفراءُ عَيطَـلُ
هَتوفٌ مِـنَ المُلسِ المُتونِ تَزينُهـا رَصـائِعُ قَـد نيطَـت إِلَيهـا وَمِحمَـلُ
إِذا زَلَّ عَنهـا السَـهمُ حَنَّـت كَأَنَّهـا مُـرَزَّأَةٌ عَجلـى تُـرِنُّ وَتُعـوِلُ[1]*

وردت الأبيات في سياق حديث **الشنفرى** عن تخلي قومه عنه، وتنكّرهم له، واعتزازه بنفسه، واستبداله إياهم بغيرهم من وحوش الفلا، الذين كانوا خير صُحبةٍ ورفقةٍ له. كما أنه يخصّ ثلاثة أصحابٍ بالذكر؛ هم: قلبه الشجاع، وسيفه الحادّ، وقوسه الطويلة، وتساعده هذه الصحبة على البقاء حيًا، وإنما فقدها مات وحيدًا تنهشه السّباع.ويخصّص **الشنفرى** قوسه بالوصف؛ فهي ذاتُ صوتٍ يُعوّضه صوت الناس، مُزيّنة بالحُليّ، ذات محملٍ، إذا انطلق منها الصوت أصدرت صوتًا كامرأة حزينةٍ تصرخ لفقدها شخصًا عزيزًا عليها.

ويقول **عروة بن الورد** مخاطبًا زوجه (من الطويل):

ذَرينـي أُطَـوِّف فـي الـبِلادِ، لَعَلَّنـي أُخَلِّيكِ، أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضِري
فَـإِن فـازَ سَـهمٌ لِلمَنِيَّـةِ لَـم أَكُـن جَزوعًـا، وَهَل عَن ذاكَ مِن مُتَـأَخِّرِ؟
وَإِن فـازَ سَـهمي كَفَّكُم عَن مَقاعِدٍ لَكُم خَلفَ أَدبارِ البُيوتِ، وَمنظَرِ[2]**

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص60.

***التعلّل:** التلهّي، والمعنى: ليس في قربه سلوى لي. **المُشيّعُ:** الشجاع، كأنه في شيعة كبيرة من الناس. **الإصليت:** السّيف المجرّد من غمده. **الصفراء:** القوس من شجر النبع. **العيطل:** الطويلة. **هتوفٌ:** مُصوّتة. **المُلس:** جمعُ ملساء، وهي التي لا عُقَدَ فيها. **المُتون:** جمع المتن، وهو الصّلب. **الرّصائع:** جمع الرصيعة، وهو ما يُرصّع أي يُحلّى به. **نيطت:** عُلّقت. **المِحمل:** ما يُعلق به السيف أو القوس على الكتف. **زلّ:** خرج. **حنين القوس:** صوت وترها. **مُرزّأة:** كثيرة الرزايا (المصائب). **عجلى:** سريعة. **تُرنّ:** تُصوّت برنين، تصرخ. **تُعول:** ترفع صوتها بالبكاء والعويل.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص67.

****هامة:** يُريد أنّ الفتى يموت فتخرج منه هامة تعلو كلّ نشز. **صيّر:** حجارة تجعل كالحظيرة، زربًا للغنم. **الكناس:** موضع. **أخليك:** أي أُقتَلُ عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج.

يطلبُ عروة من زوجه العاذلة أن تتركه وشأنه، فإمّا أن يغنتي، وإمّا أن يموت في سبيل ذلك، فإن أصابه سهمُ الموت وقتله، فلن يكون خائفًا جزوعًا، فالموت مصير كلّ إنسان مهما طال عمره، وإنْ بقي حيًا واغتنى فإنه سيكفيها وأهلَهُ القعودَ خلف أدبار البيوت لانتظار ما يجود به الآخرون.

ارتبطت القوس والسهم في شعر الصعاليك بالموت، فمتى ما حضرا كان الموت؛ إمّا خصمًا عدوًا ينالون منه، وإمّا صيدًا ينالونه ويتقوتون به.

بناءً على ما سبق في هذا الفصل، نصلُ إلى أنّ الموت لا يكون عبثًا، بل يغدو القوّة التي تعطي الحياة معناها الأكمل، فتحتضن الموتَ وتتمثلهُ في حركتها الدائمة، فتنتصر حتّى في هزيمتها، إذ إنّ الموتَ الذي ينفيها، ظاهرًا، يؤكّدها حقيقةً. لا يعود الموتُ الظاهرة التي تفاجئ الإنسان وتضعُ حدًّا لحياته، بل يصبح الظاهرة التي تُميته وهو على قيد الحياة. وللموت صورٌ عدّة: فالفقر موت، والاستكانة موت، والقعود موت، والذلّ موت. إنّه الموت الذي لا يتغلّب على الإنسان بفعل الموت، بل بسحقه وإذلاله. ليس هناك تعارضٌ بين الحياة والموت كطرفين، بل إنّ بينهما تداخلًا، وكلّ واحدٍ منهما ينفذ في الآخر. والشعور بالانسحاق هو الموتُ الباردُ الذي يُخيّم على الإنسان وهو حيّ، ويتغلغل في حياته وأيامه. ولا يتخلّص الإنسان من هذا الموت وينتصر عليه إلا بالبطولة أو الفروسية[1].

[1] ينظر، أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحوّل –بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت (لبنان)، ط7، 1994م، ج1 الأصول، ص307.

الفصل الثاني

الأنساق الزمانية

في شعر الصعاليك

خطة الفصل الثاني

توطئة

1-مفهوم الزمن

2-نسق الأنس

2-1-الصباح

2-2-النهار

2-3-اليوم

3-نسق الصراع/الليل

توطئة

يمثّل الزمن إحدى المقولات التي شغلت بال الإنسان منذ القديم، وأدّت اهتماماتُ الفلاسفة، والأدباء، والعلماء بقضية الزمن، والسعي وراء معرفة ماهيته، ووضع مفهوماته إلى اختلاف دلالته، وانقسام الحقول المعرفية والفكرية حوله؛ فمقولة الزمن «**متعددة المجالات ويعطيها كل مجال دلالة خاصة، ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والنظري**»[1]؛ أي إنّ الزمن متعدّد المجالات، ما جعل تعريفاته تتعدد وتختلف من مجال إلى آخر، لذا، فإننا سنتناول في هذا الفصل مفهوم الزمن باقتضاب، ومختلف الأنساق الزمنية في شعر الصعاليك محل الدراسة.

1-مفهوم الزمن

لأنّ المقام لا يسمح بالتطرق لكل التعريفات اللغوية والاصطلاحية المختلفة للزمن، فإنّنا سنكتفي بإيراد تعريفين فقط للزمن.

من الناحية اللغوية، إذا عُدنا إلى معجم "**لسان العرب**" لوجدنا ابن منظور يُعرّفه بقوله: « **الزّمنُ والزّمانُ: اسمٌ لقيلِ الوقتِ وكثيرِهِ، وفي المُحكم: الزّمنُ والزّمانُ العصْرُ، والجمعُ أزمُن وأزمان وأزمنة**»[2]. أي أنّ الزمن هو الوقتُ، طال و قصُرَ، ولا فارق بين الزمن والزمان، فمعناهما واحد، ولا فرق بينهما، إذ تنتميان إلى مادة لغوية (زمن).

أمّا من الناحية الاصطلاحية فنجد الناقد الجزائري **عبد الملك مرتاض** يعرفه بأنه «**مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء، فتتأثر بماضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايشنا في كلّ لحظة من حياتنا، وفي كلّ مكان من حركتنا، غير أننا لا نحس به** »[3]. أي أنّ الزمن غير محسوس ولا مرئي، لمتع يوجد في الأشياء والكائنات الحية، ولا يمكننا العيش دونه، لأنّه كالهواء ضروري في حياتنا.

---

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، (المغرب- لبنان)، ط1، 1989م، ص61.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج13،مادة (زمن)، ص199.

[3] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران (الجزائر)، (د.ط). 2005م، ص ص 172- 173.

ووردت في شعر الصعاليك أنساق زمنية متنوعة، منها ما تعلق بالصراع، ومنها ما تعلق بالأنس، وفيما يلي تفصيل لها.

2-نسق الصراع

تميزت حياة الصعاليك بالاضطراب، وهذا جرّاء الصراع الدائر بينهم وبين القبيلة وحمولتها الثقافية المبنية على الانتماء والولاء التام لها، إذ ثار هؤلاء الفتية على أعرافها ورفضوا مقوماتها، فآثروا الخروج عليها بحثا عن الغنى والحرية وتحقيق الذات. لذا، لم تكن الطريقة سالكة أمامهم، فكانوا في صراع دائم مع القبيلة من جهة، ومع أنفسهم من جهة أخرى، وقد تمظهر هذا الصراع كثيرا في أشعارهم.

وبناء عليه، نروم في هذا الجزء من البحث دراسة أهم الأنساق الزمنية المرتبطة بالصراع في شعرهم، وهذا من خلال التيمات الآتية:

2-1- الصباح

نعرف أنّ الصباحَ أوّلُ النهار، وهو الفترة الزمنية التي تلي شروق الشمس إلى الظهيرة، وفي الأدب يمكن تصويره كنقطة بداية للقصة وفتح جديد لفصل جديد، ويمكن استخدامه للتعبير عن الأخيرية والراحة والتحضر والصفاء المعنوي. وقد يتم توظيفه في الأدب للتعبير عن الجمال الطبيعي، والطبيعة الهادئة، والرؤية الشاملة للمكان.
إلى جانب ذلك، يمكن تصوير الصباح في الأدب كتجربة متأرجحة سواء كان ذلك جراء تفكيرهم في ماضيهم، أو مستقبلهم، أو التطلّع إلى بداية جديدة بعد نهاية شيء ما.

أما في النقد الثقافي، فيمكن استخدام الصباح كرمز للبداية الجديدة والتجدد والأمل، حيث يمكن استخدامه لتصوير الفرص الجديدة في الحياة والبدايات الأفضل. كما يمكن استخدامه للحديث عن فترة الصباح.

وورد هذا الزمن كثيرا لدى الشعراء الجاهليين، وحتى في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **السليك بن السلكة** (من الطويل):

يُكَذِّبُني العَمرانِ عَمرُو بنُ جَندَبٍ وَعَمرُو بنِ سَعدٍ وَالمُكَذِّبُ أَكذَبُ
سَعَيتُ لَعَمري سَعيَ غَيرِ مُعَجَّزٍ وَلا نَأنَأٍ لَو أَنَّني لا أُكَذِّبُ

ثَكِلتُكُمــا إِن لَــم أَكُــن قَــد رَأَيتُهــا كَـراديسَ يُهـديها إِلـى الحَـيِّ كَوكَـبُ
كَــراديسُ فيهــا الحَــوفَزانُ وَحَولَــهُ فَــوارِسُ هَمَّــامٍ مَتــى يَــدعُ يَركَبــوا
تَفاقَــدتُم هَــل أَنكِــرَنَّ مُغيــرَةً مَعَ الصُبحِ يَهديهِنَّ أَشقَرُ مُغرِبُ[1]*

وردت الأبيات في موضع إنذار **السليك** قومَهُ من هجوم جيش **بكر بن وائل**، وقد تتبعه فارسان من **بكر**، لكنهما لم يستطيعا اللحاق به؛ لعزمه على مواصلة المسير وعدم الخلود للراحة بعض الوقت، وحين وصلَ إلى قومه كذّبه "**عمرو بن جندب**" و"**عمرو بن سعد**" لبُعد الديار والغاية، فدعا عليهما لتكذيبهما إياه.

ويُعبّر الصباح في الأبيات السابقة عن الصراع الداخلي، الذي يعتور نفس **السليك** فهو بين حال الخوف من ملاقاة الجيش، وبين الشجاعة والاستعداد لهذا اللقاء، فهو يروم النجاة من أعدائه ليعود إلى ديار صحبه، والإحساس بالأمان، من الفرد إلى الجماعة التي تنصره ولا تتركه وحيدًا في قومه.

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

قَتَلنــا قَتــيلاً مُحرمًــا بِمُلَبَّــدٍ جِمـارَ مِنًـى وَسـطَ الحَجـيجِ المُصَوَّتِ
جَزَينـا سَـلامانَ بـنَ مُفـرِجَ قَرضَـها بِمــا قَــدَّمَت أَيــديهِمُ وَأَزَلَّــتِ
وَهُنَّــئَ بــي قَــومٌ وَمــا إِن هَنَــأتُهُم وَأَصـبَحتُ فـي قَـومٍ وَلَيسـوا بِمُنبِتـي
فَـإِن تُقبِلـوا تُقبِـل بِمَـن نيـلَ مِـنهُمُ وَإِن تُـدبِروا فَــأُمُّ مَــن نيــلَ فُتَّــتِ
شَـفَينا بِعَبـدِ اللَـهِ بَعـضَ غَليلِنــا وَعَوفٍ لَدى المَعدى أَوانَ اِستَهَلَّتِ[2]**

---

[1] السليك بن السلكة –أخباره وشعره، ص ص47–48.

* **النأنأ:** العاجز والضعيف الرأي. **الحوفزان:** هو الحارث بن شُريك الشيباني، وسمي الحوفزان لأنّ قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح، وكل ما قلعته عن موضعه فقد حفزته. **همام:** من قبائل بني رياح من تميم. **التفاقد:** الدعاء عليهم. **مُغرب:** يبعد في جريه.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص37.

** **مُلبّد:** إشارة إلى عادة العرب في العصر الجاهلي بدهن شعورهم بشيء من الصّمغ للتلبد. **المصوّت:** الذي يجهر بصوته في الدعاء ونحوه. **الجمار:** الحصى التي يرمي بها الحاجّ في منى. **سلامان بن مفرج:** بطنٌ من الأزد، وهم بنو عمّ الشنفرى. **أزلّت:** قدّمت. **فُتّت:** دُقّت وكُسِرت. **الغليل:** حرارة العطش، وهو، هنا، العطش إلى القتال. **المعدى:** موضع القتال، أي بردنا غليلنا بقتل عبد الله وعوف.

يبرز الصباح في الأبيات السابقة ليُبيّن الصراع الذي عاشه **الشنفرى**، وتغيّر حاله من الإحساس بالضيق من تعرّض صاحبه للقتل، إلى الانفراج ومعاقبة **الشنفرى** وصحبته "**سلامان بن مفرج**"، فثأروا منهم وأثخنوا القتل فيهم، وهُنّئ **الشنفرى** لفعله الشجاع هذا، فصار في قومٍ جُددٍ لم يكن ينتمي إليهم قبلًا انتماء الدم، فأصبح منهم وواحدًا فيهم، ما جعله يفوز بذلك الصراع، وخلّف في نفسه الارتياح وملء فراغ العزل والخلع فيه نفسه، وقال أيضا (من الطويل):

أَلا هَـل أَتـى عَنّـا سُـعادَ وَدونَهـا مَهامِـهُ بيـدٍ تَعتَلـي بالصَـعالِكِ
بِأَنّـا صَبَحنا القَومَ فـي حُرِّ دارِهِم حِمـامَ الـمَنايا بِالسُـيوفِ البَواتِـكِ
قَتَلنـا بعَمـرو مِـنهُمُ خَيـرَ فـارِسٍ يَزيـدَ وَسَـعدًا وَابـنَ عَـوفٍ بِمالِـكِ
ظَلَلنـا نُفَـرّي بِالسُـيوفِ رُؤوسَـهُم وَنَرشُـقُهُم بِالنَبـلِ بَـينَ الـدَكادِكِ[1]*

تنقل الأبيات خبر غارةٍ نفّذها **الشنفرى** وصحبه الصعاليك، وقد كانت الغارة صباحًا، أي إنّ الصعاليك قد باتوا ليتلتهم مستيقظين يخططون للإغارة، بينما كان أعداؤهم نائمين هانئين في ديارهم.

فأغار **الشنفرى** ومن معه عليهم، فأمعنوا فيهم الطعن والقتل، واستمروا على ذلك النهار كله، ممّا يدلّ على تمكّن الصعاليك من هؤلاء القوم والنيل منهم، فغلبوهم وانتصروا عليهم.

كما يعبّر الصباح في الأبيات السابقة على الصراع لد الصعاليك نهاية الظلام بالنسبة لهم، هذا الصراع الذي يحمل معاني الظلم والضيق بسبب الرغبة في الثأر، والضياء هو تنفس **الشنفرى** من ذلك الضيق، والتنفيس عنه بأخذه ثأره من أعدائه، ويمكن تلخيص ما سبق في الشكل الآتي:

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص57.

* **دونها:** يفصلني عنها. **المهامه:** جمع المهمه، وهي الصحراء الواسعة البعيدة التي لا ماء فيها. **البيد:** جمع البيداء، وهي الصحراء. **اعتلى:** ارتفع. **العوص:** حيّ من بجيلة. **حرّ دارهم:** وسطها. **الحِمام:** قضاء الموت وقدره. **المنايا:** جمع المنيّة، وهي الموت أيضًا. **البواتك:** جمع الباتك، وهو القاطع. **عمرو:** عمرو بن كلاب، وكانت بجيلة قد قتلته مع رفيقه المسيّب بن علس. **يزيد وسعد:** هما من بجيلة قتلهما الشنفرى ثأرًا من قتلهما عمرو والمسيّب. **نُفَرّي:** نشق، نقطع. **الدكادك:** جمع الدكدك، وهو الأرض التي فيها غلظ.

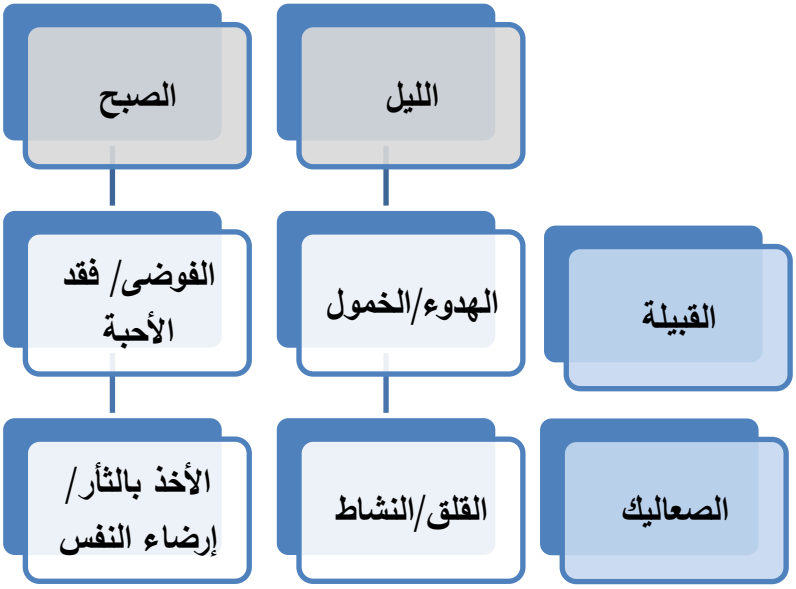

وغير بعيدٍ عن هذا؛ نجد **الشنفرى** يقول في لاميته (من الطويل):

دَعَستُ عَلى غَطشٍ وَبَغشٍ وَصُحبَتي سُعارٌ وَإِرزيزٌ وَوَجرٌ وَأَفكَلُ
فَأَيَّمتُ نِسوانًا وَأَيتَمتُ إِلدَةً وَعُدتُ كَما أَبدَأتُ وَاللَيلُ أَليَلُ
وَأَصبَحَ عَني بِالغُمَيصاءِ جالِسًا فَريقانِ: مَسؤولٌ وَآخَرُ يَسأَلُ
فَقالوا: لَقَد هَرَّت بِلَيلٍ كِلابُنا فَقُلنا: أَذِئبٌ عَسَّ أَم عَسَّ فُرغُلُ
فَلَم يَكُ إِلا نَبأَةً ثُمَّ هَوَمَت فَقُلنا: قَطاةٌ رِيعَ أَم رِيعَ أَجدَلُ
فَإِن يَكُ مِن جِنٍّ لَأَبرَحُ طارِقًا وَإِن يَكُ أُنساً ماكَها الأُنسُ تَفعَلُ[1]*

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص ص69، 70.

* **دعست:** دفعت بشدة وإسراع، وقيل: معناه مشيت، أو وطئت. **الغطش:** الظلمة. **البغش:** المطر الخفيف. **صحبتي:** أصحابي. **السّعار:** شدّة الجوع، وأصله حرّ النار، فاستعير لشدّة الجوع، وكأنّ الجوع يُحدث حرًّا في جوف الإنسان. **الإرزيز:** البرد. **والوجر:** الخوف. **الأفكل:** الرعدة والارتعاش. **أيّمت نسوانا:** جعلتهن أيامى، أي بلا أزواج. **والأيّمُ:** من لا زوجَ له من الرجال والنساء على حدّ سواء. **الإلدة:** الأولاد. **وأيتمتُ إلدة:** جعلتهم بلا آباء. **أبدأت:** بدأت. **أليل:** شديد الظلمة. **الغميصاء والجلس:** اسم لبلاد نجد، يقال: جلس الرجل إذا أتى الجَلْس، فهو جالس، كما يقال: أَتْهَمَ، إذ أتى تهامة. **هرّتْ:** نبحت نباحًا ضعيفًا. **عسَّ:** طاف بالليل، ومنه العسس، وهم حرّاس الأمن في الليل. **الفُرغُل:** ولد الضبع. **النّبأةُ:** الصوت، والمقصود صوت صدر مرةً واحدةً ضعيفًا. **هوّمت:** نامت. **القطاة:** نوع من الطيور، يسكن الصحراء خاصة. **ريعَ:** خافَ. **الأجدلُ:** الصقر. **أبرح:** أتى البَرَح، وهو الشّدّة، وقيل: هو أفعل تفضيل من البرح، وهو الشدّة والقوّة. **الطّارق:** القادم بالليل.

يذكر **الشنفرى** خبر إحدى مغامراته في الصعلكة، وكيف أنه سار في ليلة مظلمة باردة لا يصحبه إلا جوعه وخوفه وارتعاده من شدّة البرد، فقتل رجالا كُثرًا، وأيّم نسوانهم وأيتم أبناءهم، وعاد على حاله سالمًا مُعافى في ليلته الصعبة تلك. وحين أصبح الصباح تركَ القومَ الذين أغار عليهم **الشنفرى** منقسمين إلى فريقين: فريقُ يسأل وفريق يجيبُ، وكلا الفريقين مندهش من آثار الغارة، وكان من خبرهم أيضا أنهم سمعوا كلابهم تنبح نباحا خفيفا، ومردّ ذلك أنهم ظنوا أنّ بالمكان ذئبًا أو فرعلًا. ولأنّ النباح كان مرة واحدة، فإنهم قد ظنوا أيضا أنّ الأمر لا يعدو أن يكون تواجد قطاة أو صقر في المكان، فواصلوا نومهم هانئين.

لكنهم لمّا وجدوا آثار الغارة صباحًا أيقنوا أنّ حركة الليلة الماضية ليست لحيوان؛ فالجثث شاهدة أمامهم على صنيع كائن غير الحيوان، فاحتاروا لفظاعة الأمر، هل يكون الفاعل جنيًا طرق ديارهم ليلًا، لأنّه يستحيل أن تكون آثار الغزو تلك من فعل بشر، فلم يستسيغوا الأمر، ولم يتقبّلوا أن يفعل إنسيّ ذلك، وبقوا على هذه الحيرة دون أن يعلموا أنّ من قام بهذا الفعل كان "أبا شرّ" نفسه: **الشنفرى**.

يعبّر الصباح في الأبيات الآنفة عن تحوّل حال القبيلة من الأمن والاطمئنان، والراحة والهناء، إلى الاضطراب والحيرة والفجيعة وألم الفقد، فالصباح ها هنا مليء بالصراع وما يحمله من شتى أنواع الألم والحزن والفقد. وقال **تأبط شرا (من الطويل):**

جَزى اللَـهُ فِتيانًا عَلى العَوصِ أَمطَرَت سَـماؤهُمُ تَحـتَ العَجاجَـةِ بِالـدَمِ
وَقَـد لاحَ ضـوءُ الفَجـرِ عَرضًـا كَأَنَّـهُ بِلَمحَتِـهِ أَقـرابُ أَبلَـقَ أَدهَـمِ
فَـإِنَّ شِـفاءَ الـداءِ إِدراكُ نُحلَـةٍ صَـياحٌ عَلـى آثـارِ حَـومٍ عَرَمـرَمِ
وَضـارَبتُهُم بِالسَـفحِ إِذ عارَضَـتهُمُ قَبائِـلُ مِـن أَبنـاءِ بِشـرِ وَخَـثعَمِ
ضِـراباً غَـدا مِنـهُ اِبـنُ حـاجِزَ هارِبًـا ذُرى الصَخرِ فـي جَدرِ الرَجيلِ المُرَيَّمِ[(1)]*

(1) ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص71.

* **العجاجة:** المجموعة من الجمال كثيرة العدد والعظيمة. **أقراب:** جمع قرب، وهو الخاصرة. **الأبلق:** لون هو بين الأبيض والأسود. **الأدهم:** الأسود. **النّحلة:** العطاء. **الحوم:** القطيع الكبير من النوق. **العرمرم:** الكبير. **السفح:** أسفل الجبل الذي يغلظ فيسفح فيه الماء. **بشر وخثعم:** قبيلتان عربيتان. **ذرى الصخر:** أعاليه. **الجدر:** والجدار، الحائط. **الرجيل:** البعيد من كلّ أمر. **المريّم:** المهجور والمتروك.

على عادته في أشعاره؛ ينقل **تأبط شرا** خبر واحدةٍ من معاركه؛ «**فيصوّر لنا أجواء المعركة بلقطاتٍ سريعةٍ، وكيف تصاعدَ الغبارُ من هول المعركة، بحيث أنّ السماءَ أمطرت دمًا لكثرة الطعن والضرب من أجسام أعدائهم، ولهذا فالشاعر يتضرّع إلى ربّه أن يجزي الصعاليك خيرًا للفعل البطولي هذا، ويمضي الشاعر في سرده لأحداث المعركة ليُحدّد لنا الزمن الذي وقعت فيه أحداث المعركة وامتدادها إلى أن لاح الفجر، فكأنّه السيف المسلول من قرابه، وقد انجلت عن هزيمة العوص وفرارهم من ساحة القتال، وقد تحقّق بذلك نصر الصعاليك**»[1].

ويعبّر الصبح في هذه الأبيات على السيطرة التي يتمتع بها الصعاليك في معاركهم، فتمكُّنُهُم من مجريات المعركة أدّى إلى النيل من المغار عليهم، فكانت نتيجتها كثرة القتلى، وفرار من نجا من الموت منهم.

وقال أيضا (من الطويل):

أَلا عَجِبَ الفِتيانُ مِن أُمِّ مالِكٍ تَقولُ: لَقَد أَصبَحتَ أَشعَثَ أَغبَرا
قَليلَ الإِتاءِ وَالحَلوبَةِ بَعدَما رَأَيتُكَ بَرّاقَ المَفارِقِ أَيسَرا
فَقُلتُ لَها: يَومانِ، يَومُ إِقامَةٍ أَهُزُّ بِهِ غُصناً مِنَ البانِ أَخضَرا
وَيَومٌ أَهُزُّ السَيفَ في جيدِ أَغيَدٍ لَهُ نِسوَةٌ لَم تَلقَ مِنّي أَنكَرا
يَنُحنَ عَلَيهِ وَهوَ يَنزِعُ نَفسَهُ: لَقَد كُنتَ أَبّاءَ الظُلامَةِ قَسوَرا[2]*

يرتبط الصبح في أبيات **تأبط شرا** الصراع لديه، وكيف تغيّرت حاله من اليُسر والنعمة ورغد العيش، إلى صعوبته وشظفه وشدّته، فالرجل كان برّاق المفارق يعيش في

---

[1] جابر خميس عباس، الصراع في شعر الصعاليك، مجلة "لارك" للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العراق، ج3، ع32، 2019/01/01م، ص52.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: ذوق الفقار شاكر، ص ص98، 100.

* **الفتيان:** جمع فتى، وهو الرجل ذي النجدة الشجاع. **الأشعث الأغبر:** الذي اغبرّ شعره وتلبّد. **الإتاء:** الثمر. **الحلوبة:** الناقة أو الشاة الحلوب. **برّاق المفارق:** مُدّهنُ الشعر مُرجّلُه من النعمة، وأيسر ميسور، **والمفارق:** جمع مفرق: وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر. **يوم إقامة:** يمكث في الحي، لا يغير فيه. **البان:** شجرة ذات زهر أبيض. **الأغيد:** هو المائل ذو الجوانب المائلة، وهي صفة للشاب في أول طلعته وللفتاة يقال غيداء إذا بلغت. **أنكر:** ذو البأس الشديد. **القسور:** الأسد.

نعمةٍ، لكنه صار صعلوكًا أشعر الرأس أغبره. ويجيب **أمّ مالك** بأنّ حاله بين يومين؛ يوم إقامة ورغد وراحة، ويوم قتال وإغارة وقتل، وكلّ من لاقاه ينزع نفسه معترفًا بأنّ **تأبط شرا** أبيّ النفس شجاعها. وقال أيضا (من الطويل):

وَقـــالوا لَهـــا: لا تَنكِحيـــهِ فَإِنَّـــهُ لأَوَّلِ نَصـــلٍ أَن يُلاقِـــيَ مَجمَعـــا
فَلَـم تَـرَ مِـن رَأيٍ فَتـيلاً، وَحـاذَرَت تَأَيُّمَهـا مِـن لابِـسِ اللَيـلِ أَروَعـا
قَليـلُ غِـرارِ النَـومِ، أَكبَـرُ هَمِّـهِ دَمُ الثَـأرِ، أَو يَلقـى كَمِيًّـا مُقَنَّعـا
يُماصِـعُهُ، كُـلٌّ يُشَـجِّعُ قَومُـهُ، وَمـا ضَـربُهُ هـامَ العِـدى لِيُشَـجَّعا
قَليـلِ اِدِّخـارِ الـزادِ، إِلا تَعِلَّـةً وَقَد نَشَزَ الشُرسوفُ وَالتَصَقَ المِعى
يَبيـتُ بِمَغنـى الـوَحشِ حَتّـى أَلِفنَـهُ وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها . الدَهر. مَرتَعا[1]*

أراد **تأبط شرا** خطبة فتاةٍ، فأشار عليها بعضهم ألا تقبل بذلك، لأنه، كما يرون، سيموت عند أوّل نصلٍ يصيبه، فوافقت الفتاة على رأي المشيرين عليها مخافةَ أن تغدو أيمًا من صعلوك صاحب ليل.

ويذكر **تأبط شرا** بعدها صفاته الصعلوكية بأنه قليل النوم، أكبر همّه وهدفه في الحياة أن يأخذ ثأره، أو أن يلاقي شجاعا فيغلبه، كما يذكر واحدة من صفاته وصفات الصعاليك، وهي عدم ادّخار الزاد كما يفعل المترفون، فيظل جائعًا تبرز أضلاع صدره، وتلتصق أمعاؤه من شدة الجوع. أما مبيته فإنه يبيت في العراء وسط الوحوش، التي ألفته واعتادت وجوده بينها، ويصبح وهو حرّ لا يحمي مرعى أو مرتع أحدٍ.

ويعبّر الصبح هنا عن حال الصعلوك في القبيلة، والصراع القائم بينهما، إذ يُرفض زوجًا لإحدى بناتها، وهذا ضيم في حقه، فهو رجل كبقية الرجال، وليس أيّ رجل بمنأى

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، ص ص112-115.

***أول نصل:** أي يُقتل بأول نصل. **المجمع:** الجماعة من المقاتلين. **الغرار:** القليل من النوم، وقوله قليل غرار النوم؛ أي أقلّ القليل. **الكميّ:** الذي يكمي شجاعته أو يتكمّى في سلاحه. **المقنّع:** الملثّم بلثام حرب وقتل. **يُماصعه:** يقاتله، وأصله المصع أي الضرب والرمي. **التّعلّة والتّحلّة:** القليل الذي يُتعلّل به ويُسدّ به الرّمق من الزّاد. **نشزَ الشرسوف:** مفردٌ جمعهُ الشراسيف، وهو أطراف أضلاع الصدر التي تشرفُ على البطن، **ونشوزها:** بروزها من شدّة ضمور البطن والجسم. **المعى:** الأمعاء. **مغنى الوحش:** منازل الوحوش ومرابعها. **لا يحمي لها مرتعًا:** أي لا يحمي من أجلها مرعى ولا يشغل نفسه بصيدها.

عن الموت، فهو بهذا يحسّ بالاحتقار والتهميش، ما يجعله يُعدّد صفاته، ويذكر خلاله ومناقبه، ليُبيّن تفوّقه على بقية الرجال؛ سواء بالإيثار أو بالشجاعة ومجابهة الخصوم والوحوش. ونواصل مع **تأبط شرا**، فنجده يذكر بعض أخباره*؛ يقول (من الطويل):

أَقسَمتُ لا أَنسى، وَإِن طالَ عَيشُنا، صَنيعَ لُكَيزٍ وَالأَحَلِّ بنِ قُنصُلِ
نَزَلنا بِهِ يَومًا فَساءَ صَباحُنا فَإِنَّكَ ـ عَمري ـ قَد تَرى أَيَّ مَنزِلِ
بَكى إِذ رَآنا نازِلينَ بِبابِهِ، وَكَيفَ بُكاءُ ذي القَليلِ المُسَبَّلِ
فَلا وَأَبيكَ ما نَزَلنا بِعامِرٍ، وَلا عامِرٍ، وَلا الرَئيسِ اِبنِ قَوقَلِ
وَلا بِالشُلَيلِ . رَبِّ مَروانَ . قاعِدًا بِأَحسَنِ عَيشٍ، وَالنُفاثِيِّ نَوفَلِ [1]**

نجا **تأبط شرا** وصحبه من عملية تسميم أعدّها لهم "**الأحلّ بن قنصل**"، بل ماكره **تأبط شرا** بالاتفاق مع صحبه لينالوا من الأحلّ بعيدًا عن قومه، فنجوا من الموت المحقق.

ويعبّر الصباح فيما سبق عن الصراع المستمر بين الصعاليك وأعدائهم، وكيف يكيدون لهم للتخلص منهم، بالإضافة إلى ذكاء الصعاليك الذين فطنوا للأمر، لتبدأ حياة جديدة للصعاليك بعد نجاتهم من الخديعة والموت، وهلاك المدبّر في نحره، ويمكن تلخيص ذلك في الشكل الآتي:

---

*خبر القصيدة أنّ تأبّط شرا خرج "يريد أن يغزو هذيلا في رهط، فنزل على الأحلّ بن قنصل- رجل من بجيلة- و كان بينهما حِلف، فأنزلهم ورحّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذّراريح ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شرا، فقام إلى أصحابه فقال: إني أحبّ ألا يعلم أنا قد فطنّا له، ولكن سابّوه حتى نحلف ألّا نأكل من طعامه، ثم أغترّه فأقتله، وقال: أنه إن علم حذرني. وقد كان مالأ ابن قنصل رجل منهم يقال له لُكيز قتلت فهمٌ أخاه، فاعتلّ عليه وعلى أصحابه فسبّوه وحلفوا ألّا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وجهه، وأخذ في وادٍ فيه البُبور (أي النمور)، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، و العرب تسمي البَبْرَ (النمر) ذا اللونين، و بعضهم يسميه **السّبنتى**، فنزل في بطنه فقال لأصحابه: انطلقوا جميعا فتصيّدوا، فهذا الوادي كثير الأروى، فخرجوا فصادوا، و تركوه في بطن الوادي، فجاءوا فرأوه وقد قتل ببرًا وحده، وغزا هذيلا فغنم وأصاب، فقال تأبّط شرّا في ذلك قصيدته هذه التي مطلعها:

أَقسَمتُ لا أَنسى، وَإِن طالَ عَيشُنا، صَنيعَ لُكَيزٍ وَالأَحَلِّ بنِ قُنصُلِ

ينظر خبر القصيدة: ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص168-169.

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص167، 170.

لكيز: اسم لرجل، وكذا **الأحلّ بن قنصل. المسبل:** المباح. **وأبيك:** لفظ يراد به التعبير عن الزجر أو الإعجاب. **القوقل:** قول يقال للرجل إذا استجار بمعنى: أمنت. **الشليل:** موضع كانت تسيطر عليه بنو قشير. **النفاثي:** الرجل المنسوب إلى بني نفاثة.

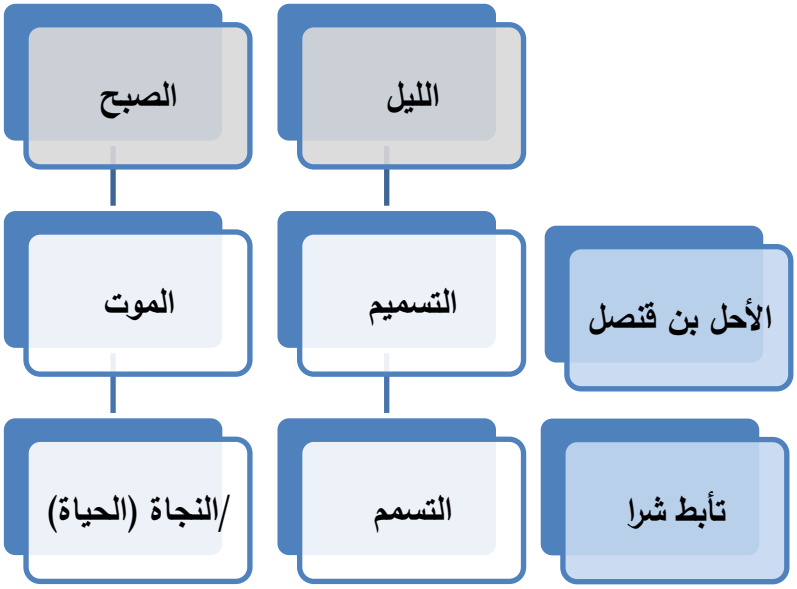

ومن أخبار تأبط شرا مع الغول يقول (من الوافر):

أَلا مَـــن مُبلِـــغٌ فِتيـــانَ فَهـــمٍ بِمـــا لاقَيـــتُ عِنـــدَ رَحـــى بِطـــانِ
بِـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ الغـــولَ تَهـــوي بِسَـــهبٍ كَالصَـــحيفَةِ صَحصَـــحانِ
فَقُلـــتُ لَهـــا كِلانـــا نِضـــوُ أَيـــنٍ أَخـــو سَـــفَرٍ فَخَلّـــي لـــي مَكـــاني
فَشَـــدَّت شَـــدَّةً نَحـــوي فَـــأَهوى لَهـــا كَفّـــي بِمَصـــقولٍ يَمـــاني
فَأَضـــرِبُها بِـــلا دَهَـــشٍ فَخَـــرَّت صَـــريعاً لِليَـــدَينِ وَلِلجِـــرانِ
فَقالَـــت عُـــد فَقُلـــتُ لَهـــا رُوَيـــداً مَكانَـــكِ إِنَّنـــي ثَبـــتُ الجَنـــانِ
فَلَـــم أَنفَـــكُّ مُتَّكِـــئً لَـــدَيها لِأَنظُـــرَ مُصـــبِحاً مـــاذا أَتـــاني
إِذا عَينـــانِ فـــي رَأسٍ قَبـــيحٍ كَـــرَأسِ الهِـــرِّ مَشـــقوقِ اللِسـانِ
وَســـاقا مُخـــدَجٍ وَشَـــواةُ كَلـــبٍ وَثَـــوبٌ مِـــن عَبـــاءٍ أَو شَـــنانِ[1]*

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص222-227.

*فهم: قبيلة تأبط شرا. رحى بطان: موضع في بلاد هذيل. السهب: الفلاة، وهي أيضا ما بعُد من الأرض واستوى. الصحصحان: الأرض المستوية الواسعة العارية من النبت. تهوي: من الهَوي، وهو العدو السريع. النّضو: الدّابّة التي هزلتها الأسفار وأنضتها. الأين: التّعب والإعياء. الشّدّة: الهَجمةُ. أهوى: ارتفع وامتهدّ. الدّهش: ذهاب العقل من الذّهَل والوله والفزع. الجِران: مُقدّم العنق. عُد: أي أعد الضربة ثانية. ثبت: أي ثابت. الجنان: القلب والفؤاد. المخدج: الناقص الخلق من الإبل وغيرها، والمقصود المشوه الممسوخ. الشواة: جلدة الرأس. العباء: من الكساء واسعٌ فيه خطوط سود كبار. الشّنان: الأسقية والزقاق الخلقة البالية من الجلد، وتكون داكنة اللون أقرب إلى السواد.

التقى **تأبط شرا** الغول في إحدى الليالي، وقد رآها تقصده، فخاطبها خطابًا مسالمًا لتتركه يكمل طريقه، لكنها أبت إلا أن تنال منه، فواجهها مواجهة الشجاع المستميت، وضربها بسيفه فخرّت والدماء تسيل منها طالبةً منه أن يغادرها، فأبى وبقي قربها ليلته؛ ليجدها بعد انبلاج النور على شكل قبيح تشمئز منه النفوس، وترفض رؤيته الأبصار.

ويعبّر الصباح في القصيدة عن الصراع الدائم في حياة الصعلوك، والضيق والشدّة والمعاناة، وعن انكشاف حقيقة العدو، وبروز تفاصيله كافة، كما يشي أيضا بشجاعة **تأبط شرا** وثباته في مواجهة عدوه كائنًا ما/ من كان.

وإذا ما انتقلنا إلى **عروة الصعاليك**، فإننا نجد شعره ينطوي على الصبح بشكل محتشم، إذ ورد في قصيدتين اثنتين؛ أولاهما قوله من الرائية (من الطويل):

لَحى اللَهُ صُعلوكًا، إذا جَنَّ لَيلُهُ، مُصافي المُشاشِ، آلِفًا كُلَّ مَجزَرِ
يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ، كُلَّ لَيلَةٍ، أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ
يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ ناعِسًا، يَحُثُّ الحَصى عَن جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ
قَليلُ اِلتِماسِ الزادِ إلا لِنَفسِهِ، إذا هُوَ أَمسى كَالعَريشِ المُجَوَّرِ
يُعينُ نِساءَ الحَيِّ، ما يَستَعِنُّهُ، وَيُمسي طَليحًا، كَالبَعيرِ المُحَسَّرِ[1]*

تنتمي الأبيات إلى رائية عروة الشهيرة "**أقلّي عليّ اللوم**"، وفيها يذكر صفات الصعلوك الخامل، الذي يقتات على بقايا الآخرين، والذي توكل إليه الأعمال الحقيرة، التي لا تناسب مقامات الرجال، فهو سقط متاع في قومه لا فارس من فرسانهم.

ويعبّر **الصباح** فيها على الصراع مع الفقر، وحال الخامل؛ ليله كنهاره، لا شرف له ولا مكانة، وينتظر أن يجود عليه الناس بطعامٍ يقتات منه، كما أنّه لا همّ له سوى إشباع بطنه، ويقي ليله نائمًا ليستيقظ خاملًا نعسانًا، لا نشيطًا كأقرانه.

أما الموضع الثاني الذي ورد فيه الصباح ففي قوله (من الطويل):

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص68.

* **مصافي المشاش:** مختار، مؤثر للأكل. **والمشاش:** رأس العظم اللين. **المجزر:** الموضع الذي تجزر فيه الإبل. **الصعلوك:** أراد به الصعلوك اللئيم الذي يعيش خاملًا. **يحثّ الحصى:** لا يبرح الحي، **وحثّ الشيء:** قشره وأسقطه. **العريش:** شبه الخيمة. **يمسي طليحًا:** قد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير محسر، أي حسير ضعيف.

وَنَحنُ صَبَحنا عامِرًا، إِذ تَمَرَّسَت عُلالَةَ أَرماحٍ وَضَربًا مُذَكَّرا
بِكُلِّ رُقاقِ الشَفرَتَينِ، مُهَنَّدٍ، وَلَدنٍ مِنَ الخَطِّيّ، قَد طُرَّ، أَسمَرا
عَجِبتُ لَهُم، إِذ يَخنُقونَ نُفوسَهُم، وَمَقتَلُهُم، تَحتَ الوَغى، كانَ أَعذَرا
يَشُدُّ الحَليمُ مِنهُمُ عَقدَ حَبلِهِ؛ أَلا إِنَّما يَأتي الَّذي كانَ حُذَّرا[1]*

التقى عروة ومعه بن عبسٍ ببني عامر، فتواجه الطرفان، وأثخن عروة ومن معه القتل في بني عامر، حتى صار الواحد منهم يخنق نفسه خوفًا من أن تقتله بنو عبسٍ، وهذا لسيطرتهم على مجريات المعركة.

ويعبّر الصباح في الأبيات السابقة عن الصراع المستمر في حياة الصعلوك، وما يحمله من استراتيجية المفاجأة، إذ لم يتوقّع **بنو عامر** لقاء **بني عبسٍ**، فانقلب أمنهم وسكينتهم اضطرابا وخوفًا، وصارت حياتهم موتًا في رمشة عين.

وإذا ما انتقلنا إلى **قيس بن الحدّادية**، فإنّنا نجده يقول (من الطويل):

فِدىً لِبَني قَيسٍ وَأَفنائِ مالِكٍ لَدى الشِسعِ مِن رِجلي إِلى الفَرقِ صاعِدا
غَداةَ أَتى قَومُ الضَريسِ كَأَنَّهم قَطا الكُدرِ مِن وُدّانَ أَصبَحَ وارِدا
فَلَم أَرَ جَمعًا كانَ أَكرَمَ غالِبًا وَأَحمى غُلامًا يَومَ ذَلِكَ أَطرَدا
رَمَيناهُم بِالحُوِّ وَالكُمتِ وَالقَنا وَبيضٍ خِفافٍ يَختَلينَ السَواعِدا[2]**

يمدح **قيسُ بن الحدّادية** "**بني قيس ومالك**" لصمودهم أمام قوم الضريس، إذ قاتلوهم وانتصروا عليهم. ويعبّر الصباح في الأبيات السابقة عن شدّة بأس الصعلوك ومرافقيه في

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص74.

* **صبّحنا:** جئناهم صباحا. **تمرّست:** تعرّضت وعالجت ذلك. علالة كل شيء: ما جاء منه بعد طعن. **بكل رقاق:** رقيق الشفرتين. **شفرتاه:** حدّاه. **ولدن:** يريد اللين المهمزة من الرماح. طُر: سُنَّ، **والسّنّ:** التحديد. **مهند:** منسوب إلى بلاد الهند. **الأسمر:** الرمح الذي تؤخذ قناته وقد أدركت في غايتها ونضجت ويبست، فإذا قوّمت خرجت سمراء اللون. **الخطّي:** القنا كله يؤتى به من الخط، وهو مرفأ في البحرين. **الوغى:** الحرب.

[2] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص34.

** **الشسع:** أحد سيور النعل. **الفرق:** موضع المفرق من الرأس؛ أي وسطه. **الكدر:** موضع قرب المدينة، **والكدري:** ضرب من القطا. **وُدّان:** قرية بين مكة والمدينة. **الحو:** جمع أحوى وحواء، وهي حُمرة تضرب إلى السواد. **الكُمت:** جمع الكميت، والكمتة لو بين السواد والحمرة. **يختلين السواعد:** يقطعن ويذهبن بسواعد المضروبين بها.

مواجهة العدو (قوم الضريس)، وكيف حوّلوا اعتدادهم بأنفسهم إلى ذل وهزيمة، إذ لم يتوقّع الأعداء أن يجدوا ثباتًا ورباطة جأش كالتي لاقوها.

ويقول **ابن الحدّادية** في قصيدة أخرى (من البسيط):

خاضَـت بِنـا غَولَـهُ وَالعـيسُ وانِيَـةٌ وَقَـد تَخَبّـى بَهـا اليَعفـورُ فَاكتَنَسـا
كَأَنَّهـا بَعـدَما طـالَ النِجـاءُ بِهـا مُحـاذِرٌ ظَـلَّ يَحـدو ذُبَّـلاً عُجُسـا
أَو مُفـرَدٌ أَسـفَعُ الخَـدَّينِ ذو جُـدُدٍ جـادَت لَـهُ مِـن جُمـادى لَيلَـةٌ رَجَسـا
وَبـاتَ ضَـيفًا لِأَرطـاةٍ يَلـوذُ بِهـا فـي مُـرجَحِنٍّ مَرَتـهُ الـريحُ فَانبَجَسـا
حَتّـى إِذا لاحَ ضَـوءُ الصُـبحِ بـاكَرَهُ مُعـاوِدُ الصَـيدِ يُشـلي أَكلُبًـا غُبُسـا
فَانصاعَ وَانصَعنَ أَمثالَ القِداحِ مَعًا تَخـالُ أَكرُعَهـا بِالبيـدِ مُرتَعَسـا[1]*

يُعدّد **قيس بن الحدادية** صفات المكان الذي كان يتصيد فيه، وقد نال منه الإعياء فمكن يتربّص صيدًا، ثم مضى يصف الثور الوحشي لونًا وهيئةً، ولمّا طلع عليه ضوء الصباح أرسل كلابه لتأتيه بصيده.

ويعبّر الصباح في الأبيات السابقة عن الصراع لأجل البقاء في حياة **قيس بن الحدادية**، وصبره وترصّده فريستَهُ في الظلام؛ لينال منها، ويحقق جائزته التي صبر لأجلها.

في ختام هذا المبحث، نصل إلى أنّ الصباح في شعر الصعاليك يعبّر عن المعاناة في البيئة الصحراوية القاسية، وصبرهم وشدّتهم لمواصلة الحياة فيها بحرارتها وجفافها

---

[1] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص36.

* **الغَول:** المشقة وبُعد المسافة. **العيس:** الإبل يخالط بياضها شقرة. **الونى:** الضعف والفتور والإعياء. **اليعفور:** الظبي. **اكتنس:** دخل كناسه، وهو مستتره في الشجر. **النجاء:** السرعة في السير. **الحاذر:** الحمار الوحشي يتوقع شرا. **الذبل:** الأُتُن الضوامر. **العجس:** جمع عجساء، وهي الشديدة الوسط. **المفرد:** ثور الوحش. **الأسفع:** من السفعة، وهي السواد يضرب إلى حمرة. **الجدد:** جمع جدّة، وهي الخطة في ظهر الثور، تخالف لونه. **الأرطاة:** ضرب من الشجر. **المرجحن:** السحاب المستدير الثقيل. **انبجس:** انفجر وتصبّب بالمطر. **المعاود الصيد:** صياد دربٌ، معتاد الصيد. **يشلي الأكلب:** يدعوها ويغريها بالصيد. **الغبس:** جمع أغبس، وهو الذي لونه لون الرماد. **القداح:** السهام قبل أن تنصل وتراش. **المرتعس:** من ارتعس، اذا ارتعش ورجف.

ويبسها، عازمين على المضي قدما في سبيل تحقيق ذواتهم وأنفسهم أمام القبائل التي خلعتهم وهدرت دمائهم، بل وسعت إلى قتلهم في كثير من المرات.

كما يظهر الصباح ذاك الصراع القائم في حياة الصعاليك، ضد القبيلة التي مارست عليهم شتى أنواع الاضطهاد والظلم والتهميش، وكيف واجه الصعاليك هذا بالثورة ومحاولة إثبات الذات، بالسعي نحو الغنى، وبالشجاعة في المواجهة والانتقام منها بالغزو والإغارة تلبيةً لحاجاتهم، وحاجات الفقراء المستضعفين الذين لم تسعفهم الظروف للخروج معهم.

2-2- النهار

يُعدّ النهارُ الفترةَ الزمنية التي يمتد فيها الضوء وتكون الشمس مرئية في السماء، ويمكن أن يتم تصويره في الأدب بشكل رمزي للحياة والأمل، حيث يمثل الإضاءة والسطوع والحرارة الحياة والتجدد. وبعض المؤلفين والشعراء يستخدمونه مرادفًا للعمر والوقت، ويركزون على فكرة أن الحياة قصيرة ولا يجب إضاعة الوقت.

أما في النقد الثقافي يمكن اعتبار النهار على أنه رمز للوعي والإنجاز والإنارة والحيوية في المجتمع وهذا بسبب دوره الحاسم في تحديد نمط الحياة والنشاط في المجتمع. ومن الجوانب الأخرى يمكن استخدامه رمزًا للتاريخ والماضي، حيث يمكن التعبير من خلاله عن الحضارات الماضية وتطورها في ضوء النهار. علاوة على ذلك، يمكن تصويره كمجال للتفكير والإنتاج والإبداع، حيث يمكن استخدامه في تصوير العمل الإبداعي والجهد الذي يتطلبه من الفنان أو الكاتب.

وورد النهار في شعر الصعاليك، وبداية **بالسليك** الذي قال (من الوافر):

أَلا عَتَبَـــت عَلَـــيَّ فَصـــارَمَتني وَأَعجَبَهـــا ذَوو اللِّمَـــمِ الطِـــوالِ
فَـــإِنّي يـــا اِبنَـــةَ الأَقـــوامِ أُربـــي عَلـــى فِعـــلِ الوَضـــيِّ مِـــنَ الرِجـــالِ
فَـــلا تَصِـــلي بِصُـــعلوكٍ نَـــؤومٍ إِذا أَمســـى يُعَـــدُّ مِـــنَ العيَـــالِ
وَلَكِـــن كُـــلُّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَصـــلِ السَـــيفِ هامـــاتِ الرِجـــالِ
أَشـــابَ الـــرَأسَ أَنّـــي كُـــلَّ يَـــومٍ أَرى لـــي خَالَـــةً وَســـطَ الرِجـــالِ

يَشُــقُّ عَلَــيَّ أَن يَلقَــينَ ضَــيمًا وَيَعجِــزُ عَــن تَخَلُّصِــهِنَّ مــالي[1]*

فضّلت إحداهن رجُلًا هنيء العيش من قبيلتها على السليك الفقير، فحزّ هذا في نفسه، فأخذ يردّ عليها فعلتها بأنّه خيرٌ من المفضَّل، ثم ينهاها أن تصل كلّ فقيرٍ عالةٍ على الآخرين، ليطلب منها أن تصل كلّ صعلوكٍ نشيط شجاع يواجه الرجال ويقطع رؤوسهم بسيفه. ليختتم أبياته بحسرته وألمه من عبودية النساء السود ورقّهن، فيشق عليه أن يتعرّضن للضيم، وأن يُعجزه فقره عن تحريرهن وعتقهن.

ويعبّر النهار في الأبيات السابقة عن الصراع القائم بين الصعلوك والقبيلة، لذا فهو يحاول إثبات ذاته أمام أعراف القبيلة التي ترفض أن تُزوّج بناتها من الصعاليك، لكنّ هؤلاء الصعاليك شجعان تفوق رجولتهم رجولة أبناء القبيلة.

أما إذا ما انتقلنا إلى **الشنفرى** فإنّنا نجده يقول (من الطويل):

أَلا أَمُّ عَمــرو أَجمَعَــت فَاِســتَقَلَّتِ وَمــا وَدَّعَــت جيرانَهــا إِذ تَوَلَّــتِ
وَقَــد سَــبَقَتنا أُمُّ عَمــرو بِأَمرِهــا وَكَانَــت بِأَعنــاقِ المَطِــيَّ أَظَلَّــتِ
بِعَينَــيَّ مـا أَمسَت فَباتَت فَأَصبحَتَ فَقَضَّــت أُمــورًا فَاِســتَقَلَّت فَوَلَّــتِ
فَــوَا كَبِــدا عَلــى أُمَيمَــةَ بَعــدَما طَمِعتُ، فَهَبها نِعمَةَ العَيشِ زَلَّتِ
فَيــا جــارَتي وَأَنــتِ غَيــرُ مُليمَــةٍ إِذ ذُكِــــرتُ وَلا بِــــذاتِ تَقَلَّــــتِ
لَقَــد أَعجَبَتنــي لا سَــقوطًا قِناعُهــا إِذا مــا مَشَــت وَلا بِــذاتِ تَلَفُّــتِ[2]**

---

[1] ديوان الشنفرى، ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م، ص97.

* **صارمتني:** قاطعتني. **اللمم:** جمع اللمة، وهي الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن، واللمم الطوال كناية عن الإنسان الذي يعيش حياة التنعم بعيدًا عن الفقر والشقاوة والهم. **أربي:** أزيد. **الوضي:** الوضيء، أي النظيف الحسن. **فلا تصلي:** فلا تبادلي الحب وتصلي أمرك. **نؤوم:** الكثير النوم. **العيال:** جمع العَيِّل، وهو من يُنفق عليه ويُعال. **الضروب:** الكثير الضرب. **هامات الرجال:** رؤوسهم. **الخالة:** هنا؛ كلّ أمَةٍ سوداء، لأنّ أمّه سوداء. **الضّيم:** الظلم والإذلال.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص31-32.

** **أجمعت:** عزمت على. **استقلت:** سارت. **تولّت:** غادرت وابتعدت. **سبقتنا بأمرها:** استبدّت برأيها. **أميمة:** اسم حبيبة الشاعر. **هبها:** احسبها. **زلّت:** ذهبت. **تقلّت:** تفعّلت من القلى، وهو البغض. **القناع:** ما تغطي به المرأة رأسها.

تنتمي الأبيات إلى تائية **الشنفرى** الشهيرة، وفيها يصف القائمة على شؤون الصعاليك، والملقبة بـ"أم العيال"، والمقصود بهذا اللقب صديقه "**تأبط شرا**"، لأنه كان يقوم على أمورهم ومخازنهم، وكما نرى، فالأبيات تعجّ بالحركة والنشاط واليقظة، فهو شديد الحساسية من كلّ حركة جانبية محيطة به وبالصعاليك معه.

ويعبّر النهار في الأبيات السابقة عن الصراع الدائم في حياة الصعلوك، ولذا فهو يتسلح باليقظة والحذر، وهذا نابعٌ من اتّقائهم هجومات الأعداء عليهم، فهم مطلوبون من قبائلَ كُثُر رغبةً في النيل منهم لجرائرهم التي ارتكبوها في حقها.

نخلص مما سبق إلى أنّ النهار في شعر الصعاليك يعبّر عن الصراع الدائم لدى الصعاليك، وعن الشجاعة والفخر والاعتداد بالنفس التي يمتلكها الصعاليك في مواجهة القبيلة التي ترفض أن تزوج بناتها للصعاليك، وتفضّل عليهم أبناء القبيلة المترفين.

بالإضافة إلى أنّه يعبّر عن ميزة من مزايا الصعاليك، وهي اليقظة والحذر في مواجهاتهم وإغاراتهم، فهم في حالة خطر دائم، سواء أثناء سعيهم للأخذ بالثأر أو الإغارة، أم في سعي القبائل للنيل منهم لما ارتكبوه في حقها من جرائر من سلب وسبي وقتل.

ويظهر النهار الأخلاق التي يتمتع بها الصعاليك، وهو ردّ واضح على ادعاءات القبيلة التي ترمي الانتقاص منهم، وتسويد صورتهم أمام الناس، وهذا حتى تغطي القبيلة فشلها في تسيير أمور القبيلة، ومنظومتها الظالمة للمنتمين إليها.

وأخيرا، يحملّ النهار معاني الأمل الذي يصاحب الصعاليك في حياتهم نحو غد أفضل، ملؤه الحرية والغنى والاحترام، بعيدًا عن القبيلة التي تودّ الانتقاص من شخصه وفعله، ولا تعترف إلا بالغنى وعراقة النسب.

2-3-اليوم

يُعرَفُ اليومُ بأنّه «**أوّله من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس**»[1]، أي إنّه الفترة الزمنية التي يمر بها الإنسان من بداية الانتباه إلى العالم المحيط به حتى لحظة نومه في الليل. وقد يُستعمل بمعنى مطلق الزمان كما في قولنا: اليوم أفعل كذا، فلا نريد

[1] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط2، (د.ت)، ج2، ص ص682.

اليوم بعينه، بل نريد الوقت الحاضر، وقد يطلق اليوم ويُراد به الوقتُ والحينُ نهارًا أو ليلًا[1].

وفي الأدب، يمكن أن يتم تصوير اليوم على أنه فرصة لتحقيق التغيير وتحويل الحياة إلى الأفضل، وهو ما يظهر في بعض الأعمال الأدبية التي تستخدمه كموضوع مركزي أو ذات أهمية كبيرة في تطور الحبكة الروائية.

كما يقوم الأدب بعرض اليوم على أنه فرصة ثمينة للنضج والنمو الشخصي، ويعكس الأدب الأسلوب الحياتي للفرد ومحاولة فهم كيف يتفاعل مع النظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه. وبصفة عامة، يتيح للأدباء التعبير عن وجهات نظرهم حول اليوم، ويمكن من خلال ذلك التعبير عن شخصية الفرد ونموه الشخصي في المجتمع.

أما في النقد الثقافي، فيمكن تصوير اليوم بأنه يمثل الوضع الحالي للمجتمع والحياة اليومية للأفراد، ويتم استخدامه كمرادف للحاضر والوقت الحالي. من جانب آخر، يعتبر اليوم في النقد الثقافي أيضًا رمزًا للتغيير والعملية التطورية، حيث يمكن استخدامه في تصوير المشكلات والتحديات الموجودة في المجتمع والجهود المبذولة لتحقيق التغيير والتطور. وبشكل عام، يمثل اليوم في النقد الثقافي رمزاً مهماً للوقت الحالي والثقافة والتطورات التي تجري يومياً في المجتمع، ويمكن استخدامه في تصوير العديد من الجوانب المختلفة للحياة اليومية.

ووردت تيمة اليوم كثيرا في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **السليك بن السلكة** (من الطويل):

لَعَمــرُ أَبيــكَ وَالأَنبــاءُ تُنمــي لَــنِعمَ الجــارُ أُختُ بَنــي عُــوارا
مِــن الخفَــراتِ لَــم تَفضَــح أَباهــا وَلَــم تَرفَــع لِإِخوَتِهــا شَــنارا
كَــأَنَّ مَجــامِعَ الأَردافِ مِنهــا نَقــىً دَرَجَــت عَلَيــهِ الــريحُ هــارا
يَعــافُ وِصــالَ ذاتِ البَــذلِ قَلبــي وَيَتَّبِــعُ المُمَنَّعَــةَ النــوارا
وَمــا عَجِــزَت فَكيهَــةُ يَــومَ قامَــت بِنَصــلِ السَــيفِ وَاِســتَلَبوا الخِمــارا

[1] ينظر، عبد القادر حكيمي، اليوم في القرآن والسنة النبوية، مجلة دراسات إسلامية (الجزائر)، مج16، ع2، 2021م، ص51.

غـــذَاها قـــارصٌ يغـــدو عليهـــا ومحـــضٌ حـــين تنتظـــرُ العِشـــارا[1]*

يمدح **السليك** في هذه الأبيات "**فكيهة بنت قتادة**"، التي أجارته حين دخل خيمتها بعد أن فطن له قومها إثر غزوه لهم؛ فأجارته وإخوتَها الذين منعوا القوم من دخول خيمتها.

ويظهر اليوم من خلال ربط ما تعرّض له **السليك** بفكيهة، فهو يومها الذي لن ينساه ما بقيَ حيًّا، كيف لا؟ وصنيعها لا يقوى عليه أعتى الرجال، إذ عرّضت نفسها للخطر وساندته في صراعه مع قبيلتها التي أرادت النيل منه، وذادت عليه بروحها وأرواح إخوانها حتى نجا من الموت الذي كانت تحمله له القبيلة بكاملها.

وقال **السليك** (من الوافر):

أَلا عَتَبَـــت عَلَـــيَّ فَصـــارَمَتني وَأَعجَبَهـــا ذَوو اللِّمَـــمِ الطِـــوالِ
فَـــإِنّي يـــا اِبنَـــةَ الأَقـــوامِ أُربـــي عَلـــى فِعـــلِ الوَضـــيِّ مِـــنَ الرِجـــالِ
فَـــلا تَصِـــلي بِصُـــعلوكٍ نَـــؤومٍ إِذا أَمســـى يُعَـــدُّ مِـــنَ العيَـــالِ
وَلَكِـــن كُـــلُّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَصـــلِ السَـــيفِ هامـــاتِ الرِجـــالِ
أَشـــابَ الـــرَأسَ أَنّـــي كُـــلَّ يَـــومٍ أَرى لـــي خَالَـــةً وَســـطَ الرِجـــالِ
يَشُـــقُّ عَلَـــيَّ أَن يَلقَـــينَ ضَـــيمًا وَيَعجِـــزُ عَـــن تَخَلُّصِـــهِنَّ مـــالي[2]**

وردت الأبيات في موضع ردّ **السّليك** على إحدى الفتيات التي فضّلت الزواج من رجل ميسور الحال على **السليك** الفقير، إذ حزّ فعلها هذا في نفسه، فأخذ يذكر شجاعته

---

[1] السليك بن السلكة، أخباره وشعره، ص ص55-56.

* **بني عوار:** من رجال بني عُكابة. **الخفرات:** جمعُ خفيرة، وهي المرأة الشديدة الحياء. **الشنار:** العيب والعار. **النوار:** المرأة النفور من الريبة. **القارص:** اللبن الحامض الذي يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب حموضته. **المحض:** اللبن الخالص. **العشار:** جمع عُشراء، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل تسمى عشارا بعدما تضع ما في بطنها للزوم الاسم بعد الوضع.

[2] ديوان الشنفرى، ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، ص97.

** **صارمتني:** قاطعتني. **اللمم:** جمع اللمة، وهي الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن، واللمم الطوال كناية عن الإنسان الذي يعيش حياة التنعم بعيدًا عن الفقر والشقاوة والهم. **أربي:** أزيد. **الوضي:** الوضيء، أي النظيف الحسن. **فلا تصِلي:** فلا تبادلي الحب وتصلي أمرك. **نؤوم:** الكثير النوم. **العيال:** جمع العَيِّل، وهو من يُنفق عليه ويُعال. **الضروب:** الكثير الضرب. **هامات الرجال:** رؤوسهم. **الخالة:** هنا؛ كلّ أمَةٍ سوداء، لأنّ أمّه سوداء. **الضّيم:** الظلم والإذلال.

في مواجهة الرجال، وكيف أنه ينال منهم ويقطع رؤوسهم، لينهي الأبيات بذكر ألمه وحزنه من عدم قدرته على تحرير الإماء بسبب الفقر.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة عن الصراع النفسي، وحال الأسى والحزن الدائم الذي يعيشه **السليك** "كلّ يوم"، فأيامه متشابهة تؤلمه لشدّة فقره وعجزه عن تحرير الإماء من رق العبودية التي يعانينها.

وقال **الشنفرى** في لاميته (من الطويل):

وَيَـومٍ مِـنَ الشِّـعرى يَـذوبُ لُعابُـهُ أَفاعيـــهِ فـــي رَمضـــائِهِ تَتَمَلمَـــلُ
نَصَـبتُ لَـهُ وَجهـي وَلا كِـنَّ دونَـهُ وَلا سِـــترَ إِلا الأَتْحَمِـــيُّ المُرَعبَـــلُ
وَضافٍ إِذا طارتْ لَـهُ الريحُ طَيَّرَت لَبائِـــدَ عَـــن أَعطافِـــهِ مـــا تُرَجَّـــلُ
بَعيـدٌ بِمَـسَّ الـدُهنِ وَالفَلـيِ عَهـدُهُ لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسلِ مُحولُ[1]*

ينقل **الشنفرى** بعض ما يعانيه، فيُعلمنا بأنّ اليومَ حارٌّ جدًّا؛ ما جعل الأفاعي تتحرك مضطربةً، كما أنه لا يستره عن حرارة الشمس غير عباءة ممزقةٍ لا تكاد تقيه شيئًا من حرارتها. بالإضافة إلى شعره الطويل المتّسخ الطي لم ينظّف ويُدهن منذ زمنٍ بعيد.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة عن صراع الصعلوك مع الظروف المحيطة به، وعمّا يعانيه في الصحراء العربية القاحلة، وبخاصة إبّان الصّيف؛ فالرّجل لا يجدُ ما يقيه حرارة الشّمس ولا الماء الكافي الذي يروي عطشه، فما بالك أن ينظّف جسده ممّا ليتصق به من أدران.

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص71-72.

* **الشعرى:** كوكب يطلع في فترة الحرّ الشديد، **ويوم من الشعرى:** يوم من الحرّ الشديد. **اللعاب** (وفي بعض الروايات: **اللواب):** ما ينتشر في الحرّ كخيوط العنكبوت في الفضاء، وإنما يكون ذلك حين يكون الحرّ مصحوبًا بالرطوبة. **الرّمضاء:** شدّة الحرّ. **تتململ:** تتحرك وتضطرب. **نصبت له وجهي:** أقمته بمواجهته. **الكنُّ:** السّترُ. **الأتحمّي:** نوع من الثياب كالعباءة. **المرعبل:** الممزق. **الضافي:** السابغ المسترسل، يعني شعره. **اللبائد:** جمع اللبيدة، وهي الشّعرُ المتراكب بين كتفيه، المتلبّد لا يُغسَلُ ولا يُمشَط. **الأعطاف:** جمع العَطف، وهو الجانب. **ترجّل:** تسرّح وتمشّط. **بعيد بمس الدهن:** أي لم يدهن منذ ومن بعيد. **الفلي:** إخراج الحشرات من الشّعر. **العَبَسُ:** ما يتعلق بأذناب الإبل والضأن من الرّوث والبول فيجفّ عليها، ويصبح وسخًا. **عافٍ:** كثير. **مُحولُ:** أتى عليه حولٌ (سنة). والأصل: محول من الغسل، والبيت بكامله وصف لشعره.

وقال **الشنفرى** من (الطويل):

ولا عَيبَ فـي اليَحمـومِ غَيـرُ هُزالِـهِ عَلَـى أَنَّـهُ يَـومَ الهِيـاجِ سَـمينُ
وكَم مِن عظيمِ الخَلقِ عبلٍ مُوثَّقِ حـواهُ وفيـهِ بَعـدَ ذاك جُنـونُ[1]*

يصف **الشنفرى** جواده "**اليحموم**"، فيذكر أنه هزيل الجسم، غير أنه يكون قويًا صبورًا حين الحرب، وكيف أنّ هزال حصانه لم يمنعه من السيطرة على غيره من الجياد الضخمة، وصبغه **الشنفرى** بصفاته، فجعله معادلًا موضوعيًا له، فالذي نفهمه من كلام الشنفرى أنّه هو الهزيلُ، الذي ينالُ من خصومه أثناء الحرب، فيواجههم بكلّ شجاعة، ولا يخاف ضخامة أجسادهم، بل على العكس من ذلك؛ يساهم هزاله في ترجيح كفة المواجهة لصالحه، فهزاله يجعله خفيفًا سريعًا مقارنةً بخصمه الضخم، الذي تكون حركته ثقيلة وسرعته بطيئة.

ويعبّر اليوم في البيتين السابقين عن الصراع في حياة الصعلوك، والخطر الذي يتعرّض له، فهو لا يأمن على نفسه النجاة، ولكنّ ما يخفّف عنه ثقل هذا اليوم فرسُهُ الذي يسانده ويرجّح الكفّة لصالحه، وهذا يُظهر استغلال الصعلوك لكل الوسائل المتاحة بين يديه، قصد الوصول إلى غايته وتحقيق مأربه، سواء كان عُدّة سلاحٍ أو خيله التي يمتطيها فتوفّر عنه جهد التنقّل، ويتخذّها مرتقى في مواجهة العدو، كما أنّها تعينه على الفرار إذا ما أحاط به الخطر، ولم يستطع التغلّب على الخصوم.

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

فَـإِن لا تَزُرنـي حَتَفتـي أَو تُلاقِنـي أَمَشّـي بِـدَهوٍ أَو عِـدافٍ فَنَـوُّرا
أُمَشّـي بِـأَطرافِ الحَمـاطِ وَتـارَةً يُـنَفِّضُ رِجلـي بُسـبُطًا فَعَصَنصَـرا
أُبَغّـي بَنـي صَعبِ بـنِ مُرٍّ بِلادَهُم وَسَـوفَ أُلاقـيهِم إِن اللَـهُ أَخَّـرا

---

[1] الشنفرى، الديوان، تح: إميل بديع يعقوب، ص78.

* **اليحوم:** فرس الشنفرى. **الهياج:** الحرب. **العبل:** الضخم.

وَيَوماً بِذاتِ الرَسَّ أَو بَطنِ مِنجَلٍ هُنالِكَ نَبغي القاصِيَ المُتَغَوَّرا[1]*

يُعدّد **الشنفرى** أسماء الأماكن التي ينتقل بينها، مع وعيده لـ"**بني صعب بن مر**" بلقائهم إن لم يمت، ويبدو من الأبيات أنها موجهة جميعها لـ"**بني سلامان بن مفرج**"، ونحن نعلم أنّ بينه وبينهم ثأرًا يسعى للأخذ به، **والشنفرى** يرى مطلبه بعيدًا نوعًا ما، لبُعد الشّقّة بينه وبين **بني سلامان**، ومع هذا، فهو ينتقل في الأرض الواسعة، بتضاريسها المختلفة؛ من جبال وغور لينال ثأره، ولا تثنيه عن ذلك صعوبة.

ويعبّر اليوم في هذه الأبيات عن صراع الصعلوك، وإصراره على تحقيق غايته (الثأر)، رغم الصعوبات الموجودة، وهي حالة نفسية شديدة يعيشها **الشنفرى** الذي قُتل أبوه، وهو صغير، وقُتل "**أبو الجود**" أبو حبيبته "**قعسوس**"، وهو شاب، فما قام به **بنو سلامان** أمر عظيم قلب حياة **الشنفرى**؛ فجعل أيامه كلها وقفًا للأخذ بالثأر من هؤلاء القوم الظالمين.

وقال **الشنفرى** (من الوافر):

إذا أَصبَحتُ بَينَ جِبالِ قَوٍّ وَبيضانِ القُرى لَم تَحذَريني
فَإِمّا أَن تَوَدّينا فَنَرعى أَمانَتَكُم وَإِمّا أَن تَخوني
سَأُخلِي لِلظَّعينَةِ ما أَرادَت وَلَستُ بِحارِسٍ لَكِ كُلَّ حينِ
إِذا ما جِئتِ ما أَنهاكِ عَنهُ وَلَم أُنكِر عَلَيكِ فَطَلِّقيني
فَأَنتِ البَعلُ يَومَئِذٍ فَقومي بِسَوطِكِ لا أَبا لَكِ فَاِضرِبيني[2]**

يخاطب **الشنفرى** في المقطع أعلاه فتاةً، وهو كما نرى يُخيّرها بين أمور شتّى، وفي كل ذلك فهو يترك لها حرية الاختيار، فإمّا يلاقي منها الودّ فيرعاها ويقوم بأمرها، وإمّا

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص46-47.

* **حتفتي:** موتي. **دهر وعداف ونوّار:** أماكن في ديار بني سلامان. **الحماط:** ضرب من النبت. سبط **وعصنصر:** جبلان في ديار بني سلامان بن مفرج. **يُنفّضُ:** يُقال: نفّض فلان البلاد، إذا جوّل فيها. **الرّس:** بئر لبني سلامان. **مِنجل:** جبل لهم أيضا. **نبغي:** نقصد. **القاصي:** البعيد. **المتغوّر:** الذي يأتي الغور، وهو ما انخفض من الأرض.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص79.

** **القو:** منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة يرحل من النباح فينزل قوًّا، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج. **بيضان:** جبل لبني سليم بالحجاز. **الظعينة:** المرأة في الهودج، وامرأة الرجل. **البعل:** الزوج.

تخون هي الأمانة التي تربطها به، ثم يُعلمها بأنّه لن يكون حاضرًا يحرسها على الدوام، فهو، كما نعلم، صعلوك كثير الترحال لا يقيم بمكان.

ثم يطرح لها مبدأً مهما من مبادئ الفحولة، وهو أنّ المرأة لو لم تنته عند نواهي زوجها، أو لم تنفّذ أوامره، ولم ينكر عليها ذلك؛ فهو آنذاك ليس برجل فحل يستحق أن يكون بعلًا لها، بل الأكثر من هذا؛ عليها أن تُطلّقه، وبالتالي تنتقل العصمة منه إليها، ليؤكّد فكرته بقوله: "**أنتِ البَعلُ يَومَئذٍ**"، ويطلب منها أن تحملَ السوط وتضربه لقلّة رجولته وقوامته.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة على صراع الصعلوك مع ثقافة القبيلة ، ليحمل لنا أنفة الشاعر وفحولته، فأخلاقه العالية تجعله يخاطب المرأة مخاطبة العقل للعقل، الإنسان للإنسان، لا الإنسان للحيوان كما كان سائدًا في بعض القبائل العربية التي تنقص من قيمة المرأة وتجعلها في مكانة أدنى من مكانة الرجل، لتبرز بعدها الصورة العكسية، وهي مكانة الزوج في البيت، فالرجل يُحترم في أوامره ونواهيه، حاضرًا كان أو غائبًا، فتحسبُ له المرأة ألف حسابٍ، وإذا هي شذّت عن الطوق، أو نشزت، أدّبها وأعلمها بخطئها حتى لا تقع فيه مجددًا، وإذا لم تجد المرأة هذا الحزم من زوجها، فالأفضل لها أن تطلّق، حتى لا تُعيّر برجل ناقص الفحولة، فتبقى سُبّة لها ولأبنائها أبد الدّهر.

وقال **تأبط شرا*** (من الطويل):

أَلَم تَشِلِ اليَومَ الحُمولُ البَواكِرُ؟! بَلى، فَاِعتَرِف صَبرًا، فَهَل أَنتَ صابِرُ؟!

وَشاقَتكَ هِندٌ، يَومَ فارَقَ أَهلُها بِها، أَسَفًا، إِنَّ الخُطوبَ تُغادِرُ

فَإِن تَصرِميني، أَو تُسيئي لِعِشرَتي فَإِنّي لَصَرّامُ القَرينِ، مُعاشِرُ[1]

*تفرّد علي ذو الفقار شاكر بإيراد الأبيات الثلاثة، بينما اكتفى عبد الرحمن المصطاوي، وطلال حرب في تحقيقهما للديوان بالبيت الثالث مع تغيير فيه على النحو الآتي:

فَإِن تَصرِميني، أَو تُسيئي (جَنابَتي) فَإِنّي لَصَرّامُ (المُهينِ) (جُذامِرُ)

ينظر: ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص32. وينظر: ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م، ص35.

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص97.

يبدأ **تأبّط شرًا** أبياته بسؤال حول ضعف النوق الحاملات الهوادج، ليجيب بعدها بنفسه ليؤكّد ضعفها، ثمّ يلتمس من مخاطبه الاعتراف بالصبر، ويواصل الحديث عن "**هند**" محبوبة صاحبه الذي هيّجه فراقها ورحيلها مع أهلها، ما يجعله يشعر بالأسف على ذلك، وهذه حال كغيرها من أحوال الدنيا والناس، لطالما تفارق الناس لأسباب مختلفة.

ليذكر بعدها بأنّه رجلٌ يواجه الفراق بالفراق، والوصل بالوصل، وبأنّه لا يهمّه ما يُحدثُه الدّهر من خطوب، ما يذكّرنا بقوله (من الطويل):

وَلا أتَمَنَّـــى الشَّـــرَّ والشَّـــرُّ تَـــارِكِي ولكن متـى أُحمـل علـى الشَّرِّ أركـبِ
ولســتُ بمفـراح إذا الـدَّهرُ سـرَّني وَلاَ جَـازِعٍ مِـنْ صَـرْفِهِ المُتَقَلِّـبِ[1]

ويُعبّر اليوم في الأبيات السابقة على الصراع النفسي لدى الصعلوك لفراق الأحبة، ما يجعل اليوم مميزًا عنده، يملأه الحزن والأسف على هذا الفراق، ومع هذا، فهو يكابر ولا يودّ أن يُظهر حُزنه للناس؛ لأنّ في إظهار الحزن ضعفًا منه، ما يجعله يذكر بعض صفاته، كالمعاملة بالمثل؛ فمن وصله وصله، ومن قطعه قطعه. وقال (من الطويل):

أَبَعدَ قَتيلِ العَوصِ آسى عَلى فَتًى، وَصـاحِبِهِ، أَو يَأمَـلُ الـزادَ طـارِقُ؟
أَأَطـرُدُ نَهبًـا آخِـرَ اللَيـلِ أَبتَغـي عُلالَـةَ يَـومٍ أَن تَعـوقَ العَوائِـقُ؟
لَعَمـرُو فَتًـى نِلـتُم، كَـأَنَّ رِداءَهُ عَلى سَرحَةٍ مِن سَرحِ دَومَةَ، شانِقُ
لأَطـرُدُ نَهبًـا، أَو نَـزورُ بِفِتيَـةٍ بِأَيمـانِهِم سُـمرُ القَنـا وَالعَقـائِقُ
مَسـاعِرَةٌ، شُـعثٌ، كَـأَنَّ عُيـونَهُم حَريقُ الغَضا تُلفى عَلَيها الشَقائِقُ
فَعُـدّوا شُـهورَ الحِـرمِ، ثُـمَّ تَعَرَّفـوا قَتيـلَ أُنـاسٍ أَو فَتـاةً تُعـانِقُ[2]*

---

[1] ديوان تأبط شرا، تح: عبد الرحمن المصطاوي، ص20.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص121، 124.

***قتيل العوص:** هو عمرو بن كلاب. **آسى:** أحزن. **يأمل الزاد طارق:** كناية عن حزنه واكتئابه لمقتلهما. **النهب:** الغنيمة. الطّرد: الإبعاد، وطرد الإبل ضمُّها وسوقها. **العلالة:** ما يتعلّل به الإنسان من طعام أو شراب. **العوائق:** الشواغل التي تعوق الإنسان عمّا يريد وتمنعه أن يصل إلى مبتغاه. **شانق:** مُصعد برأسه إلى أعلى، وهي صفة للطول. **سمر القنا:** الرماح. **العقائق:** السيوف، وكذلك الفتائق. **مساعرة:** جمع مسعر، وهو الرجل الذي تُحمى به الحرب وتشتعل، وهو كذلك الطويل الشديد. **شعث:** جمع أشعث، وهو المنفوش الشعر المُغبر السّحنة. **الغضا:** شجر تنبته الصحراء جيّد الحريق. **الشقائق:** زهور شديدة الحمرة، وهي المعروفة بشقائق النعمان.

أغار **تأبط شرا** على قبيلة العوص، لكنّ رجالها تمكّنوا من قتل صاحبه "**عمرو بن كلاب**"، فآلمه الأمر كثيرًا، وأقسمَ أن يسوق منهم إبلًا فيغنم، أو أن يُغير عليهم مع جامعة من أصحابه الصعاليك المدججين بالسلاح، مُؤكِّدًا أنّهم أصحابُ حربٍ معتادون على القتال والعيش الصعب، كما توعّدهم بأنّه سيُثخن القتل فيهم، ثمي طلب منهم أن يعدّوا أيام الشهور الحُرم، لأنها ما إن تنتهي حتى يجدوا أنفسهم يعدّون قتلاهم من الرجال، ونساؤهم قد سُبين.

ويعبّر اليوم في هذه الأبيات على الألم الشديد الذي خلّفه قتلُ **العوصِ** صاحبَ **تأبط شرًا**، ما انجرّ عنه إحساسه بالغضب، وتوعّده للأخذ بالثأر من هذه القبيلة التي منعت حقّ الفقير، ثم قتلته لأنه أراد أخذ جزء من حقّه بالقوة.

وقال **تأبط شرًا** (من البسيط):

عـاذِلَتي.. إنَّ بَعضَ اللَومِ مَعنَفَـةٌ، وَهَـل مَتـاعٌ وَإِن أَبقَيتُـهُ بـاقِ؟ !
إِنّـي زَعيمٌ، لَـئِن لَـم تَترُكـي عِـذَلي، أَن يَسـأَلَ الحَـيَّ عَنّـي أَهـلَ آفـاقِ
أَن يَسـأَلَ القَـومُ عَنّـي أَهـلَ مَعرِفَـةٍ فَـلا يُخَبِّـرُهُم عَـن "ثابِـتٍ" لاقِ
سَـدِّد خِلالَـكَ مِـن مـالٍ تُجَمِّعُـهُ حَتّـى تُلاقـي الَّـذي كُـلُّ اِمـرِئٍ لاق
لَتَقـرَعَنَّ عَلَـيَّ السِـنَّ مِـن نَـدَمٍ إِذا تَـذَكَّرتَ يَومـاً بَعـضَ أَخلاقِـي[1]*

يخاطب **تأبط شرا** عاذلَته التي تكثر من لومه لإنفاقه ماله، فيُعلمها أنّ "بعض اللوم معنفة"، وأنّه وإن أبقى ماله ومتاعه فإنّه لن يدوم، بل سيزول ولا يبقى له أثر.

لينتقل بعدها إلى الافتخار بنفسه، ثم تهديد العاذلة بالرحيل، إنْ لم تتوقف عن لومه، فيرحلُ عنها ليجوب الآفاق في الأرض الواسعة حتى لا تقف له على خبر، ليقدّم نصيحة لمتلقي شعره بأن يسعى وراء جمع المال حتى ينتهي أجله، ليختم أبياته بعدها بتأكيده على أنّ عاذلته ستندم إذا فارقها، وبخاصة إذا تذكّرت بعض أخلاقه في غيابه.

---

[1] ديوان تأبّط شرًا وأخباره، ص ص140، 144.

* **الزعيم:** الضامن والكافل. **أهل آفاق:** كناية عن سفره الطويل. **الخِلال:** جمع خلة، وهي الفقر والعوز. **لتقرعنّ عليّ السّن:** أي لتصكّنّها ندمًا وحسرةً.

ويعبّر اليوم في المقطع السابق عمّا يحمله **تأبط شرا** من عزّة نفس وإباء تقف في وجه من يريد لومه وتوجيهه نحو مآربه الخاصة، فالصعلوك يرفض أن يكون تبعًا لآراء الآخرين، بل أن يكون حُرًا في نفسه وماله يصنع به ما يشاء، ومن ألحّ عليه فلا يكون من **تأبط** إلا أن يثبت في رأيه ويرحل عنه ليتركه نادمًا متذكِّرًا بعض أخلاقه العالية.

وقال **عروة بن الورد** (من الوافر):

أَطَعتُ الآمِرينَ بِصَرمِ سَلمى، فَطاروا في عِضاهِ اليَستَعورِ
سَقَوني النَسءَ، ثُمَّ تَكَنَّفوني عُداةُ اللَهِ مِن كَذِبٍ وَزورِ
وَقالوا: لَستَ بَعدَ فِداءِ سَلمى، بِمُغنٍ، ما لَديكَ، وَلا فَقيرِ
أَلا وَأَبيكَ، لَو كَاليَومَ أَمري، وَمَن لَكَ بِالتَدَبُّرِ في الأُمورِ
إِذاً لَمَلَكتُ عِصمَةَ أُمِّ وَهبٍ، عَلى ما كانَ مِن حَسَكِ الصُدورِ
فَيا لِلناسِ ! كَيفَ غَلَبتُ نَفسي عَلى شَيءٍ، وَيَكرَهُهُ ضَميري
أَلا يا لَيتَني عاصَيتُ طَلقًا، وَجَبّارًا، وَمَن لي مِن أَميرِ[1]*

يسرد **عروة** في الأبيات السابقة قصة "**سلمى**" زوجه، والمكناة **بأم وهب**، إذ إنه سباها من قومها "**بني كنانة**"، وكانت حينها بِكرًا، فأعتقها واتّخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وأنجبت لها أولادًا.

وفي يوم طلبت منه أن يحجّ بها فتمرّ على أهلها وتلقاهم، فوافق على طلبها، فحجّ بها ثم أتى يثرب، وكانت له مخالطة فيها مع **بني النضير**، فيقرضونه إن احتاج، ويبيعهم إذا غنم. وان قوم **سلمى** يخالطون **بني النضير** أيضا، فأتوهم **وعروة** عندهم، فقالت لهم **سلمى:** "إنّه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب، صحيحة سبية، وافتدوني منه، فإنّه لا يرى أن أفارقه، ولا أختار عليه أحدًا". فأتوه وسقوه الشراب، فلمّا ثمل، طلبوا منه إعادة **سلمى** إلى أهلها، ثم

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص ص63-64.

*__اليستعور__: موضع فيه عضاة من سمر وطلح. **النسء**: المُسكِر. **عصمة**: امتلاك الأمر. **الحسك**: الغلّ والعداوة. **الأمير**: أي المستشار. **طلق وجبار**: أخوه وابن عمه.

يخطبها منهم فيزوجونهما، فأجابهم بالموافقة، على شرط أن يجعلوا أمرها بيدها وتختار، فإن اختارت عروة عاد بها إلى أبنائها، وإن اختارت قومها رحلت معهم، فوافقوه.

ولمّا كان الغدُ، أتوه فامتنع عن فدائها، فقالوا له: "قد فاديتنا بها منذ البارحة"، وشهدت بذلك جماعة ممن حضر، فلم يستطع الامتناع، ففاداها، فلمّا فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها، ثم قالت **لعروة** أنّها لم تعلم امرأة من العرب وجدت زوجًا أعفّ وأجود منه فلن تجد خيرًا منه، لكنها عانت من قومه، لأنها لم تكن تشاء أن تسمع: "قالت أمة عروة كذا وكذا"، ثم فارقته مطالبة إياه أن يُحسن إلى أبنائه، ما جعله يندم على فعلته ويحزن.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة عن صراع **عروة**، وكيف تغيّرت حاله من الوصل إلى القطيعة والهجر، فالرجل اعتاد لسنوات طوال أن تكون زوجه في داره، تقوم على أموره وأمور أبنائه، ثم بين عشية وضحاها، وبقرار في لحظة سُكر، تغدو الدار خِلوًا من سلمى التي تركت عروة وأبناءهما لتلتحق بأهلها، ما حزّ في نفسه وآلمه.

كما يُعبّر عن غدر الزمن، والحيلة التي لجأت إليها **سلمى** وقومَها، إذ مكروا له وانتظروا غياب عقله لينالوا غايتهم، مع استعمال الشهود ليضعوا عروة أمام الأمر الواقع، وإلا ما كانوا ليحققهم غايتهم لولا الخمر التي أذهبت عقله.

وقال **ابن الورد** أيضا (من الطويل):

لَعَلَّ اِنطِلاقي في البِلادِ وَبُغيَتي، وَشَدّي حَيازيمَ المَطِيَّةِ بِالرَحلِ
سَيَدفَعُني، يَومًا إِلى رَبِّ هَجمَةٍ، يُدافِعُ عَنها بِالعُقوقِ وَبِالبُخلِ
قَليلٌ تَواليها، وَطالِبُ وِترِها، إِذا صُحتُ فيها بِالفَوارِسِ وَالرَجلِ
إِذا ما هَبَطنا مَنهَلاً في مَخوفَةٍ، بَعَثنا رَبيئًا، في المَرابِئ، كَالجِذلِ
يُقَلِّبُ، في الأَرضِ الفَضاءِ، بِطَرفِهِ، وَهُنّ مُناخاتٌ، وَمرجَلُنا يَغلي[1]*

---

[1] ديوان عروة بن الورد، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه: سعدي ضِنّاوي، ص ص203، 205.

* **الحيازيم:** جمع الحيزوم، وهو الصدر. **الهجمة:** القطعة الضخمة من الإبل، وهي بين 30 و100، أو بين 70 إلى دُوين 100، أو ما بين 60 و100. **العقوق:** التنكّر لصلة الرحم، وهو هنا كناية عن منع الخير عن الأقرباء. **تواليها:** من يلزمونها ويتبعونها. **الوِتر:** الثأر. **الرَجل:** المقاتلون على أرجلهم. **المنهل:** المشرب. **المَخوفة:** الطريق في الصحراء. **الربيء:** الذي يربأ بقومه، أي يطّلع لهم على شَرَف، يرعى أمورهم ويحرسهم من عدوّهم. **الجِذل:** ما عظم من أصول الشجر المقطّع.**مناخات:** النوق التي أُنيخَت. **المِرجل:** القِدر من النحاس والحجارة، أو هو قدر النحاس خاصة.

يُقدّم **عروة** الأسباب التي تمكّنه من تحقيق مآربه، وتتمثل في الانطلاق في الأرض الواسعة، وتجهيز مطيته للسفر قصد الوصول إلى غايته "هجمة"، وبالتالي تحقيق الغنى، وهو لا ينتظر أن تُقدّم على طبقٍ من ذهب، بل على العكس من ذلك، فهو يعي صعوبة الحصول عليها، إذ سيلاقي من يدافع عن ممتلكاته بكلّ شجاعة. كما أنّه يتخيّر القوم الذين سيُغيرُ عليهم، إذ يُفضّل أن تكون الإبلُ قليلة الحُراس وطالبي الثأر، ما يجعله يهجم عليهم مع أصدقائه؛ سواء أكانوا راكبي جيادٍ أم على أقدامهم.

ليُقدّم **عروة** بعدها صورة عن استراتيجية الصعاليك في الإغارة، وهي أنّهم يتخيّرون "**المخوفة**" لندرة سالكيها من الناس خوفًا منها، فهي موقع استراتيجي مهم يتخذه الصعاليك مقامًا لهم، ثمّ ينتدبون ربيئًا يتقصّى المكان وما/من يحيط به، حتى إذا ما أُنيخَتْ النوقُ اعتمدوا مبدأَ المفاجأة وأغاروا.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة عن الاستعداد الذي يتميّز به الصعاليك لبلوغ غاياتهم، فهم يهيئون أنفسهم ويستعدون أتمّ الاستعداد ثم يسعون لتحقيق أهدافهم كاملة. كما يعبّر عن الصبر الذي يمتازون به، إذ يُخطّطون ثم ينتظرون حتى تحين اللحظة المناسبة للوصول إلى المأرب الذي يتمثل في الإغارة، وبالتالي الغنى المنشود.

وقال **عمرو بن براقة** مخاطبًا **عُمر بن الخطاب***–رضي الله عنه– (من الطويل):

إنَّـــكَ مُســـتَرعًى وَإنّـــا رَعِيَّـــةٌ وَإِنَّـكَ مَـدعُوٌّ بِسـيماكَ يـا عُمَـرُ

لـــدى يَـــومِ شَـــرٍّ شَـــرُّهُ لِشِـــرارِهِ وخيـرٌ لِمـن كانـت مؤانسـةُ الخِيَـرُ (1)

يُخاطبُ **عمرو بن براقة** الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ويُذكّره بمسؤوليته عن الناس الذين بايعوه على الخلافة، بأنه يجب عليه أن يقوم على أمورهم ويهتمّ به، وبخاصة في الأيام الشاقة التي تضيق فيها أمور الناس.

*رُوِيَ أنّ عمر بن الخطّاب –رضي الله عنه– أذنَ للناس يومًا، فدخل عليه شبيخ كبيرٌ يعرج، وهو يقود ناقةً رجيعًا (التي رجعت في السفر مرات) يُجاذبها، حتى وقف بين ظهراني الناس، ثم قال (البيتين)، فقال عمر: لا حول ولا قوة إلا بالله، من أنت؟ قال: عمرو بن برّاقة، قال: ويحك ! فأمر بناقته فقبضت، وحمله على غيرها، وكساه وزوّده. ينظر: شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني: من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره، ص97.

(1) شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني: من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره، ص97.

ويعبّر اليوم في البيتين السابقين عن الصراع الاجتماعي، وحالة الفقر العامة التي كان يعيشها العرب في شبه الجزيرة آنذاك، كما أنّه يدلّ على حال الضعف التي وصل إليها **عمرو بن برّاقة**، إذ أمسى شيخًا لا يقوى على الغزو والإغارة، بالإضافة إلى أنّ الإسلام قد صار منتشرًا ونشرَ عدله بين الناس، وأقرّ الزكاة التي حقٌّ للفقراء على الأغنياء يؤدونها لهم. كما أنّ **ابن براقة** بتذكيره الخليفة بواجباته نحو الناس، فإنه يروم من وراء ذلك أن يتّقي شرّ يومٍ قد يقع فيه ولا يقوى على ردّه.

وقال **ابن براقة** (من الوافر):

وَكَـــم لاقَيـــتُ ذا نَجَـــبٍ شَـــديدٍ تَسـيلُ بِـهِ النُفـوسُ عَلـى الصُـدورِ
إِذا الحَـربُ العَـوانُ بِـهِ اِسـتَهامَت وَجـــالَ فَـــذاكَ يَـــومُ قَمطَريـــرُ[1]*

يُعلمنا **ابن براقة** بكثرة مواجهته للفرسان الأشدّاء، وكيف أنّه حين يلاقي أحد الفرسان، وتدور بينهما المعركة، وتتلاقى السيوف والرّماح، وجال كل منهما حول الآخر، فإنّ ذلك اليوم مشهود مشهورٌ لشدّته.

ويعبّر اليوم في البيتين السابقين عن كثرة معارك الصعاليك، ونجاتهم من الموت في كلّ مرّة، كما يعبّر عن شدّة وشجاعة خصومهم، وصعوبة تجاوزهم إلا بشق الأنفس، وفي النهاية تكون الغلبة للصعاليك، لشدّة شجاعتهم، وصبرهم، ومتانة أسلحتهم، وحُسن تسييرهم للمعارك.

وقال **قيس بن الحدّادية** (من البسيط):

إِنَّ الفُـؤادَ قَـد أَمسـى هائِمًـا كَلِفًـا قَـد شَـفَّهُ ذِكـرُ سَـلمى اليَـومَ فَانتَكَسـا
عَنــاهُ مــا قَــد عَنــاهُ مِــن تَــذَكُّرِها بَعـدَ السُـلُوِّ فَأَمسـى القَلـبُ مُختَلَسـا
وَبَعــدَما لاحَ شَــيبٌ فــي مَفارِقِــهِ وَبــانَ عَنــهُ الصِـبا وَالجَهـلُ فَانمَلَسـا

---

[1] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني: من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره، ص96.

* **النجب:** لحاء الشجر، أو قشر عروق الشجر الصلب، وأراد **بذي نجب:** الرمح تكون عصاه صلبة. **الحرب العوان:** التي قُوتِل فيها مرّة بعد مرّة، كأنهم جعلوا الأولى بِكرًا. **استهامت:** صارت مستهامة، **والمستهام:** الذاهب العقل من العشق، أراد أنّ الحرب تغرم بالرمح. **قمطرير:** يوم قمطرير، أي شديد. (في البيت الثاني إقواء، وهو اختلاف حركة الروي).

تَـذَكَّرَ الوَصلَ مِنهـا بَعدَما شَـحَطَت بِهـا الـدِيارُ فَأَمسـى القَلـبُ مُلتَبَسـا
فَعَـدِّ عَنـكَ هُمـومَ الـنَفسِ إِذ طَرَقَـت وَاِشدُد بِرَحلِكَ مِذعانَ السُرى سُدُسا[1]*

يتذكّر **قيس بن الحدّادية** حبيبته **سلمى**، فيصير عليلًا لهذه الذكرى، فيستحضرها وقد كبر سنّه ووهن عظمه، فالرجل قد صار شيخًا عاجزًا، ومع هذا فهو يذكرها ويحزن لفراقها.

ويعبّر اليوم في الأبيات السابقة عمّا آلت إليه حال **قيس**، فالرجل كان سعيدًا في ماضيه رفقة حبيبته، لكنه اليوم صار حزينًا لفراقها، وأضحت ذكراها تسبب له الحزن وضعف الجسم، فيحملُ اليوم معاني الماضي السعيد والحاضر المؤلم المؤدي إلى الضعف والعجز.

نخلص ممّا سبق إلى أنّ اليوم يعبّر عن الصراع النفسي لدى الصعلوك، ومعاناته مع الفقر والظروف البيئية القاسية، والمكابرة التي يظهرها قصدَ إخفاء الحزن وعدم إظهاره أمام الناس، لشماتة قد تصيبه، أو لعجز يُبيّن ضعفه أمامهم، وهو تغيّر من حالة الماضي السعيد مع الأحبة إلى الحاضر المؤلم لفراقهم.

بالإضافة إلى أنّ اليوم في شعر الصعاليك يترجم الصراع القائم بين القبيلة والصعاليك، الذين يرومون إثبات ذواتهم، وإصرارهم على تحقيق غاياتهم، من غنى وثأر، على الرغم من الصعوبات المحيطة بهم، فيواجهونها دون الاكتراث للوم، مع الرفض القاطع أن يكونوا تبعًا لآراء الآخرين، مهما كانوا مقربين منهم.

3-نسق الأنس/الليل

يمثّلُ الليلُ الفترةَ الزمنية التي تبدأ بعد غروب الشمس وتنتهي عند طلوع الفجر، وفي الأدب يمكن عدّه رمزًا للغموض والظلام، إذ يصف بشكل شائع كل ما هو مخيف وغامض. وقد يتم استخدامه في الأدب للتعبير عن الوحشة والتعاسة، حيث يصف حالة الشخص الذي يعاني من الوحدة والشعور بالانطواء.

---

[1] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص35.

***شفّه:** هزله. **انتكس:** عاودته العلّة بعد النّقه. **المختلس:** المسلوب. **انملس:** تخلص وانفلت. **شحطت:** بعدت. **الملتبس:** أي الملتبس عليه الأمر. **المذعان:** المطواع. **السدس:** التي بلغت الثامن من عمرها.

كما يمكن أن يمثل الليل في الأدب رمزًا للتحدي، حيث يمكن استخدامه للإشارة إلى المواجهات التي يواجهها الأشخاص والتي تعتبر اختبارًا لقوتهم وصمودهم. بالإضافة إلى أنّه يمكن استخدامه في الأدب كرمز للتصالح، ففي بعض الأحيان يمكن إظهار مشاهد تصالح بين أشخاص متصارعين أو تصالح داخلي للشخصية، وذلك بتمثيل الأحداث في أجواء الليل الهادئة والمليئة بالتفاؤل.

ويمكن أن يمثل الليل في الأدب أيضًا رمزًا للجمال الطبيعي، حيث يتم استخدامه للتعبير عن سحر الليل وجمال النجوم في السماء. وقد يستخدم في الأدب رمزًا للعواطف والمشاعر العميقة، حيث يصف الشخصيات وهم يعانقون بعضهم البعض في جوٍّ رومانسي. وبشكل عام، يمثل الليل تعبيرا عن مشاعر للشخصيات والأحداث، وللبدايات والنهايات، ولكل ما يتعلق بالظلام والغموض والجمال الطبيعي في الحياة.

كما يتم استخدام الليل في النقد الثقافي كرمز للوحدة والعزلة والتفكير الداخلي، حيث يمكن تصوير الشخصيات وهي تعيش الأوقات الحزينة والصعبة في الليل وتخطي الحواجز النفسية، وتبحث عن معنى للحياة والراحة النفسية والسلام.

وكان لزمن الليل عند الشعراء العرب حضور قوي في شعرهم، فكثرت صوره وتشبيهاته، ولعلّ خير مثال على ذلك ما ورد في شعر **امرئ القيس** (من الطويل):

ولَيْـلٍ كَمَـوْجِ البَحْـرِ أَرْخَـى سُـدُوْلَهُ   عَلَـــيَّ بِــأَنْوَاعِ الهُمُـــوْمِ لِيَبْتَلِـــي
فَقُلْـــتُ لَــهُ لَمَّــا تَمَطَّــى بِصُـــلبهِ   وأَرْدَفَ أَعْجَــــازًا وَنَــــاءَ بِكَلْكَــــلِ
ألاَ أَيُّهَـا اللَّيْـلُ الطَّوِيْـلُ ألاَ انْجَلِـي   بِصُبْحٍ، وَمَا الإصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَلِ[1]*

---

[1] ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط2، 2004م،

* **السدول:** الستور، الواحد منها سدل. **الإرخاء:** إرسال الستر وغيره. **الابتلاء:** الاختبار. **الهموم:** جمع الهم، بمعنى الحزن وبمعنى الهِمّة. **تمطّى:** أي تمدّد، ويجوز أن يكون التمطّي مأخوذًا من المطا، وهو الظهر، فيكون التمطّي مدّ الظهر، ويجوز أن يكون منقولًا من التمطط فقلبت إحدى الطاءين ياءً، والتمطط التفعل من المط، وهو المدّ. **الإرداف:** الإِتْباعُ والإِتّباع، وهو بمعنى الأول ها هنا. **الأعجاز:** المآخير، الواحد عَجُزَ وعَجِز وعَجْز. **ناء:** مقلوب نأى بمعنى بَعُد، كما قالوا: راء بمعنى رأى. **الكلكل:** الصدر، والجمع كلاكل. **الانجلاء:** الانكشاف. **الأمثل:** الأفضل.

يذهب **يوسف عليمات*** إلى أنّ الليل عند امرئ القيس يتحوّل «**إلى ليل نفسي ذاتي مليء بالهموم والآلام. فالليل يشكّل ابتلاءً ومحنةً للشاعر... ونلحظ الشاعر يعمد إلى أنسنة الليل لعله يجد صوتًا متجاوبًا مع رغبته في الخلاص من إسار الزمن، بيد أنّ طلب الشاعر أو تمنيه بجلاء الليلي ينمّ على حلم بزوال عالم الظلام وظهور عالم الضياء، على الرغم من أنّ الصباح غدًا في حياة الشاعر زمنًا مشابها لزمنه الليلي**»[1]. نستشف من هذا القول أنّ الليل عند **امرئ القيس** مليء بالهموم والأحزان والآلام، كما أنّه يؤنسنه بحثًا عن محاور يُشعره بالأمان، وهو ينتظر انبلاج صبح يكسر الظلمة المحيطة به من كل جانب، على الرغم من أنّه موقن أنّ هذا الصباح شبيه بالليل.

وإذا ما انتقلنا إلى شعر الصعاليك؛ فإننا نجده يضج بتيمة الليل، ومن ذلك قول **السليك** (من الطويل):

وَلَيلَـــةَ جابـــانٍ كَـــرَرتُ عَلَـــيهِمُ عَلـــى ســـاحَةٍ فيهـــا الإِيَـــابُ حَبيـــبُ
عَشـــيَّة ضَـــلّتْ للحَرامـــيِّ ناقَـــةٌ بِحَـــيِّهَلا يَـــدعو بِهـــا فَتُجيـــبُ
فَضـارَبتُ أُولَـى الخَيـلِ حَتّـى كَأَنَّمـا أُميـلَ عَلَيهـا أَيـدَعٌ وَصَـبيبُ[2]**

---

* يوسف محمود غثيان عليمات ولد سنة 1975م في محافظة المفرق بالأردن، حصل من جامعة اليرموك على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها (اللغة الإنجليزية تخصصا فرعيا) سنة 1997م، وشهادة الماجستير في الأدب والنقد سنة 1999م، ثم شهادة الدكتوراه في التخصص نفسه سنة 2003م. عمل مدرسا في الجامعة الهاشمية بالزرقاء. أسهم في تأسيس مجلة "الهاشمية الثقافية" (2006م)، وشغل عضوية هيئة التحرير ثم إدارة التحرير فيها، كما تولى إدارة التحرير في صحيفة "الواحة الهاشمية" (2006م)، ثم أصبح رئيسا لتحريرها سنة (2009م). شغل مناصب عدة في الجامعة، منها: مدير دائرة النشاط الثقافي بعمادة شؤون الطلبة (2007/2006م)، وعميد شؤون الطلبة (2008-2010م)، ومساعد رئيس الجامعة (2011/2010م). كان عضوا في الهيئة الادارية لاتحاد الثقافي للجامعات الأردنية (2010م)، والهيئة لإدارية للاتحاد الرياضي للجامعات الأردنية (2010م)، كما أنه عضو في رابطة الكتاب الأردنيين. له العديد من المؤلفات، لعل أهمها: جمالية التحليل الثقافي: الشعر الجاهلي نموذجا (2004م)، النسق الثقافي: قراءة في أنساق الشعر العربي القديم (2009م). النقد النسقي: تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي (2005م)، ثقافة النسق: تجليات الأرشيف في الشعر العربي القديم (2021م)، بالإضافة إلى مشاركاته في المؤتمرات العلمية. توفي يوسف عليمات بتاريخ: 05 أكتوبر 2021م.

[1] يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجًا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، ط1، 2004م، ص ص211-212.

[2] السليك بن السلكة، أخباره وأشعاره، ص46.

** **حيّهلا:** اسم فعل أمر بمعنى "تعالَ" أو "تعالوا". **الأيدعُ:** دم الأخوين. **الصبيب:** الحِنّاء.

يذكر **السليك** خبر هجومه على قبيلة "**جابان**" في عقر دارهم، وهذا بعد أنّ ضلّت ناقة لصديقه من "**بني حرام**"، وقد كان يناديها ليستاقها معه، لكنه واجه رجالًا من **بني جابان** يريدون الذود عن قبيلتهم، فحالوا بينه وبين الناقة، فما كان منه إلا أن قاتلهم، وأمعن في قتلهم، حتى صار لون الناقة أحمرًا من شدّة تطاير الدّماء.

ويعبّر الليل في أبيات السليك السابقة عن شجاعة الشاعر وفروسيته وركوبه الأهوال، فكيف لرجل منفرد أن يقتحم ديار قوم بحثًا عن ناقة لصديقه؟ إنها شجاعة الصعلوك، الذي لا يعرف التراجع أو الخوف، وكلّ همّه تحقيق هدفه مهما كان؛ كبيرًا أو صغيرًا، ومهما كلّفه الأمر، حتى وإن كان في ذلك هلاكه.

ومما ينسب **للشنفرى*** قوله (من الطويل):

إذا هَمَّ لم يحذَر من اللَّيلِ غُمَّةً تُهابُ ولم تَصعُب عَلَيه المَراكِبُ
قَرى الهَمَّ إذ ضاف الزَّماعَ فَأَصبحت منازِلُهُ تَعتَسُّ فيها الثعَّالِبُ[1]**

يُعلمنا **الشنفرى** بأنّه إذا عزم على أمر ما فإنه سيمضي وراءه ولا يخشى من ظلام الليل الموحش، ولم يعرقله أمر أو يصعّبه عليه، إذ إنّ الهمّ صار ضيفًا ثم رفيقًا لا يفارقه، ما يجعله يترك منازله ويهجرها حتى تغدو قفرًا تجولُ فيها الثعالبُ.

ويعبّر الليل ها هنا عن حنين الصعلوك واستذكاره أيام الطمأنينة، عن الهمّ والغمّ الذي يصيبه، فيقوده إلى العزم على الرحيل، والمضيّ نحو تحقيق غايته، دون اكتراث بالمصاعب والمشاق.

وقال **الشنفرى** أيضا (من الطويل):

وَمَرقَبَةٍ عَنقاءَ يَقصُرُ دونَها أَخو الضِروَةِ الرِجلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ
نَعَبتُ إِلى أَدنى ذُراها وَقَد دَنا مِنَ اللَيلِ مُلتَفُّ الحَديقَةِ أَسدَفُ

---

* ينسَبُ البيتان إلى القتّال الكلابي. ينظر: ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص83. وصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تحقيق وشرح ودراسة: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1999م، ج1، ص230.

[1] محاسن بن إسماعيل الحلبي، شرح شعر الشنفرى الأزدي، ص114.

** **قرى الضيف:** أضافه. **الزماع:** المضاء والسرعة في الأمر. **اعتسّ الشيء:** طلبه ليلا.

فَبِتُّ عَلى حَدَّ الذِراعَين مُجذِيًا كَما يَتَطَوّى الأَرقَمُ المُتَعَطِّفُ[1]*

يُصوّر **الشنفرى** إحدى المراقب، فيعلمنا بعلوّها الذي يصعب بلوغه حتى على الصياد المتمرّس وكلابه، إذ ارتقاها **الشنفرى** ليلا، وكمن في ذراها قصد التستّر والأمن. ويعبّر الليل في هذه الأبيات عن القلق والاضراب الذي يعيشه الشاعر، وورود الليل إنما يثبت سعي **الشنفرى** نحو التستّر والاختباء ممّا يحيط به من أهوال ومصاعب، وأعداء يرومون النيل منه إذا ما ثقفوه. ويقول **الشنفرى** أيضا (من الطويل):

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمْيَلُ
فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ
وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سَرى راغِبًا أَو راهِبًا وَهوَ يَعقِلُ
وَلي دونَكُم أَهلَونَ: سيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ
هُمُ الأَهلُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ[2]**

تنتمي الأبيات إلى لامية **الشنفرى** الشهيرة، فهي بدايتها، حيث يُعلن فيها الشاعر خروجه عن قومه، واستبدالهم بقوم آخرين من الحيوانات، وما هذا إلى بسبب إحساسه بالظلم والقهر، الذي طاله من قبيلته، فيرى أنّ هذه الحيوانات المتوحشة أكثر وفاءً وتمسكًا به من قومه.

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص53.

* **المرقبة:** مكان المراقبة. **العنقاء:** الطويلة. **يقصر دونها:** يعجز عن بلوغها. **أخو الضّروة:** الصيّاد معه كلابٌ ضراها للصّيد. **الحفيُّ:** غير المنتعل. **نعبتُ:** رفعتُ رأسي. **الأسدف:** المُظلم. **مُجذيًا:** ثابتًا وقائمًا، **المجذي:** الذي ليس بمطمئن. **تطوّى:** استدار والتفّ بعضه على بعض. **الأرقم:** ذكرُ الحيّات أو أخبثها.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص58-59.

** **المطيّ:** ما يُمتطى من الحيوان، والمقصود بها، هنا، الإبل. والمقصود **بإقامة صدورها:** التهيؤ للرحيل. **حُمّت:** قُدّرت ودُبّرت. **الطيّات:** جمع الطّيّة، وهي الحاجة. **الأرحل:** جمع الرّحل، وهو ما يوضع على ظهر البعير. **المنأى:** المكان البعيد. **القِلى:** البغض والكراهية. **المتعزّل:** المكان لمن يعتزل الناس. **لعمرك:** قسم بالعمر. **السّيد:** الذئب. **العملّس:** القوي السريع. **الأرقط:** الذي فيه سواد وبياض. **زهلول:** خفيف. **العرفاء:** الضبع الطويلة العُرف. **جيأل:** من أسماء الضبع. **الجاني:** المقترف الجناية أي الذنب. **جرّ:** جنى. **يُخذل:** يُتخلّى عن نصرته.

ويعبّر الليل في المقطع السابق عن الظلم والقهر والمصير المجهول الذي يعانيه **الشنفرى**، ورغبته في التخلص منها واستبدالها بالأمل الذي تجسّد في قوله "**مقمر**"، فيتخذ من القمر أنيسًا له، ويرى فيه حياة مختلفة عن الحياة التي كان يعيشها في قبيلته، وهذه الحياة الجديدة كلها أمل وحرية واحتواء وأُنس مع الحيوان، بعيدًا عن الاغتراب الذي يعيشه في قبيلته.

وفي مقطع آخر من اللامية دومًا يقول:

وَلَيلَـةِ نَحـسٍ يَصـطَلِيَ القَـوسَ رَبُّهـا وَأَقطُعَـــهُ اللاتـــي بِهـــا يَتَنَبَّـــلُ

دَعَستُ عَلى غَطشٍ وَبَغشٍ وَصُحبَتي سُـــعارٌ وَإِرزيـــزٌ وَوَجـــرٌ وَأَفكَـــلُ[1]*

يُعدّد **الشنفرى** صفات هذه الليلة، فهي باردة ممطرة ومظلمة، ما جعله يتخلّى عن سلاحه ويضرم فيه نارًا يستدفئ بها، وسار **الشنفرى** في هذه الليلة وصحبته فيها: جوعه وخوفه وارتعاشه، ولم تثنه هذه الظروف الصعبة، فترك خلفه النساء أيامى والولدان يتامى، وعاد إلى مكانه الأول كما بدأ في ظلمة حالكة شديدة السواد.

ويعبّر الليل عن معاناة الصعلوك وقهره النفسي، ففي الوقت الذي يكون الناس في بيوتهم متنعمين بالدفء والطمأنينة ولذيذ الطعام؛ يكون هو تحت الظلام الدامس، يتجرّع مرارة الألم، وشدة الجوع، قساوة البرد، ووحشة الوحدة، ما يجعله يتّخذ من قوسه نارًا تؤنسه في ليلته، ليرفع لواء التحدي ويرفض الاستسلام، فيواصل المضي قدمًا نحو هدفه، وهو يتأقلم مع الظروف البيئية الصعبة المحيطة به.

أما إذا انتقلنا إلى **تأبط شرا** فإننا نجد شعره يتحدث عن الليل كثيرا، ومن ذلك قوله (من الطويل):

وَلَيـــلٍ بَهـــيمٍ كُلَّمـــا قُلـــتُ غَـــوَّرَت كَواكِبُـــــهُ عـــــادَت فَمـــــا تَتَزَيَّـــــلُ

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص69-70.

* **النحس:** البرد. **يصطلي:** يستدفئ. **ربّها:** صاحبها. **الأقطع:** جمع قِطْع، وهو نصل السهم. **يتنبّل:** يتّخذ منها النّبل للرمي. **دعست:** دفعت بشدة وإسراع، وقيل: معناه مشيت، أو وطئت. **الغطش:** الظلمة. **البغش:** المطر الخفيف. **صحبتي:** أصحابي. **السّعار:** شدّة الجوع، وأصله حرّ النار، فاستعير لشدّة الجوع، وكأنّ الجوع يُحدث حرًّا في جوف الإنسان. **الإرزيز:** البرد. **والوجر:** الخوف. **الأفكل:** الرعدة والارتعاش.

بِها الرَكبُ أَيما يَمَّمَ الرَكبُ يَمَّموا، وَإِن لَم تَلُح فَالقَومُ بِالسَيرِ جُهَّلُ[1]*

يصف **تأبط شرا** إحدى الليالي المظلمة، فلا بدر لا كواكب ولا نجوم فيها، فلم يعرف ومن معه مقصدهم، لعدم قدرتهم على الاهتداء، لغياب العلامات التي اعتاد العرب الاهتداء بها.

ويعبّر الليل في هذين البيتين عن الحيرة التي يعيشها **تأبط شرا** ومن معه من الصعاليك، فخروجهم عن قبائلهم جعلهم مشتتين حائرين لا يعرفون وجهتهم وهدفهم في الحياة، فالخروج عن القبيلة يعني الخروج عن النظام السائد الذي كان يتميّز بوجود قادة يوجهون أتباعهم، ويذللون عليهم بعض الصعاب التي كانت تعترضهم.

فالصعلوك، ها هنا، دون هدف، أحاطت به الظلمة من كل جانب، ما يعني أنّ الخطر محيط به، وأيّ خطوة يخطوها قد تكلّفه حياته، ولا مؤنس له سوى صحبه الذين يتعاضدون فيما بينهم للنجاة بأرواحهم من أي خطر قد يفاجئهم.

وقال أيضا (من الطويل):

أَضافَت إِلَيهِ طُرقَةُ اللَيلِ ما فَتًى ثُباتًا إِذا ظَلَّ الفَتى وَهوَ أَوجَلُ
بَدا بِحَرامِ اللَهِ حَتّى اِستَحَلَّهُ وَكانَ شِفاءً ثَأرُ نَفسي مُعَجِّلُ[2]**

زاد ظلامُ الليل **تأبط شرا** قوة وفتوة وثباتًا حتى انزاح عنه الخوف، لترتاح نفسه بأن استحلّ حرامًا، والذي يتمثل في أخذ الثأر ليرضي نفسه ويريحها.

ويمثّل الليل في البيتين السابقين الأنيس الذي يعين الصعلوك على المخاطرة، ويكسبه شجاعة وثباتا في مواجهة المُلمّات، كما أنّه يدلّ على الإصرار على تحقيق الهدف (الثأر)، والذي لا تقف أيّ عقبة في طريقه حتى يبلغه، وهو متى ما بلغه فإنّه يشعر بالراحة النفسية، فهو شفاءٌ لذلك الضيق الذي يعانيه جرّاء السعي للأخذ بثأره.

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص160.

* **بهيم:** لا ضوء فيه إلى الصباح. **غوّرت:** غربت، اختفت. **تتزيّل:** تتباين. **يمّم:** قصد واتّجه. **تلُح:** تظهر. **جُهّل:** جمع جاهل.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص161.

** **طرقة:** ظلمة. **أوجلُ:** خائف.

كما أنّ في قوله "**بدا بحرام الله حتى استحلّه**" إشارة إلى القانون السائد آنذاك، الذي يفيد بأنّ دم الإنسان يبقى محرّمًا بين القبائل ما لم يكن هناك داعٍ لاستباحته، وعلى رأس هذه الدواعي الثأرُ للقتيل.

وقال أيضا (من الوافر):

يَقــولُ لِــيَ الخَلــيُّ وَيــاتَ جَلسًــا بِظَهــرِ اللَيــلِ شُــدَّ بِــهِ العُكــومُ:
أَطَيــفٌ مِــن سُــعادَ عَنــاكَ مِنهــا مُراعَــةُ النُجــومِ وَمَــن يَهــيمُ
وَتِلــكَ، لَــئِن عُنيــتَ بِهــا، رَداحٌ مِــنَ النِســوانِ، مَنطِقُهــا رَخــيمُ
نِيــافُ القُــرطِ، غَــرّاءُ الثَنايــا وَرَيــداءُ الشَــبابِ، وَنِعــمَ خَــيمُ
وَلَكِــن فــاتَ صــاحِبُ بَطــنِ رَهــوٍ وَصــاحِبُهُ، فَأَنــتَ بِــهِ زَعــيمُ
أُواخِــذُ خُطَّــةً فيهــا سَــواءٌ أَبيــتُ وَلَيــلُ واتِرِهــا نَــؤومُ
ثَــأَرتُ بِــهِ بِمــا اِقتَرَفَــت يَــداهُ فَظَــلَّ لَهــا بِنــا يَــومٌ غَشــومُ
نَحِــزٌّ رِقــابَهُم، حَتّــى نَزَعنــا وَأَنــفُ المَــوتِ مَنخِــرُهُ رَمــيمُ
وَإِن تَقَــعِ النُســورُ عَلَــيَّ يَومًــا فَلَحــمُ المُعتَفــى لَحــمٌ كَــريمُ[1]*

أمضى **تأبط شرا** ليلته مع رجل يحاوره، وكان الرجل الذي معه خليًا؛ أي لا يقوم بأيّ عمل، همّه القعود في البيت، كأنّه متاعٌ شُدّت إليه الحبال.

وقد أخذ الخليّ يحدّث **تأبّط شرا** عن محبوبته **سعاد**، وكيف أتعبه تأمّل النجوم تخيّلًا لها، وشغفًا بها، ثم يأخذ في وصفها، فهي ذات ردفين ضخمين، وأوراك سمينة، كما أنّ كلامها رقيق وسهل ليّن، ذات رقبة طويلة (وهي من صفات الجمال عند العرب)، بيضاء البشرة والأسنان، ذات أصل طيّب.

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص201، 204.

* **الجَلسُ:** الجمل الضخم الجسيم، **العكوم:** المتاع يُشدّ بالحبل. **الرّداح:** المرأة الممتلئة العجيزة الثقيلة الأوراك التامة الخلق. **المنطق الرخيم:** الليّن الهادئ في خفوض صوتٍ ورقّة لفظ. **نيافُ القرط:** طويلته، وهي كناية عن طول العنق وجماله، كقولهم "بعيدة مهوى القرط". **أواخذ خطّة:** آخذ خطّة برويّةٍ أديرها في نفسي مرّات ومرّات قبل أن أشرع فيها. **النؤوم:** النائم المستغرق في النوم. **الواتر:** المُطالِبُ بالثأر والمُطالَبُ به. **غشوم:** شديد الوقع، والمشوم المشؤوم. **الرميم:** البالي. **المعتفى:** الذي تأتيه العوافي، جمع عافٍ، وهو كل من جاء يطلب رزقًا من السّباع و الجوارح.

ليحدّثه بعدها عن رهو ماء وكيف أنّه كفيل بالسيادة عليه، ليتّخذ بعدها خطّة؛ مفادها أنّه سيترك صاحب الرهو حتى ينام لينال منه، وبهذا يبلغ **تأبط شرا** ثأره، ويحزّ رقاب القوم فيلحق الذلّ الناجين منهم، ليختتم الأبيات بأنه متى يموت **(وإن تقع النسور عليّ يومًا)** فإنّ لحمه لحم كريم تستطيبه السباع والجوارح.

ويعبّر الليل في هذه الأبيات عن مؤانسة الصعلوك أثناء حنينه إلى حبيبته، واستحضار طيفها متى ما خلا إلى نفسه في ظلمة الليل، فالرجل قد ينشغل في نهاره بعمل أو سفر، لكنه متى ما أسدل الليل سدوله عليه وأظلم، وأراد أن يرتاح تذكّر محبوبته، وأخذ يتأمّل النجوم والكواكب مخاطبًا إياها.

كما يحمل الليل الإحساس بثقل مسؤولية الثأر، الذي يود **تأبط شرا** نيله إذا ما طلع النهار، ففي النهار يتجلى الضياء، وتتجلى الطرق والمسالك والمعالم، فهو انكشاف لكل مختفٍ متخفٍ، وبه يظهر العدو من الصديق، فيستطيع الصعلوك بلوغ ثأره والنيل من عدوه وبسط سيطرته على كل ما من شأنه الوقوف في طريقه.

ومما ينسب **لتأبط شرا** قوله (من المديد):

يَركَــبُ الهَــولَ وَحيــدًا، وَلا يَصْــ ـــــحَبُهُ إلا اليَمــــانيُّ الأَفَـــــلُّ
وَفُتُــوٍّ هَجَّــروا ثُــمَّ أَم أَســروا لَــيلَهُم حَتّــى إِذا اِنجــابَ حَلّــوا
كُــلُّ مــاضٍ قَــد تَــرَدّى بِمــاضٍ كَسَـــنا البَــرقِ إِذا مـــا يُسَــلُّ
فَاِحتَسَــوا أَنفــاسَ نَــومٍ فَلَمّــا ثَمِلـــوا رُعـــتُهُم فَاِشــــمَعَلّوا
فَاِدَّرَكنــا الثَــأرَ مِــنهُم وَلَمّــا يَــــنجُ مِلحَــيّنِ إِلا الأَقَــــلُّ[1]*

تنتمي الأبيات إلى القصيدة المنسوبة **لتأبط شرا** في رثاء الشنفرى والتي مطلعها:

إِنّ بِالشِــعبِ الَّــذي دونَ سَــلعٍ لَقَتـــيلاً دَمُـــهُ مـــا يُطَـــلُّ

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص249.

* **الأفلّ**: الحادّ الباترُ. **هجّروا**: ساروا في وقت الهاجرة. **السرى**: السير في الليل. **انجاب**: انكشف. **حلّوا**: أقاموا. **كلّ ماضٍ**: كلّ ماضٍ في أمره. **بماضٍ**: بسيفٍ. **اشمعلّوا**: أسرعوا في سيرهم وجدّوا في مشيهم. **مِلْحَيّين**: من الحيين، وهي لغة.

ويبدأ الشاعر الأبيات بوصف **الشنفرى** الذي يواجه الصعاب وحيدًا، ولا يصحبه سوى سيفه الحاد، ينتقل بعدها للحديث عن صحبه الصعاليك الذين يرتحلون مكان إلى آخر؛ بداية من وقت الهجيرة ثم ليلتهم إلى أن ينكشف ضوء الصباح ليقيموا في المكان الذي وصلوه.

ليخبرنا إثرها أنّ كل من يواجههم سيكون مصيره الموت بسيف حادٍ يخلّف ضياءً كوميض البرق من شدّة حدّته وصقله، ليعلمنا الشاعر أنّ هجومه وصحبه على قاتلي **الشنفرى** كان أثناء نومهم، ما يشكّل عنصر المفاجأة لدى الأعداء، فلا يكادون يعون ما يقع لهم إلا والسيوف تضرب رقابهم، وقد تركهم الشاعر وصحبه فارين بجلودهم من الموت.

ونتيجة إقدام الصعاليك وعزمهم على تحقيق هدفهم فإنهم سيدركون ثأر **الشنفرى** بعد معركة صعبة يكون فيها عدد القتلى كبيرًا، ولن ينجو إلا العدد القليل.

ويعبّر الليل في المقطع السابق على عدةّ أشياء، لعلّ أهمّها:

- إنّ الشاعر يعاني من طول الزمن لإدراك ثأره، ما يجعله يعيش حالة نفسية صعبة تتسم بالقلق والاضراب لبلوغ مأربه.
- اتخاذ الليل سِتْرًا للنيل من العدو وإدراك الثأر، فقد جعل منه وسيلة حربية، أو فلنقل خطة استراتيجية لإدراك الثأر والإمعان في قتل الأعداء.
- إنّ الليل بظلامه يمثّل الموت الذي يبسط سيطرته على أعداء تأبط شرا، فالظلام يلغي كلّ ضياء، وكذلك تأبط شرا وصحبه الصعاليك؛ ينهون حياة كل من يواجههم.

ولننتقل الآن إلى صعلوك آخر، هو **عروة بن الورد**، إذ يقول من (الطويل):

لَحى اللَهُ صُعلوكًا، إذا جَنَّ لَيلُهُ، مُصافي المُشاشِ، آلِفًا كُلَّ مَجزَرِ
يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ، كُلَّ لَيلَةٍ، أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ
يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ ناعِسًا، يَحُتُّ الحَصى عَن جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ
قَليلُ اِلتِماسِ الزادِ إلا لِنَفسِهِ، إذا هُوَ أَمسى كَالعَريشِ المُجَوَّرِ

يُعينُ نِساءَ الحَيِّ، ما يَستَعِنُّهُ، وَيُمسي طَليحًا، كَالبَعيرِ المُحَسَّرِ[1]*

تنتمي القطعة إلى رائية **عروة** في وصف صنفي الصعاليك، وها هنا يقدم صفات للصعلوك الخامل، إذ يبدأ الأبيات بقوله "**لحى الله**"، وهو دعاء بصب اللعنة وإبعاد هذا النوع من الناس، لأنّه خامل يقتات على بقايا غيره، كالضبع يعتاش من بقايا الأسود، أقصى غايته أن ينال قرًى من شخص ميسور الحال، ويقضي ليله نائمًا، ثم يصبح بعدها ناعسًا كسولًا يُبعد الحصى الملتصق به، ولا همّ له سوى الطعام لنفسه غير مكترثٍ بالآخرين.

كما أنّ الصعلوك الخامل لا يشتغل بشغل الرجال الفرسان، بل يُعين النساء إذا ما طلبن معونته، وهذا عمل دنيء لا يليق بمقامات الرجال، وهكذا يقضي يومه ليختمه تعبانًا فيستلقي لينام كالبعير.

ويظهر الليل في الأبيات السابقة ليعبّر عن خمول القبيلة وهدوئها ليلًا، فهي تنعم بالراحة والبِطنة، على عكس ليل الصعاليك النشيط، الذي يحمل بين جنباته الحركة والإغارة والقلق والجوع، فعروة، بهذه الصفات التي ألبسها الصعلوك الخامل، قد أظهر صفاته وصفات من معه من الصعاليك بطريقة عكسية، فبضدها تتبين الأشياء.

ومن الصعاليك الذين ورد الليل في شعرهم؛ **عمرو بن براقة** الذي يقول (من الطويل):

تَقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّض لِتَلفَةٍ وَلَيلُكَ عَن لَيلِ الصَعاليكِ نائِمُ
وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَن جُلُّ مالِهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبيَضُ صارِمُ
غَمُوضٌ إِذا عَضَّ الكَريهَةَ لَم يَدَع لَهُ طَمَعاً طَوعُ اليَمينِ مُلازِمُ
أَلَم تَعلَمي أَنَّ الصَعاليكَ نَومُهُم قَليلٌ إِذا نامَ الخَلِيُّ المُسالِمُ
إِذا اللَيلُ أَدجى وَاِكفَهَرَّ ظَلامُهُ وَصاحَ مِنَ الأَفراطِ بومٌ جَواثِمُ

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص68.

* **مصافي المشاش:** مختار، مؤثر للأكل. **والمشاش:** رأس العظم اللين. **المجزر:** الموضع الذي تجزر فيه الإبل. **الصعلوك:** أراد به الصعلوك اللئيم الذي يعيش خاملًا. **يحثّ الحصى:** لا يبرح الحي، **وحثّ الشيء:** قشره وأسقطه. **العريش:** شبه الخيمة. **يمسي طليحًا:** قد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير محسر، أي حسير ضعيف.

وَمــالَ بِأَصــحابِ الكَــرى غالِباتُــهُ فَــإِنّي عَلــى أَمــرِ الغَوايَــةِ حــازِمُ[1]*

ابتدأ **عمرو بن براقة** ميميته بحوارٍ مع عاذلته، التي طلبت منه عدم التعرض للمهالك للحفاظ على حياته، كما أنها طلبت منه أن يخلد للنوم ليلًا، ليجيبها بعدم قدرته على النوم بسبب فقره، فجلّ ما يملكه سيفُهُ الحادّ.

لينتقل **عمرو** من الحديث عن نفسه إلى إيراد صفات الصعاليك الذين ينتمي إليهم، وأولى هذه الصفات أنهم قليلو النوم لجدّهم في طلب الرزق، والسطو على المرتاح الآمن، ولا يكون هذا إلا ليلا، وبخاصة إذا كان مظلمًا هادئًا، فحين يسكن الإنسان والحيوان، ولا يبقى إلا صوت البوم يجول في المكان، وغاص الناس في نوم عميق حينئذٍ يظهر عمرو بن براقة وغيره من الصعاليك ليغيروا على الأغنياء بكل حزم.

ويعبّر الليل في هذه القصيدة على لحظة الهدوء الخالية من الصراع والمواجهة المباشرة مع القبيلة، ما يجعل **عمرو** يتسلح بالحزم والعزم على تحقيق هدفه المتمثل في استرجاع بعض حقه من المال أو القوت الذي يمنعه عنه الأغنياء، فلا ينتظر زوال الليل لتحقيق غايته، بل يصير الليل سببًا في انصرام الظلم الذي تعرّض له **عمرو**، ليتحوّل ظلام الليل المرتبط بالهلاك إلى ضياء النهار الذي يحمل معاني الأمل وتحسّن الحياة.

كما أنّ **عمرو** ينكر على نفسه النوم أثناء الليل، إذ إنه ليس شخصًا مترفًا أو يعيش حياةً رغدًا هانئ البال، وإنّما هو صعلوك فقير يعرّض نفسه للمهالك قصد تحقيق غايته، والوقوف ضدّ من آثروا أنفسهم بالراحة واحتكروا قوت الضعفاء، فناموا شبعانين مرتاحين غير مكترثين بجوع الفقراء وآلامهم[2].

---

[1] شريف راغبة علاونة، عمرو بن براقة الهمداني، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، سيرته وشعره، ص ص109، 111.

* **التّلفة:** المهلكة. **الحسام:** السيف. **الصّارم:** القاطع. **غموض:** من غَمَض السيف في اللحم، غاب. **الكريهة:** الشّدة، الحرب. **الخليّ:** الخالي من الهموم. **المسالم:** غير المحارب. **أدجى:** أظلم، **والظّلام المكفهرّ:** المتراكب الظلمة. **الأفراط:** الآكام، وهي الجبال الصغار واحدها فُرُط. **الكرى:** النعاس والنوم. **غالباته:** أي نعساته المستولية على الإنسان. **الغواية:** الجهل.

[2] ينظر، هنادي جبري محمد أبو قطام، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي: دراسة نقدية ثقافية، ص105.

وقال **صخر الغي** (من الوافر):

وَمـــا إِن صَـــوتُ نائِحَـــةٍ بِلَيـــلٍ بِسَـــبلَلَ لا تَنَـــامُ مَـــعَ الهُجـــودِ
تَجَهنـــا غـــادِيَينِ فَســـايلَتني بِواحِـــدِة وَأَســـأَلُ عَـــن تَليـــدي
فَقُلـــتُ لَهـــا فَأَمّـــا ســـاقُ حُـــرٍّ فَبـــانَ مَـــعَ الأَوائِـــلِ مِـــن ثَمـــودِ
وَقالَـــت لَـــن تَـــرى أَبَـــداً تَليـــدًا بِعَينِـــكَ آخِـــرَ الـــدّهرِ الجَديـــدِ
كِلانـــا رَدَّ صـــاحِبَهُ بِيَـــأسٍ وَتَأنيـــبٍ وَوِجـــدانٍ بَعيـــدِ[1]*

يرثي **صخر الغيّ** ابنه **تليدًا**، ونلاحظ أنّ هذه المقطوعة ملأى بمشاعر حزن الأب تجاه ابنه الفقيد، إذ يبدأها **صخر الغي** ببكاء أنثى القمري في سبلل، فلا تقوى على النوم، ولا تترك الناس ينامون ليلهم من شدة البكاء.

ليُنطِقَها **صخر الغي**، وتسأله عن فرخها، وليسألها بدوره عن ابنه تليد، ويجيبها بأنّ ابنها "**ساق حُرّ**" قد غاب مع قوم ثمود الغابرين، فلن تقفَ له على أثرٍ، فتخبره النائحة بدورها بأنّه (أي **صخر الغي**) لن يكحّل عليه برؤية ابنه أبد الدهر.

ليخلص الشاعر أنّه والقمريّ قد أجاب كلّ واحد منهما عن سؤال الآخر إجابة تحملُ اليأس واستحالة لقاء الابن المفارق، ليبقى القلب متعلّقًا بالغائب أبدَ الدهر.

ويعبّر الليل، هنا، عن المؤنس في حال الحزن الشديد الذي ألمّ بالشاعر، ورغبته في إيصال ألمه وعذابه لفراق ابنه إلى كلّ العالم، فجعل من النائحة معادلًا موضوعيًا له، لتترجم أحزانه وآلامه من هذا الفراق، فبكت طوال الليل حتى أقلقت النائمين وأيقظتهم. وقضّت مضاجعهم.

نخلص مما سبق إلى أنّ الليل عند الشعراء الصعاليك قد تمظهر كثيرًا في أشعارهم، ويمثّل الأنيس الذي يفتقده أثناء بحثه عن الراحة والطمأنينة، كما أنّه يمثّل، أحيانًا، استراحة المحارب الذي يستغل هذا الزمن لاستذكار الأحبة والأيام الخوالي معهم، وهو

---

[1] السّكري، أبو سعيد الحسن بن حسين، كتاب شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستّار أحمد فرّاج، ومر: محمود محمد شاكر، ج1، ص ص293-294.

* **النائحة:** القُمري. **شجاها:** حزنها. **سبلل:** بلد. **تجهنا:** تواجهنا وتقابلنا. **تغادينا:** غدوتُ وغَدَتْ. **سايلتني:** ساءلتني. **بواحدة:** أي فرخها. **تليد:** ابن الشاعر. **ساقُ حُرّ:** ولدها. **تأنيب:** تعيير. **وجدان بعيد:** يبعد عنه وجدانه.

فرصة للتحلي بالحزم والعزم وتجديد النشاط لمواجهة القبيلة وأعارفها الظالمة، للثورة في وجهها وبلوغ المآرب من غنى وسعي نحو الحرية وإثبات الذات. وهو فرصة للشكوى وبث الحزن في زمن ينام فيه الآخر، فالصعلوك ذو أنفة يأبى أن يرى الآخرون أحزانه وآهاته.

في ختام هذا الفصل، نصل إلى أنّ شعر الصعاليك ورد غنيًا بمختلف أنساق الصراع والأنس، إذ إنّ الصباح والنهار واليوم، تمثل الصراع في حياة الصعاليك، وكيف أنّهم يعانون في مواجهة القبيلة التي تحمل معاني الظلم والاضطهاد والتهميش، وكيف أنّهم يصبرون ويثبتون في مواجهتها رغبة في القضاء على نظرة القبيلة الدونية التي تميز أفرادها عن طريق اللون، والنسب والغنى.

أما نسق الأنس في شعر الصعاليك فقد برز من خلال الليل الذي يمثّل السكون والهدوء، فهو الفرصة المواتية ليستذكر فيها الصعلوك أحبته، يبث ليله أحزانه وأشجانه؛ تنفيسًا عن نفسه من الصراع الذي يعيشه إذا ما طلع نور الشمس.

الفصل الثالث

الأنساق المكانية

في شعر الصعاليك

خطة الفصل الثالث

توطئة

1-مفهوم المكان

2-المكان الملجأ

2-1-المرقبة

2-2- الصحراء/القفر

2-3- الجبل

3-مكان المعيشة

3-1- مورد الماء

3-2- البيت

4-أمكنة الحنين

4-1- الطلل

4-2- البحر

5-مكان الصراع

5-1-ميدان المعركة

5-2-الشّعاب والفجاج

5-3- القبر

توطئة

يحتلّ المكان مكانة مهمة لدى الشعراء الصعاليك، لأنه احتواهم بعد رحيلهم من قبائلهم، لما لاقوه من تسلّط واضطهاد وظلم وخلع، فغادرو أماكنهم ويمموا وجوههم نحو أماكنَ جديدةٍ تحفظ كرامتهم، وتساعدهم في مغامراتهم وإغاراتهم على القوافل والقبائل، وسنتناول في هذا الفصل أهم الأنساق المكانية في شعر الصعاليك.

1-مفهوم المكان

إذا ما رُمنا البحث عن مفهوم المكان، وبالرجوع إلى المعاجم العربية، فإننا نجد **ابن منظور** يعرّفه بقوله: «... **المكانُ والمكانةُ واحدٌ. التهذيب: الليث مكانٌ في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ، لأنه موضوع لكينونة الشيء فيه**»[1].أي أنّ المكان هو الموضع أو المحل الذي يشغله الجسم، سواء أكان شيئًا جمادًا، أم كائنًا حيًا من إنسان أو حيوان أو نبات.

أمّا إذا ذهبنا نتتبع مفهوم المكان من الناحية الاصطلاحية، فإنّنا نجدُ المكانَ «**المحيط الذي تتحرك فيه المؤثرات الخاصة والعامة على الشخصيات والأحداث، ويعتمد تركيب تلك الشخصيات من نواحيها الجسدية والفكرية والاجتماعية والخلقية على البيئة أو المكان الذي تعيش فيه هذه الشخصيات** »[2]. أي أنّ المكانَ ما يحيطُ بالإنسان ويؤثّر عليه جسديًا وفكريًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، بمعنى أنّ هناك علاقة مباشرةً بين الإنسان والمكان، فكلّ فعلٍ يفعله الإنسان لا بُدّ أن يحدثّ في مكانٍ مُعيّن.

وقد وردت في شعر الصعاليك أماكن متعددة، تراوحت بين المكان الملجأ، ومكان المعيشة، وأمكنة الحنين، ومكان الصراع. وفيما يلي دراسة لها.

2-المكان الملجأ

اجتهدَ الصعاليك في اختيار الأماكن المناسبة لهم ولظروفهم، فصعوبة الحياة التي عاشوها، وكثرة المغامرات التي كانوا يقومون بها فرضت عليهم اختيار أماكن تساعدهم، وتُسهّل ما كان عسيرًا من أمورهم. فيلجأون إليها حين الحاجة، ومن بين هذه الأماكن: المرقبة، والصحراء، والجبل.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ج13، ص414.

[2] ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمّان (الأردن)، ط1، 2010م، ص117.

2-1-المرقبة:

المرقبة مكان مرتفعٌ عن الأرض، يعتليه الصعلوك ليترقّب من خلاله حال القوافل أو الأشخاص المارّين في منطقة تواجده، بحيث تتيحُ له أمرين «**أحدهُما مراقبة الطريق والمكان المحيط به، والآخر حَصانة المكان بحيث يُتيحُ له التّخفّي عن الأعين**»[1]. أي أنّ المرقبة مكان استراتيجي للصعاليك، يحقق غرضين: أولهما معرفة تفاصيل المكان والمارين به، والثاني حصانته ومنعته عن الأعداء.

ووردت تيمة المرقبة في شعر الصعاليك كثيرًا، ومن ذلك قول **الشنفرى** (من الطويل):

وَمَرقَبَــةٍ عَنقــاءَ يَقصُــرُ دونَهــا أَخو الضِروَةِ الرِجلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ
نَعَبــتُ إِلــى أَدنــى ذُراهــا وَقَــد دَنــا مِــنَ اللَيــلِ مُلتَــفُّ الحَديقَــةِ أَســدَفُ
فَبــتُّ عَلــى حَــدَّ الــذِراعَين مُجــذِيًا كَمــا يَتَطَــوّى الأَرقَــمُ المُتَعَطَّــفُ[2]*

يُقدّم **الشنفرى** صورةً للمرقبة التي اعتلاها، فيصوّرها عاليةً منيعةً، لا يقوى أحد على ارتقائها، حتى الصيّاد المتمرّس، ويختارُ الصعلوكُ الليلَ زمنًا لهذا الارتقاء، فالليل حجاب ساترٌ للعين، ما يمنحُهُ ميزة الاختفاء والاستتار عن أعين الآخرين، الذين يترقّبُهُم وأحوالَ قوافلهم ليغزوهم، فهي مكان يساعده في تنفيذ خطته. وتمُثّل المرقبة تعبيرًا عن علوّ مكانة الصعلوك، ودنوّ قبيلته، فيرى نفسه أعلى شأنًا منها، وتُتيح له النظرة الواسعة والشاملة للحياة، عكس القبيلة (السفلى)، التي يكون مستوى نظرها محدودًا، فتُعاملُ الناسَ في إطار ضيّق مبنيّ على شرف النسب وثراء الشخص.

ويركّز الصعلوك على شرف الفعل، والشجاعة، وعلوّ الهمّة، **فالشنفرى** يختار الليل لهدوئه وسكونه، وثباته على العموم، فالليل ثباتٌ يعبّر به الشاعر عن ثبات موقفه من القبيلة وعدم تغييره.

---

[1] ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د/حسن جبار محمد الشمسي، كلية التربية، جامعة البصرة (العراق)، 1426هـ، ص92.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص53.

* **المرقبة:** مكان المراقبة. **العنقاء:** الطويلة. **يقصر دونها:** يعجز عن بلوغها. **أخو الضّروة:** الصيّاد معه كلابٌ ضراها للصّيد. **الحفيُّ:** غير المنتعل. **نعبتُ:** رفعتُ رأسي. **الأسدف:** المُظلم. **مُجذيًا:** ثابتًا وقائمًا، **المجذي:** الذي ليس بمطمئن. **تطوّى:** استدار والتفّ بعضه على بعض. **الأرقم:** ذكرُ الحيّات أو أخبثها.

ويُطالعنا **تأبط شرا** بتصوير مرقبة **الشنفرى**؛ يقول (من الطويل):

وَمَرقَبَـــةٍ شَـــمّاءَ أَقعَيـــتَ فَوقَهـــا لِيَغـــنَمَ غـــازٍ، أَو لِيُـــدرِكَ ثـــائرُ
وَأَمـــرٍ، كَسَـــدِّ المِنخَـــرَينِ، اِعتَلَيتَـــهُ فَنَفَّســـتَ مِنـــهُ، وَالمَنايـــا حَواضِـــرُ
وَإِنَّـــكَ لَـــو لاقَيتَنـــي بَعـــدَ مـــا تَـــرى وَهَـــل يُلقَـــينَ مَـــن غَيَّبَتـــهُ المَقـــابِرُ؟ !
لَأَلفَيتَنـــي فـــي غـــارَةٍ أَعتَـــزي بِهـــا إِلَيـــكَ، وَإِمّـــا راجِعًـــا أَنـــا ثـــائِرُ[1]*

وردت الأبياتُ في رثاء **تأبطَ شرًا** رفيقَهُ **الشنفرى**، فابتدأها بالحديث عن المرقبة التي كان **الشنفرى** يتخذها برج مراقبة لما يجولُ في مكان تواجده، فهي وسيلة ترقّب؛ إمّا لغزو القوافل والإغارة عليها وسلب أموالها، وإمّا لإدراك ثأره من أعدائه "**بني سلامان**".

ويختار **الشنفرى**، دومًا، المراقب العالية الصعبة الارتقاء، ويخرج منها وينجو والموت محيطٌ به من كل جانب، ومتى ما علم **تأبّط شرًا** بوجود خطرٍ حول **الشنفرى**؛ أسرعَ إليه يناصره ويدعمه ويواسيه في محنته حتى ينجو، وإن لم ينجُ **الشنفرى** فإنّ **تأبّط شرا** آخذٌ بثأره لا محالة.

وتعبّر المرقبة في هذه الأبيات على علوّ همة **الشنفرى** وشجاعته، ومواجهته الأعداء، كما أنه يرتبط بالصعوبات التي يعيشها **الشنفرى**؛ فضيقُ المكان يعني ضيق نفسه ذرعًا بما تكنّه له القبيلة، فهو يحاول التخلّص منها ومن نظرتها الدونية (نفسّت منه)، أي خروجه منها، والمنايا حواضر؛ أي نجاته من الخطر المحدق به.

وقال **تأبط شرا** أيضا (من الطويل):

وَمَرقَبَـــةٍ، يـــا أُمَّ عَمـــروٍ، طِمِـــرَّةٍ مُذَبذَبَـــةٍ فَـــوقَ المَراقِـــبِ عَيطَـــلِ
نَهَضـــتُ إِلَيهـــا مِـــن جُثـــومٍ كَأَنَّهـــا عَجـوزٌ عَلَيهـا هِدمِلٌ ذاتُ خَيعَلِ[2]**

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص82-83.

* **المرقبة:** القمّة من الجبل يعتليها الفاتك ليرقب أحوال من قصد وينبّه أصحابه إلى أحوالهم من غفلة عنهم أو دراية بهم. **أقعيتَ:** من الإقعاء، وهو تَسانُد الرجلِ إلى ظهره. **الثائرُ:** طالبُ الثأر. **كسدّ المنخرين:** الأمر المعور الضيق. **اعتليت الأمر:** تمكّنت منه. **نفست منه:** فرّجت ضيقه وخرجت. **المنايا حواضر:** الخطر مُحدق.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص181.

** **طمرّة:** مرتفعة شاهقة كأنها تثب إلى السماء، من الطّمور وهو الوثب. **مذبذبة:** حادّة شاهقة. **العيطل:** الطويلة السامقة. **جثوم:** من نصف الليل. **الهدمل:** الثوب الخلق. **الخيعل:** قميص بلا أكمام.

يُصوّر **تأبّط شرًا** مرقبته، فيخصّصها بصفات الطول (طمرّة، مُذبذبة، عيطل)، وقد ارتقاها في منتصف الليل، ويشبهها بالعجوز التي ترتدي ثيابًا رثّةً بالية.

وتُعبّر المرقبة عن علوّ نفس الصعلوك ومكانته، فالتهويل والمبالغة في وصف المرقبة الذي قدّمه **تأبّط شرًا** يُترجم ما يراه الصعلوك من تميّزه وعلوّ كعبه في مقابل القبيلة، التي يمثلها الليل المظلم الذي ارتقى فيه الشاعر المرقبةَ. كما أنّ هذه المرقبة وعلوها، كان أسفل الصعلوك، فالشاعر ارتقى العالي والسامي وظهر عليه، وبهذا فهو أفضل أعلى مكانة حتى من المرقبة نفسها. كما أنّ علوّ المرقبة وحدّتها جعلاها ملجأ له، فلا يصل إليه أعداؤه، فهي تمثل مناعًا له منهم، وبالتالي النجاة من كل مكروه قد يصيبه.

كما تحمل المرقبة ها هنا معنى الفقر والمعاناة، ففي قوله: "**علَيها هِدمِلٌ ذاتُ خَيعَلِ**"، تعبيرٌ عن الفقر الذي يعيشه الصعلوك، فالملابس رثة بالية غير مكتملة، لا تحميه حرّ الصّيف ولا قرّ الشتاء. وممّا يُنسب إلى **تأبّط شرًا** قوله (من الوافر):

وَمَرقَبَـــةٍ نَمَيـــتُ إِلـــى ذُراهـــا تُـــزِلُّ الطَيـــرَ مُشـــرِفَةِ القَـــذالِ
عَلَـــوتُ بِرَيـــدِها طَفَـــلاً كَـــأَنّي حِـــوالَ اللُطـــفِ، مَكســـورُ الشَـــمالِ
بِفِتيـــانٍ ذَوي كَـــرَمٍ وَصِـــدقٍ وَهُـــم أَهـــلُ المُعَصَّـــبِ وَالثُمـــالِ
فَـــلا تَتَمَنَّنـــي وَتَمَـــنَّ جِلفًـــا قُراقِـــرَةً هِجَفًّـــا كَالخَيـــالِ[1]*

كعادته، يصوّر **تأبّط شرًا** مرقبةً عاليةً ارتقاها حتى بلغ ذروتها، وهي من شدّة علوّها لا يصلحها الطيرُ، ويعجز عن ذلك، وهي مائلة لا يقوى المرءُ على المغامرة على اعتلائها، وهي مشرفةٌ على ما دونها من الأرض، فتصلُ للترقّب ومشاهدة ما يجول في المكان.

اعتلاها **تأبّط شرًا** قبل غروب الشمس، ليترقّب أحوال المكان وينقل نبأه إلى رفاقه، الكرام الصادقين، الذين هم أهلٌ للسؤدد والقيام بأمور الناس، والإشراف عليهم، فهم أهل

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص252.

***قذال:** معقد سيري اللجام خلف الناصية. **قذَل:** مالَ وجار. **ريد:** الحرف الناتئ من الجبل. **طَفَل:** الوقت قبيل غروب الشمس. **المُعصّب:** رئيس القوم وسيّدهم. **الثُّمال:** من يحمي قومه ويقوم بأمرهم. **جلف:** الأحمق غليظ الطبع. **قراقرة:** صوت الرجل المجهور الحاد؛ صوت الفحل فيه شقشقة إذا هدَر. **هِجَفًا:** صوت الرعد الشديد. **ريد:** الحرف الناتئ من الجبل.

السيادة والشرف. ويطلب ممن يخاطب أن يتركه، ويذهب باحثًا عمّن تتوافر فيه صفات الحمق والغلظة وخشونة الصوت.

وتحمل المرقبة في الأبيات السابقة، تعبيرًا عن علوّ الشأن والهمّة ودنوّ مكانة الآخر (المهجو)، وأنّ صفات الصعاليك أفضل بكثير من صفات سواهم، فهم أهل السيادة، والكرم، والصدق، والشجاعة، والخفّة والنّشاط، لا يهابون الليل، ولا يخشون من يلقاهم أثناءه، بالإضافة إلى صغر سنهم، فهم فتيان، لا شيوخ وعجائز.

بالإضافة إلى أنّ المرقبة تمثّل الملجأ الذي يقصده الصعلوك متى ما ضاقت به السبل، فهي المكان الآمن الذي لا يقوى غيره على بلوغه، وبالتالي حفظ نفسه وحياته من الهلاك.

وقال **تأبط شرا** أيضًا (من البسيط):

وَقُلَّـــةٍ كَسِـــنانِ الـــرِمحِ، بـــارِزَةٍ، ضَحيانَةٍ، في شُهورِ الصَيفِ مِحراقِ
بـادَرتُ قُنَّتَهـا صَحبي، وَمـا كَسِلوا، حَتّـــى نَمَيـــتُ إِلَيهـــا بَعـــدَ إِشـــراقِ
لا شـيء فـي ريـدِها، إِلا نَعامَتُهـا؛ مِنهـــا هَـــزيمٌ، وَمِنهـــا قـــائِمٌ بـــاقِ
بِشَـرثَةٍ خَلَـقٍ، يـوقى البَنـانُ بِهـا، شَـدَدتُ فيهـا سَريحاً بَعدَ إِطراقِ[1]*

ينقُلُ **تأبط شرًا** خبرَ إحدى مغامراته في الصحراء، فيصوّر لنا قُلة عاليةً، حادةً كالرمح، ظاهرة للشمس فتصيبها حرارتها، ولأنّ الفصل صيفٌ فهي مُحرقةٌ من يعتليها.

ولعلو همّة **تأبّط شرًا**، فإنه يبادرها وصحبَهُ، فيرتقيها دون كسل أو تردد، ويصل إلى قمتها ليجدها خاوية إلا من خشبات أُتخِذَت مستظلًا من حرارة الشمس، لكنها ليست قائمة تفيد في ذلك؛ إذ هي بين ساقط وقائم. وذكر الصعلوك وسيلته المساعدة لبلوغ هذه القمة،

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص138-140.

* **القلة:** أعلى الجبل. كسنان الرمح: يصف دقتها لطولها وصعوبة صعودها. **ضحيانة:** بارزة للشمس. **محراق:** يُحرقُ من فيها. **الريد:** حرف الجبل المشرف على الهواء. **النعامة:** خشبات يُشَدُّ بعضها إلى بعض وتستظل بها الطلائع في القلال إذا اشتدّ الحرّ. **الهزيم:** المتكسر المتقطّع. **الشرثة:** النعل الخلق المهترئ. **البنان:** أطراف الأصابع. **السريح:** القِدّ، أي الشريط من الجلد المجدول تُشَدّ به النّعال. **الإطراق:** أن يُجعَل تحت النعل مثلها إذا بليت.

وهي نعله المهترئة، التي شدّ سيورها لئلا تتمزق أكثر، ودعمها بنعلٍ أخرى، حتى يقوى على بلوغ القمة.

وتعبّر المرقبة على علوّ همّة الصعلوك، الذي لم يأبه لما يواجهه من عقبات تحول دون تحقيق مبتغاه، فارتفاع القُلّة وحرارة الشمس، والنعل المهترئة، في أصلها، لا تُعين على بلوغ المآرب، لكن إصرار **تأبّط شرًا** وإقدامه هوّن عليه هذه المصاعب، لكي يبلغ قمتها فيلجأ إليها للاستتار وترقب أحوال المارين تحتها من أشخاص وقوافل.

كما يشكّل وجود صحبه دافعًا معنويًا قويًا، ينبئ عن الاشتراك والمساندة في الوقوف في وجه الشدائد والمصاعب، كما ترتبط بحالة الفقر التي يعيشها **تأبّط شرا** ومن معه من صعاليك، إذ إنّ الرّجل استعان بنعل مهترئة لا يملك سواها، ولو تمزّقت لأصبح في ورطة، كيف لا؟، وهو يجوب الصحراء الحارة المُحرقة، وما تحويه من عقارب وأفاعٍ قد تلدغه وتلسعه في أيّ لحظة، ما يجعله أمام الموت المؤكّد الذي لا مفرّ منه.

ويذكر **تأبّط شرا** أصحابه، ما يُعبّر عن إيمانه بجماعته، وسيادته وتزعمه أمرهم، فهو القائد الذي يواجه المخاطر والمهالك لتحقيق الغاية المنشودة، عكس زعماء القبائل الذين يبقون في بيوتهم وخيامهم، ويسدون الأوامر للفرسان بغية الدفاع عنهم وعن أموالهم، في مقابل الصعلوك القائد الذي يواجه الخطر بنفسه، ويدافع عن الآخرين، فشتّان بين هذا وذاك.

وبناءً عليه، تعبّر المرقبة عن علوّ مكانة الصعاليك مقارنةً بالقبيلة (الدونية)، فالصعاليك يرومون ارتقاء الصعب، وإثبات ذواتهم، والتميّز والتّفرّد بصفات الشجاعة، والصبر، والإصرار، والعزم، ففي هذا يتميزون على القبيلة وحاكميها المتنعمين المترفين. واتخاذ المراقب العالية مكانًا للترقّب يعبّر عن النظر الشاملة والواسعة للحياة التي يتميّز بها الصعاليك، في مقابل النظرة الجزئية أو المحدودة التي تنظر بها القبيلة. كما أنّ المرقبة ملجأ حصين يلجأ إليه الصعلوك للراحة بعيدًا عن أعين أعدائه، بالإضافة إلى الاستتار عن أعين الفرسان وحراس القوافل إذا كان يخطط وصحبه للسطو عليها.

2-2- الصحراء/القفر

الصحراء، ذلك الفضاء الواسع الممتد، القفر الخالي، المعروف بقلّة الماء، والحرارة الشديدة، تحمل في طياتها معاني المعاناة والشدة، والحيوان المفترس، والصراع فيه على البقاء في أوجّه، من دخلها لم يضمن السلامة والبقاء، ومن خرج منها كُتبت له الحياة والعمر الجديد. وقد يخطر على ذهن المتلقي أنّها كلها كذلك، لكن فيها بعض مظاهر الحياة، من واحات وآبار، وموارد ماء، على قلّتها تمنح الحياة للمارّ بها، فهي موطن المفارقة، فإمّا حياة، وإمّا موت.

ولعلّ السّبب الذي حَمَل الصعاليك على الخروج إلى الصحراء وعدّها مكانًا مناسبًا لممارسة نشاطهم الصراعُ الاجتماعي الذي انطوى على أحداث وممارسات قبلية صارمة، هيّأ لهم الجانبُ الاقتصادي، وسعةُ مساحة البادية، الجوَّ المناسبَ لممارسة النشاط المضاد للواقع القبلي. وهكذا اختار الصعاليك مجاهل الصحراء مسرحًا لعمليات الغزو والإغارة والسلب والنهب خارج حدود الالتزام القبلي، بما أمّن لهم وجودًا مكانيًا يُتيحُ لهم ممارسة أنشطتهم التي اختاروها لأنفسهم[1].

ويزخر شعر الصعاليك، على تعددهم، بتيمة القفر، ومن ذلك قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

كَليلَـةِ شَـيباءَ الَّتـي لَسـتَ ناسِـيًا، وَلَيلَتِنـا، إِذ مَـنَّ، مـا مَـنَّ، قِرمِـلُ
أَقـولُ لَـهُ: يـا مـال ! أُمُّـكَ هابِـلٌ، مَتـى حُبِسَـت عَلـى الأَفَـيَّحِ تُعقَـلُ
بِدَيمومَـةٍ، مـا إِن تَكـادُ تَـرى بِهـا، مِـنَ الظَمَـإِ، الكَـومَ الجِـلادَ تُنَـوَّلُ[2]*

---

[1] ينظر، عامر أحمد إبراهيم، سلوى جابر عبد اللطيف، المكان عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي –المكان في شعر الصعاليك الصحراء نموذجًا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل (العراق)، مج12، ع2، 2012م، ص106.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص93.

* **ليلة شيباء:** الداهية. **قرمل:** فرس عروة. **يا مال:** نداء فيه ترخيم ليا مالك. **الهابل:** الثاكل. **الأفيح:** اسم موضع. **تعقل:** تحبس. **الديمومة:** الفلاة الشاسعة. **الكوم:** مرفدها كوماء على وزن فعلاء، وهي الناقة الضخمة. **الجلاد:** مفردها جليد، على وزن فعيل وهي صيغة مبالغة. **تنوّل:** تعطي نوالًا، أي لا تدرّ بلبنها.

وردت الأبيات في قصيدة مطوّلة **لعروة** يذكر فيها نُكران قومه له بعد إغارته على إبل رجل يملك منها مئة، فأخذ إبله وامرأته وقتله، وجعل **عروة** لقومه نصيبًا لكل واحد منهم، لكنهم أبوا إلا أن يقتسم المرأة معهم، ورفضوا حتى أن يُبدلهم المرأة براحلة، فما كان منه إلا أن تنازل عن راحلةٍ من نصيبه حتى يتركوا له المرأة[1].

ورد القفر ليعبّر عن الجفاء الذي لقيه **عروة** من قومه، وعن خلوّ العلاقة التي تربطه بهم من معاني الإيثار والكرم والأخوة، فمَن لم يتنازل لعروة لا يستحقّ أن يكون أهلًا لقرابته وصحبته. وآلم عروةَ هذا الموقفُ من أصحاب الكنيف، فورد القفر حاملًا معاني الظمإ وجفاف ضرع الناقة، ما يعني غياب الحياة والألفة والدفء الذي يصبو إليه **عروة**.

ويبقى الرفض والإعراض سمةَ القبيلة في معاملة الصعاليك؛ فها هو **السليك بن السلكة** يقول في بائيته (من الطويل):

بَكى صُردٌ لَمّا رَأى الحَيَّ أَعرَضَت مَهامِهُ رَملٍ دونَهُم وَسُهوبُ
وُخَوَّفَهُ رَيبِ الزَمانِ وَفَقرُهُ بِلادَ عَدُوٍّ حاضِرٍ وَجَدوبُ
وَنَأيٌ بَعيدٌ عَن بِلادِ مُقاعِسٍ وَإِنَّ مَخاريقَ الأُمورِ تُريبُ
فَقُلتُ لَهُ: لا تُبكِ عَينَكَ إِنَّها قَضِيَّةُ ما يُقضى لَنا فَنؤوبُ
سَيَكفيكَ فَقدَ الحَيِّ لَحمُ مَغَرَّضٌ وَماءُ قُدورٍ في الجِفانِ مَشوبُ[2]*

يرتبط القفر في الأبيات السابقة بالخذلان والبحث عن الملجأ البديل، **فصُرد** صاحب **السليك** تُركَ وحيدًا من قومه في مكانٍ قفر لا نبات فيه، تركوه ليقتله أعداؤه، فلم ينصروه ولم يقفوا إلى جانبه، بل تركوه وحيدًا بعيدًا عن قومه وأهله وبلاده، فاتخذ من القفر بديلًا عن القبيلة الظالمة. وينهى **السليك صردًا** عن البكاء، فمحنتهما ستمضي، ويخرجان منها منتصرين، ويعلمُه أنّ لحمًا طريًّا مُتبّلًا سيكفيه أهله وينسيه إياهم، فقطعة اللحم تلك خيرٌ ممن تركه وخذله ونساه.

---

[1] ينظر، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص91.

[2] السليك بن السلكة –أخباره وشعره، ص ص44–45.

* **صرد:** رجل من بني حرام صحبه السليك بعد أن انصرف عنهما أصحابهما. **المهامه:** القفار الملساء التي لا نبات فيها. **مقاعس:** جدّ السليك، واسمه الحارث بن عمرو، وسمي مقاعسا لتقاعسه عن الحرب. **الصّرب:** اللبن الحامض. **المغرّض:** الطّريّ. **مشيب:** مخلوط بالتوابل والصباغ.

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

وَخَـرقٍ كَظهـرِ التُّـرسِ قَفـرٍ قَطَعتُـهُ بِعــامِلَتَينِ، ظَهــرُهُ لَــيسَ يُعمَــلُ
وَأَلحَقــتُ أولاهُ بِـــأُخراهُ موفِيًــا عَلــى قُنَّــةٍ أُقعــي مِـرارًا وَأَمثُــلُ
تَـرودُ الأَراوِيَ الصُـحمُ حَـولِي كَأَنَّهـا عَذارى عَلَـيهِنَّ المُـلاءُ المُـذَيَّلُ[1]*

يصف **الشنفرى** إحدى القفار التي قطعها، فهي أرض مستوية خاوية على عروشها لا أثر للناس فيها، ممتدّة على حدّ البصر، قطعها بسرعته المعهودة، وتراوحت مغامرته بين السّير حينًا، وبين الاستراحة قعودًا حينًا آخر.

لا مؤنسَ له سوى الأراوي التي تسكن المكان، **فالشنفرى** استغنى عن البشر، وجفّت مشاعره نحوهم فأبدلهم بعالم الحيوان، الذي يعاني معاناته، فاتخذوا القفر والصحراء ملجأ بعيدًا عن البشر الظالمين، وقال في موضع آخر (من الرجز):

لا تَبعَـدي إِمّـا هَلَكـتِ شـامَهْ
فَـــرُبَّ وادٍ نَفَّـــرَت حَمامَـــهْ
وَرُبَّ خَـــرقٍ قَطَّعَـت قَتامَـــهْ
وَرُبَّ قِــرنٍ فَصَـلَت عِظامَـــهْ
وَرُبَّ وادٍ جـــاوَزَت أَعلامَـــهْ
وَرُبَّ شَـــهرٍ عَبَـرَت أَيّامَـــهْ
وَرُبَّ قَفـرٍ قَـد عَلَـت آكامَـــهْ
وَمُضــمَرٍ قَــد أَلَكَـت لِجامَـــهْ

(1) ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص72.

* **الخرق:** الأرض الواسعة تتخرّق فيها الرياح. **كظهر التّرس:** أي أنها مستوية. **قفر:** خالية، مقفرة، ليس بها أحد. **العاملتان:** رجلاه. **ليس يُعمل:** ليس ممّا تُعمل فيها الركاب. **ألحقت أولاه بأخراه:** جمعت بينهما بسيري فيه، قطعته. **موفيًا:** مشرفًا. **القُنّة:** أعلى الجبل، مثل القلّة. **الإقعاء:** أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويتساند ظهره. **أمثل:** أنتصب قائمًا. **ترود:** تذهب وتجيئ. **الأراوي:** جمع الأروى، وهي أنثى التّيس البرّي. **الصُّحم:** جمع أصحم للمذكّر، وصحماء للمؤنث، وهي السوداء الضارب لونها إلى الصّفرة، وقيل الحمراء الضارب لونها إلى السواد. **الملاء:** نوع من الثياب. **المُذيّل:** الطويل الذّيل.

وقَطَعَت مِن جَريِـهِ حِزامَـهْ[1]*

وردت الأبيات في موضع قبض **بني سلامان** على **الشنفرى** وأسره، بعد أن قتلَ اثنين كانا يرومان الإيقاع به، فضربه واحدٌ من القومِ بالسيف على يده، واضطربت ولم تُقطع، وكانت بها شامة[2]. وأنشد **الشنفرى** هذه الأبيات افتخارًا بنفسه، وذاكرًا مغامراته، ويظهر الفقر ليعبّر عن الأماكن التي جابها **الشنفرى**، وما لقي فيها من الوحوش والأعداء، وكذا الجوع الذي ألمّ به، كلّ هذا وليس ما يعينه غير فرسٍ هزيل نحيف، نال منه الجوع والتعب كصاحبه.

وقال **تأبط شرا** (من الطويل):

وَوادٍ كَجَوفِ العَيرِ، قَفرٍ، قَطَعتُهُ، بِهِ الذِئبُ يَعوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ
تَعَدّى بِزَيزاةٍ، تَعِجُّ، مِنَ القوا، وَمَن يَكُ يَبغي طُرقَةَ اللَيلِ يُرمِلِ
فَقُلتُ لَهُ، لَمّا عَوى،:إنّ "ثابِتًا" قَليلُ الغِنى إن كُنتَ لَمّا تَمَوَّلِ
كِلانا إذا ما نالَ شَيئًا أَفاتَهُ وَمَن يَحتَرِث حَرثي وَحَرثَكَ يُهزَلِ
كِلانا طَوى كَشحًا عَنِ الحَيِّ بَعدَما دَخَلنا عَلى كِلابِهِم كُلَّ مَدخَلِ
طَرَحتُ لَهُ نَعلاً مِنَ السِّبتِ طَلَّةً خِلافَ نَدًى مِن آخِرِ اللَيلِ مُخضِلِ
فَوَلّى بِها جَذلانَ يَنفُضُ رَأسَهُ كَصاحِبِ غُنمٍ ظافِرٍ بِالتَمَوُّلِ[3]**

يسرد **تأبط شرا** إحدى مغامراته التي خاضها، والوحوش التي لاقاها، والأماكن الوعرة التي جابها، ومن هذه الأماكن القفرُ، فيذكر في هذه الأبيات وادًا مقفرًا قطعه، وفي هذا الوادي تتواجد الذئاب وتتخذه مأوى لها، ومنها ذئب لقيه **تأبط شرا** بنفسه؛ وكان هذا الذئب

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص75.

* **الخرق:** الأرض الواسعة التي تتخرّق فيها الرياح. **القتام:** الغبار الأسود. **القرن:** من يقاومك. **الأعلام:** جمع العَلَم، وهو شيء يُنصب ليُهتدي به، **والعلم:** الجبل أيضًا. **القفر:** الأرض لا ماء فيها ولا عشب ولا بشر. **الآكام:** جمع أكمة، وهي التلّ. **المضمر:** الفرس الضامر، أي القليل اللحم. **ألكت:** علكت ومضغت.

[2] ينظر، شعر الشنفرى الأزدي، تح: أحمد محمد عبيد، ص123.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص182-185.

** **المعيّل:** كثير العيال. **الزيزاة:** الأرض الغليظة. **تعجّ:** تُصوّتُ، يتردد فيها الصوت لخلوها. **القوا:** الخلاء، القفر من الأرض. **يُرمل:** يقلّ زاده وينفد. **طوى كشحًا:** انصرف. **الكلّاب:** صاحب الكلاب الذي يقوم على أمرها والحراسة بها. **السّبتُ:** الجلدُ المدبوغ. **الطّلّة:** الشربة من اللبن أو الخمر. **الخضل:** البلل الخفيف. **جذلان:** فرح.

يعوي كخليعٍ ذي عيالٍ، نال منه التعب والجوع، فما كان من **تأبط شرا** إلا أن خلع نعله الطرية من ندى الليل وسلمه إياها، فظنها الذئب قطعة لحم، فأخذها فرحًا بغتيمته.

ويرتبط القفر هنا بالمعاناة التي يعانيها الصعلوك من جوع وتعبٍ وبُعد عن الديار وخلعٍ، بالإضافة إلى اتخاذه ملجأ بديلًا عن قبيلته، التي لولا خلعها إياه لكان بين أهله ينعم بالراحة والسكينة والدفء.

وقال **عروة بن الورد** (من الطويل):

يُطاعِنُ عَنها أَوَّلَ القَومِ بِالقَنا، وَبيضٍ خِفافٍ، ذاتِ لَونٍ مُشَهَّرِ
فَيَومًا عَلى نَجدٍ وَغاراتِ أَهلِها، وَيَومًا بِأَرضٍ ذاتِ شَتٍّ وَعَرعَرِ
يُناقِلنَ بِالشُمطِ الكِرامِ، أُولى القُوى، نِقابَ الحِجازِ في السَريحِ المُسَيَّرِ[1]*

تمثّل الأبيات الثلاثة جزءًا من رائية **عروة** الشهيرة، والتي مطلعها:

أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا بنتَ مُنذِرٍ، وَنامي، وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ، فَاسهَري[2]

يذكر **عروة** كيف يكون في الصف الأول للقتال، فيواجه العدوّ مباشرة، دون خوفٍ، ويضرب بالرمح والسيف، وكيف تكون غاراته على نجدٍ والحجاز، ولا يمارس **عروة** صعلكته وغزوه وإغاراته على القوافل والقبائل في الأماكن الآهلة فحسب؛ بل يمارسها كذلك في القفر الذي لا بشر فيه، ولا نبات غير الشتّ والعرعر الذي ينبت في الصحراء الخالية.

ويُعبّر القفر في الأبيات السابقة عن شجاعة **عروة** وصعلكته، فلا يهمه المكان بقدر ما يهمه تحصيل قوته، وقوت غيره ممن يعيلُ من الفقراء والمعدمين. والقفر هو المكان الغني الذي يلجأ إليه عروة بحثًا عن الغنى بدلًا من قبيلته البخيلة.

وبناءً عليه، نصل إلى أنّ الصحراء/القفر يُعبّر عن المعاناة النفسية التي يعانيها الصعاليك جرّاء الخلع والاستبعاد الذي فرضته عليهم القبيلة، فاستوحشوها وخرجوا إلى

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص69.

* **شت وعرعر:** نوعان من الشجر. **يُناقلن:** المناقلة اتّقاء النقل، والنقل حجارة صغيرة تكون في هذه النقاب. **النقاب:** الطرق في الجبال. **السريح:** واحدته سريحة: وهي كلّ قدّة قدت سيرًا يشدّ بها النعال. **المسير:** الذي جعل سيرًا.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص67.

القفر، ذلك المكان الرّحب الفسيح الذي يلجأون إليه فيحسّون فيه بحريتهم بعيدا عن أصفاد القبيلة وأغلالها.

كما أنّ الصعاليك في القفر يصاحبون الوحوش، التي يعاني أكثرها كمعاناتهم، فتراهم جياعًا هُزّلًا.

بالإضافة إلى ما سبق؛ يعبّر القفر عن الشجاعة التي يتّصف بها الصعاليك، فلا يقوى أيّ فارس على قطع القفر، أو التواجد فيه حتى، لأنه مليء بشتى أنواع الوحوش والأفاعي والغيلان... وهذه الكائنات لا تقبل أن يتواجد في مكانها شخص عادي، فهي لا تألف إلا الصعاليك المخلوعين الشجعان.

2-3- الجبل

تُمثّل الجبالُ مكانًا مُهمًا في شبه جزيرة العرب، فهي من أهمّ مكوّناتها الجغرافية، ومعالمها الطبيعية، ولعلّ أشهر الجبال وأعلاها ارتفاعًا جبالُ **السّراة**، التي تشكّل سلسلةً تمتدّ من اليمن إلى الشام، وتبرز في ذراها مراقبُ عاليةٌ اتخذها الصعاليك ملجأ يلجؤون إليه للراحة أو التخفي[1].

وتحدّث الشعراء الجاهليون عن الجبال في شعرهم، وأوردوا كثيرًا من أسمائها، وحضرت بدورها في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **تأبّط شرًا** (من الطويل):

فَما كانَ بِدعًا أَن يُصابَ، فَمِثلُهُ أُصيبَ، وَحُمَّ المُلتَجونَ الفَوادِرُ
قَضى نَحبَهُ مُستَكثِرًا مِن جَميلِهِ، مُقِلا مِنَ الفَحشاءِ، وَالعِرضُ وافِرُ
يُفَرِّجُ عَنهُ غُمَّةَ الرَوعِ عَزمُهُ، وَصَفراءُ مِرنانٌ، وَأَبيَضُ باتِرُ
وَأَشقَرُ غَيداقُ الجِراءِ كَأَنَّهُ عُقابٌ تَدَلّى بَينَ نيقَينِ كاسِرُ
يَجُمُّ جُمومَ البَحرِ طالَ عُبابُهُ إِذا فاضَ مِنهُ أَوَّلٌ جاشَ آخِرُ[2]*

---

[1] ينظر، نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت (لبنان)، ط1، 1970م، ص23.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص81-82.

* **حُمّ:** قُدّر وقُضيَ. **الملتجون:** من لجأ إلى الجبل وتحصّن به. **الفوادر:** جمع فادر، وهو الجليل من الأروى في أعالي الجبال. **صفراء مرنان:** القوس الشديدة المُرنّة بوترها المفتول. **الأشقر:** يعني فرسا. **غيداق** الجراء: شديد الجري واسعه. **نيقين:** مفرده نيق، هو الموضع الأعلى بالجبل. **جُموم البحر:** هياجه وعلو أمواجه. **جاش:** هاج واضطرب.

تنتمي الأبيات إلى رائية **تأبط شرا** في رثاء **الشنفرى**، فيذكر مناقبه ويعدّدها، فيُعلمنا أنّ **الشنفرى** قد مات وهو جواد كريم، قليلُ فعل السوء وعرضه شريف وسمعته طيبة.

كما يُخبرنا عن سلاحه وعُدّته في القتال، بادئًا بعزمه وحزمه، ثم قوسه الصفراء، وسيفه الحادّ، ليقدّم لنا بعدها صورة حصانه الذي يركبه في غزواته وإغاراته، فحصانه سريع الجري واسعه، حين ينطلق راكضًا كأنه العقاب الجارح بين قمتي جبلين عاليين يهبط بسرعة للانقضاض على فريسته، كما أنّ الشنفرى حين يغضب يُشبه البحر في هيجانه، فيرغد ويزبد ويحطّم كلّ ما يلقاه في طريقه.

ويعبّر الجبل في هذه الأبيات عن عزّة الصعلوك وشموخه وكبريائه، فنفسه عالية كالجبل الذي يلجأ إليه فلا يستطيع أيّ أحدٍ وصولها أو النيل منها، فمهما علا الآخرون فلن يبلغوا علوّه وكرامته وعزّة نفسه.

كما يُعبّر عن صفةٍ أخرى من صفات الصعاليك، وهي الشجاعة والثبات في المواقف الصعبة؛ ثباتهم كالجبال الراسيات لا يتزعزع أو يتغيّر مهما وقع. كما أنةّ يشي باللجوء إلى إليه متى ألمّت الملمّات، فهو معينه عليها حين تخلت عنه القبيلة.

ونجد الجبل عند **عروة بن الورد** في قوله (من الطويل):

أَبلِــغ لَــدَيكَ عــامِرًا إن لَقيتَهــا، فَقَــد بَلَغَــت دارُ الحِفــاظِ قَرارَهــا

رَحَلنـا مِنَ الأَجبـالِ، أَجبـالِ طَـيِّءٍ، نَسـوقُ النِسـاءَ عوذَهـا وَعِشـارَها

تَـرى كُـلَّ بَيضـاءِ العَـوارِضِ طَفلَـةٍ، تغـرى، إذا شـالَ السِـماكُ، صِـدارَها

وَقَـد عَلِمَـت أَن لا اِنقِـلابَ لِرَحلِهـا، إِذا تَرَكَت، مِن آخِرِ اللَيلِ، دارَها[1]*

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص76.

***دار الحفاظ:** من المحافظة على الحسب والحزم. **قرارها:** مستقرها. **عوذها وعشارها:** هذان مثلان وهما في الإبل، والواحد **عائذ:** وهي الحديثة النتاج. **العشار:** التي قد قربت على الوضع. **العوارض:** من الأسنان الضواحك. **الطفلة:** الناعمة الرخصة الرطبة. **تغرى:** تشق صدارها إذا شال السّماك؛ أي إذا ارتفع النجم. **الصّدار:** شيء تلبسه المرأة على صدرها وقد يكون مشد الصدر.

يُصوّر **عروة** في الأبيات كيف أنّه وقبيلَتهُ "**عبس**" أغاروا على "**بني عامر**"، وكيف نزلوا من جبال طيءٍ وساقوا نساءَها؛ عذارى وحوامل مُرضعات، ساقوهن وسبوهن، وكانت النساء يشققن ثيابهن من هول ما حصل لهن، ليُبيّن أنّ الغارة قد وقعت آخر الليل.

ويُعبّر الجبل في المقطوعة السابقة عن الكبرياء والشرف الذي يتمتّع به **عروة**، فقد رفض أن تتعرّض قبيلته "**عبس**" للضيم والإغارة من طرف **بني عامر**، فقرّر الإغارة عليهم والثأر منهم لاسترجاع كرامة أهله.

كما يعبّر عن الرابطة القوية التي تربط **عروة** بقومه، فهو رغم صعلكته وخروجه على قبيلته آزرها وقت شدّتها، فحبُّه لها ثابتٌ ثبات الجبال، ونزوله من الجبل يحمل معاني الغضب والهياج، فالجبل دومًا عالٍ، ومتى ما انقضّ دمّر ما كان أسفله، وكذلك **عروة**، متى ما تعرّض لتهديد شموخه حطّم كل ما اعترضه. كما أنّ الجبل ها هنا يمثّل الملجأ الذي يعين عروة على تخطي الصعاب، فقد جعله وسيلة تساعده على بلوغ مأربه.

نخلص مما سبق، إلى أنّ الجبل يعبّر عن الشموخ والكبرياء الذي يتحلّى به الصعاليك في دفاعهم عن شرفهم وأنفسهم، والإعلاء منها، وكلّ ما يهدّد هذا يتعرّض لشتّى أنواع العقاب والتدمير، كما أنّه يُعبّر عن الثبات في وجه الصعاب، والحصانة من كل مكروه، وملجأ بديلا عن المكان الأول (القبيلة) الذي حُرم منه الصعلوك.

3-مكان المعيشة

تتعدد الأماكن في حياة الإنسان، ومن أهمها الأماكن التي تمثل مقرًا له ولمعيشته، وتتميز عادةً بتوافر مستلزمات الراحة والسكينة، بالإضافة إلى متطلبات حياته من طعام وشراب، ومن هذه الأماكن: مورد الماء، والبيت.

3-1- مورد الماء

يُعدّ الماءُ السلعة الأندر، والثروة الأغلى والأكثر طلبًا في صحراء العرب، ولأجله وقعت الحروب، وأريقَت الدماء، وأزهقت الأنفس والأرواح[1]، وبخاصة زمن الصيف،

[1] ينظر، أحمد حسين العباس، الزمن في أشعار الصعاليك الجاهليين والمخضرمين، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: غيثاء قادرة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سورية 1440هـ-2018م، ص35.

حيث يكثر العطش والجفاف؛ فيصير الإنسان والحيوان أشدّ حاجة إليه، فيدفع النفس والنفيس في سبيل الحصول عليه، لذا، سعت القبائل لبسط سيطرتها على موارد الماء ضمانًا لحياتها وحياة أنعامها حتى لا تنفق عطشًا.

ويرمز الماء إلى الحياة والتجدد بسبب قدرته على تنقية الأرواح وترطيب الأرض والمحافظة على الحياة. ويمكن أن يرمز الماء أيضًا للحزن والألم إذا تم توظيفه في سياق البكاء أو الحزن، كما يمكن أن يستخدم كرمز للكتمان والصبر.

وفي بعض الأحيان، يتم توظيف الماء للتعبير عن المستقبل والأمل، إذ يتم تصويره على أنه الرحم الذي يتجدد فيه أفراد الجنس البشري ويتجهون نحو مستقبل مشرق. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يمكن توظيفه بصفته رمزًا للتوازن والتناغم بين جميع عناصر الطبيعة والكون.

ويسرد **الشنفرى** إحدى مغامراته على رهو الماء، وقد التقى بأعدائه، يقول (من الطويل):

دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني ... سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ
خَرَجنا فَلَم نَعهد وَقَلَّت وَصاتُنا ... ثَمانِيَةٌ ما بَعدها مُتَعَتَّبُ
سَراحينُ فِتيانٌ كَأَنَّ وُجوهَهُم ... مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ
نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحًا وَقَد طَوَت ... شَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ
ثَلاثًا عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا ... عَلى العَوصِ شَعشاعٍ مِنَ القَومِ مِحرَبُ
فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا ... وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ
فَشَنَّ عَلَيهِم هِزَّةَ السَيف ثابِتٌ ... وَصَمَّمَ فيهِم بِالحُسام المُسَيَّبُ
وَظَلَتُ بِفِتيانٍ مَعي أَتَّقيهُمُ ... بِهِنَّ قَليلاً ساعَةً ثُمَّ خُيَّبوا
وَقَد خَرَّ مِنهُم رَاجِلانِ وَفارِسٌ ... كَمِيٌّ صَرَعناهُ وَقَرمٌ مُسَلَّبُ[1]*

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص27-28.

***أُغيّب:** أُدفن. **ثمانية:** ثمانية أشخاص وهو عددهم. **قلّت وصاتنا:** لم نعهد. **سراحين:** ذئاب. **رهو الماء:** الماء المجتمع في المكان المنخفض. **ثمائل:** بقايا الطعام والشراب في البطن. **ظن مغيّب:** لا وجود له. **ثلاثا:** ثلاثة أيام. **العوص:** بطن من بجبلة. **شعشاع:** طويل حسن. **محرب:** صاحب الحرب المدرب عليها. **السواد:** الظلمة. **هجهجوا:** صاحوا. **المثوّب:** الراجع، العائد. **صمّم بالسيف:** مضى إلى العظم وقطعه. **ظلت:** ظللتُ. **الكمي:** الشجاع، واللابس السلاح. **القرم:** السيّد، العظيم. **المُسلّب:** المُلقى.

يُخاطبُ **الشنفرى** عاذلته، ويُخبرها بأنّ المرء يموتُ مرّةً واحدة، ثمّ يذهب في سرد خبر مغامرته والصعاليكَ، وكيف أنهم خردوا دون أن يوصوا بأهلهم مدة ثمانية أيام، ومرّوا برهو ماءٍ دون أن يكون معهم زاد أو طعام، وقد بقوا على هذه الحال ثلاثة أيام.

وحين كانوا برهو الماء خرج لهم أفراد من قبيلة العوص يريدون قتل **الشنفرى** ومن معه، فأخذوا يصرخون ويهجمون، فلم يخف الصعاليك أو يصيبهم الوجل، بل أخذوا يردون الهجمة على العوص، فيذكر **الشنفرى** كيف أن **ثابتًا** "**تأبط شرًا**" نزل فيهم بسيفه ضربًا وتقطيعًا، وكيف أنّ المسيّب مضى فيهم دون تردد ولا انثناء، وظلّ **الشنفرى** مع الصعاليك يتّقون ضربات العوص ويدافعون عن أنفسهم بكلّ شجاعة، حتى نالوا منهم.

ومن نتائج المعركة أن قُتلَ من العوص راجلان وفارس، كان هذا الأخير ضخم الجثّة، فتركوه مُلقًى على الأرض لتنهشه الذئاب أو تقتات منه الغربان.

ويعبّر الماء عن الحرب التي كان يشنّها العرب على بعضهم لأجل هذه المادة الحيوية، فالعوص رأت أن تنصب شركها للصعاليك عند مورد الماء، لأنها تعلم أنّ الناس في حاجة إلى الماء، ولا يستطيعون الاستغناء عنه، فهو أضمن مكان للقاء الصعاليك، لأنّهم في حاجة كغيرهم إلى الماء الذي يحفظ أنفسهم من الموت عطشا.

وقال **الشنفرى** أيضا (من الطويل):

وَتَشرِبُ أَسآرِيَ القَطا الكُدرُ بَعدَما ... سَرَت قَربًا أَحناؤُها تَتَصَلصَلُ
هَمَمتُ وَهَمَّت وَابتَدَرنا وَأَسدَلَت ... وَشَمَّرَ مِنّي فارِطٌ مُتَمَهَّلُ
فَوَلَّيتُ عَنها وَهَي تَكبو لِعَقرِهِ ... يُباشِرُهُ مِنها ذُقونٌ وَحَوصَلُ
كَأَنَ وَغاها حَجرَتَيهِ وَحَولَهُ ... أَضاميمُ مِن سِفرِ القَبائِلِ نُزَّلُ[1]*

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص66.

***الأسآر**: جمع سؤر، وهو البقية في الإناء من الشراب. **القطا**: نوع من الطيور مشهور بالسرعة. **الكُدر**: جمع أكدر للمذكّر وكدراء للمؤنث، **والكُدرَة**: اللون ينحو إلى السواد. **القَرَب**: السّير إلى الماء وبينك وبينه ليلة. **الأحناء**: جمع الحنو، وهو الجانب. **تتصلصل**: تُصوّت. **ابتدرنا**: سابق كلّ منّا الآخر. **أسدلت**: أرخت أجنحتها كنايةً عن التّعب. **الفارط**: المتقدّم. **وليّت**: انصرفت. **الحوصل**: جمع الحوصلة، وهي معدة الطائر. **وغاها**: أصواتها. **حجرتاه**: ناحيتاه. **الأضاميم**: جمع الإضمامة، وهي القوم ينضمّ بعضهم إلى بعض في السّفر. **السِّفْر**: المسافرون. **نُزّل**: جمع نازل، وهو المسافر الذي حطّ رحله، ونزل بمكان معيّن، وحوله جماعات من المسافرين خطّت الرّحال مُحدثةً صخبًا كبيرًا.

تنتمي الأبيات إلى لامية **الشنفرى**، ويتحدّث فيها عن مسابقته لطائر القطا للحصول على بعض الماء، وقد سبق **الشنفرى** طائرَ القطا، ويخبرنا كيف أنه لم يبذل جهدًا للحصول على هذه الغنيمة، بل وترك منها جزءًا للقطا لكي لا يموت عطشًا.

ويعبّر رهو الماء هنا عن صفات الصعاليك، أو على الأخص صفات **الشنفرى**، إذ يتمتّع بسرعة العدو حتى أنّه يفوق سرعة القطا، وكيف تواضع لها ولم يستغل هذه الميزة للظفر بالماء، بل كان جريه متمهّلا لا ركضًا سريعًا، بالإضافة إلى أنّه تكرّم عليها ولم يستأثر بالماء لنفسه، فهذا جانبٌ إنساني في **الشنفرى**، كما أنّ رغبة كلّ من **الشنفرى** والقطا في الحصول على الماء تعكس المعاناة التي كان يعيشها الإنسان والحيوان على حدّ السّواء، معاناة العطش في أرض قحلة الماءُ فيها سلعة نادرة يصعب الحصول عليها.

وقال **تأبط شرا** (من الطويل):

وَشَعبٍ كَشَلِّ الثَوبِ، شَكسٍ طَريقُهُ مَجامِعُ صوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ
تَعَسَّفتُهُ بِاللَيلِ، لَم يَهدِني لَهُ دَليلٌ، وَلَم يُحسِن لِيَ النَعتَ خابِرُ
لَدُن مَطلَعِ الشِعرى، قَليلٍ أَنيسُهُ كَأَنَّ الطَخا في جانِبَيهِ مَعاجِرُ
بِهِ مِن نَجاءِ الدَلوِ بيضٌ أَقَرَّها جُبارٌ، لِصُمِّ الصَخرِ فيهِ قَراقِرُ
وَمَرِّرنَ حَتّى كُنَّ لِلماءِ مُنتَهى وَغادَرَهُنَّ السَيلُ فيما يُغادِرُ
بِهِ نُطَفٌ زُرقٌ، قَليلٌ تُرابُها جَلا الماءُ عَن أَرجائِها فَهوَ حائِرُ
بِهِ سَمَلاتٌ مِن مِياهٍ قَديمَةٍ مَوارِدُها ما إِن لَهُنَّ مَصادِرُ[1]*

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص94-96.

* **الشّعب:** الطريق في الجبل. **شل الثوب:** خياطته خياطة خفيفة. **شكس:** ضيّق وعر. **مجامع:** ما اجتمع من الرمل. **صوحيه:** أي طرفيه أو جانبيه. **نطافٌ مخاصر:** قليلة صغيرة. **تعسّفته:** سرت فيه بغير علم ولا هداية ولا أثر. **خابر:** الذي يُخبرُ بالشيء ويدُلُّ عليه. **مطلع الشعرى:** كناية عن الحر الشديد. **الطخا:** السحاب الرقيق. **معاجر:** جمعُ معجر، وهو ثوب تلفه المرأة على رأسها، وهو أيضا العمامة يتعممها الرجل ويردّ طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه. **نجاء:** جمع نجو، وهو السحاب الذي هراق ماءه ثم مضى، وقيل هو السحاب أو ما ينشأ. **بيض:** بقايا الماء. **الجُبار:** السيل. **قراقر:** من القرقرة وهي صوت اصطدام الماء بالصخر. **مررن:** ذهب السيل بهن بين الصخور. **منتهى:** مستقرّا. **نُطف:** جمع نطفة، وهي المويهة القليلة. **زرق:** من الصفاء. **جلا:** ذهب. **أرجاء النطفة أو البئر:** جوانبها. **حائر:** راجع من الحَوَر وهو الرجوع. **سملات:** جمع سملة، وهي بقية الماء في حوض أو غيره. **الموارد:** جمع مورد، وهو الطريق إلى النبع أو الماء.

يكثُر ذكر الأماكن في شعر الصعاليك، وبخاصة شعر **تأبط شرا**، فيقدم في الأبيات السابقة وصفًا لأحد الأماكن التي جابها، فيخبرنا عن صعوبتها؛ فهو يجوبُ شِعبًا يصعبُ اختراقهُ والمرور منه، قطعهُ ليلًا دون هادٍ أو دليل، ودون أن ييسره له خبير، وأتمّ قطعه في يومٍ شديد الحرارة، لا مؤنس له فيه، قليلٌ سحابُه، وأمطرَ على قلته ومضى مُخلّفًا وراءه مطرًا انصبّ وانسلّ بين الصخور، فكسر صمتها، وجعل الماء ينساب بينها مُحدثًا صوتًا إثر اصطدامه بها، وغادر السيل تاركًا خلفهُ بقايا ماءٍ صافيةٍ تتردد حولها وفي جوانبها تترقرق صافيةً كاللؤلؤ.

ويعبّر مورد الماء عن قدرة **تأبط شرا** على تحمّل المشاق والصعاب والعطش الشديد، الذي أصاب الصعلوك في يومٍ حارٍ، وفي مسالك صعبة وعرة، لا يقوى الإنسان العادي على تحمّلها، **وتأبط شرا**، بوصفه الماء، يشي بأنه قد وجد كنزًا ثمينًا نادرًا، فالماء كذلك، في هذه البيئة الصحراوية القاسية، فالماء مصدرٌ للبقاء والحياة، وانعدامه يؤدي إلى الهلاك.

وقال **صخر الغي الهذلي** (من المتقارب):

وَمــــــاءٍ وَرَدتُ عَلــــــــى زَورَةٍ ... كَمَشْــيِ السَــبَنتى يَــراحُ الشَــفيفا
فَخَضخَضــتُ صُــفنِيَ فــي جَمِّــهِ ... خِيــاضَ المُــدابِرِ قِــدحًا عَطوفــا
فَلَمّــا جَزَمــتُ بِــهِ قِربَتــي ... تَيَمَّمــتُ أَطرِقَــةً أَو خَليفــا
مَعــي صــاحِبٍ داجِــنٌ بِــالغزاةِ ... وَلَـم يَـكُ فـي القَـومِ وَغـلاً ضَـعيفا
وَيَعــدو كَعَــدوِ كُــدُرٍّ تَــرى ... بِفائِلِــهِ وَنَســاهُ نُســوفا[1]*

---

[1] ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1965م، ج2، ص ص74-76.

* **على زورة:** على ازورار ومخافة. **السّبنتى:** النّمر. **الشفيف:** البرد. **خضخض:** حرّك. **الصّفن:** وعاءٌ من الجلد، يجعل فيه أهل البادية زادهم، وربما استقوا به الماء كالدلو. **المدابر:** الذي يعادي صاحبه ويقاتله من كَلبه على القمار، الذي يضرب بالقداح، وهو المقامر في الميسر. **العطوف:** القدح الذي يُردّ مرة بعد مرة. **أطرقة:** جمع طريق. **الخليف:** طريق وراء الجبل أو خلف واد، جمعه: خُلُف وأخلفة. **الداجن:** المعاود مرة بعد مرة. **الغزاة:** الغزو. **الوغل:** النذل. **الكُدُرّ:** الغليظ. **الفائل:** عرق يجري في الورك فيستبطن الفخذ إلى الساق. **النسوف:** آثار من عضّ، وحادها نسف، وهو الأخذ بمقدّم الفم.

عانى الصعاليك في حياتهم لأجل الحصول على الماء، فها هو **صخر الغي** يجدُ مورد ماءٍ، لكنه غير صافٍ، بل متكدّر، ومع هذا يردهُ حذرًا، مخافة أن يكون بهد عدوّه، فيمشي نحوه على مهل مشية النمر، ولأنّ الماءَ كدر فإنّ **صخرًا** يحرّكه ليصفو، ثم يملأ قربته، ليقصد بعدها طريقًا وراء جبل أو خلف وادٍ لأنها أكثر أمنًا من الطرق والمسالك المكشوفة، ويصحبه صاحب شهم ذو مروءة وشجاعة وشهامة، يعدو عدوًا ثقيلًا لآثار عضّ في وركه.

ويعبّر مورد الماء عمّا يشوب حياة الصعلوك من كَدرٍ ومشقة، **فصخر الغيّ** يعاني في حياته، وصعلكتهُ مرتبطةٌ بكثرة جرائره وجرائمه، ما أدّى إلى خلعه من قبيلته، لذا فحياته غير صافية ولا مستقرة، يعاني معاناةً كبيرةً، ليس مطمئنا ولا مرتاح البال، فحتى وروده الماء فيه خطر عليه، فقد يتعرّض للموت في أيّة لحظة، كما أنّ مورد الماء يمثّل مكانًا يساعد الصعلوك على البقاء حيًا بحصوله على هذه المادة المهمة، والتي أريقت من أجلها الدماء في أحايين كثيرة.

وتستمر معاناة **صخرٍ**، فيظل أمام أخطار دائمة، ما يجعله يواجهها، ويروم المحافظة على حياته قدر المستطاع، حتى يصل لدرجة أن يشرب الماء الكدر ليحفظ حياته من الموت في بيئة صحراوية قاحلة تُهلك من يتواجد فيها عطشًا.

نخلص مما سبق، إلى أنّ مورد الماء قد حضر في شعر الصعاليك ليعبّر عن المعاناة التي عاشوها في مجاهل الصحراء، فهذه البيئة القاسية القاحلة الجرداء إن لم تقتل الصعاليك بوحوشها، فإنها ستقتلهم عطشًا وحرارةً، كما أنّ موارد الماء ليست أماكن آمنة، بل قد تحملُ الموت الأكيد، فكثيرٌ من الأعداء يتربصون بالصعاليك عندها لعلمهم بحاجة الصعاليك إلى الماء وبحثهم عنه. كما أنه ليست كل موارد الماء صافية عذبةً، بل فيها ما هو كدر غير صافٍ، ومع هذا فالصعلوك يأخذ منه ما يحفظ حياته من الموت المحقق.

3-2- البيت

يُعدّ البيت أوّل مكانٍ يعرفه الإنسان في حياته، فهو عالمه الأوّل، منه تبدأ حياته، وهو «**البنية الأساسية للعمران البشري المتمثل في مجموع القرى ومجموع المدن**»[1]، ومنه يتشكّل كيان الإنسان ووجوده، ومنه تبنى شخصيته، والبيت يعني الاستقرار والسّكينة والثّبات، وغيابه يعني التوتّر والتشتّت والتلاشي.

وفي الأدب، والشعر على وجه الخصوص، عادةً ما يستخدم البيت في نصوص تتحدث عن فقدانه أو عن المرارة التي يشعر بها المبدع إذا غادر مكانًا محبًا، كما يمكن توظيفه للتعبير عن المكان الذي يقدر عليه المبدع حيث يجد به الأمان والراحة.

وغالبًا يتم التعبير عن المكان باستخدام المتكرر لدلالات الحيز والمكان، الذي يشير إلى العلاقة الحميمة بين المبدع والمكان الذي يتكلم عنه، ويمكن أن يبدي هذا النوع من الشعر التعبير عن الهجرة والنزوح من الموطن، أو العودة إليه بعد فترة من الغياب.

وورد البيت كثيرًا في شعر الصعاليك، ومن ذلك قول **الشنفرى** (من الطويل):

أَلا هَـل أَتــى عَنّــا سُـعادَ وَدونَهــا مَهامِـــهُ بيـــدٍ تَعتَلـــي بالصَـــعالِكِ
بِأَنّـا صَبَحنا القَـومَ فـي حُـرِّ دارِهِـم حِمــامَ الــمَنايا بِالسُـيوفِ البَواتِــكِ
قَتَلنــا بعَمــرو مِــنهُمُ خَيــرَ فــارِسٍ يَزيــدَ وَسَــعدًا وَابــنَ عَـوفٍ بِمالِــكِ
ظَلَلنـــا نُفَــرّي بِالسُــيوفِ رُؤوسَــهُم وَنَرشُــقُهُم بِالنَبـلِ بَـينَ الـدَكادِكِ[2]*

وردت الأبيات في موضع هجوم **الشنفرى** وصحبه الصعاليك على قبيلة **العوص**، وقتلِهِم ثلاثةً من خيرة فرسانها (يزيد، سعد، ابن عوف) ثأرًا لصاحبهم **عمرو**، وقد أعمل الصعاليك القتلَ في **العوص**، فقطعوا رؤوسهم ورموهم بالنّبال حتى نالوا منهم.

---

[1] عمر شطة، أنسنة المكان في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست (الجزائر)، مج10، ع4، 2021م، ص22.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص57.

*__دونها:__ يفصلني عنها. **المهامه:** جمع المهمه، وهي الصحراء الواسعة البعيدة التي لا ماء فيها. **البيد:** جمع البيداء، وهي الصحراء. **العوص:** حيّ من بجيلة. **حرّ دارهم:** وسطها. **الحِمام:** قضاء الموت وقدره. **البواتك:** جمع الباتك، وهو القاطع. **عمرو:** عمرو بن كلاب، وكانت بجيلة قد قتلته مع رفيقه المسيّب بن علس. **يزيد وسعد:** هما من بجيلة قتلهما الشنفرى ثأرًا من قتلهما عمرو والمسيّب. **نُفرّي:** نشق، نقطع. **الدكادك:** جمع الدكدك، وهو الأرض التي فيها غلظ.

ويعبّر البيت في الأبيات السابقة عن الأمان والمِنعة والحماية، فبنو **العوص** كانوا في ديارهم آمنين، حتى أغار عليهم الصعاليك في عقر دارهم، وبهذا كسر الصعاليك أمان **العوص** وحمايتهم، كما يدلّ البيت هنا أيضًا على الثبات والاستقرار، وهو غير متوافر لدى الصعاليك، فليس لهم مكان قارٌّ يتواجدون فيه، فهم دائمو التّرحال، بينما للعوص مكانٌ يُعرفون به، وبهذا تحوّل مكان أمنهم وحياتهم إلى مكان ذُعرهم وموتهم. وقال **تأبط شرا** (من الوافر):

وَنـــارٍ قَـــد حَضَـــأتُ بُعَيـــدَ هَـــدءٍ بِـــدارٍ مـــا أُريـــدُ بِهـــا مُقامـــا
سِـــوى تَحليـــلِ راحِلَـــةٍ، وَعَيـــرٍ أُكالِئُـــهُ مَخافَـــةَ أَن يَنامـــا[1]*

أوقدَ **تأبّط شرًا** ليستريح، فاتّخذ دارًا مكانًا مؤقتًا ليستريح ويُريح راحلته، ويؤنس جمله حتى ينام. ويحضر البيت هنا للدلالة على الاستقرار، فالشاعر كان مسافرا غير قارٍّ في مكانٍ، وكأننا **بتأبط شرا** قد تعبَ من حياة الصعلكة ويروم الاستقرار ووضع حدّ للاضطراب الذي صبغ حياته. وقال **عروة بن الورد** (من الطويل):

إِذا المَرءُ لَم يَبعَث سَوامًا وَلَم يُرَح عَلَيـهِ، وَلَـم تَعطِـف عَلَيـهِ أَقارِبُـه
فَلَلمَـوتُ خَيـرٌ لِلفَتـى مِـن حَياتِـهِ فَقيـرًا، وَمِـن مَـولىً تَـدِبُّ عَقارِبُـه
وَسـائِلَةٍ: أَيـنَ الرَحيـلُ؟ وَسـائِلٍ، وَمَن يَسأَلِ الصُعلوكَ: أَينَ مَذاهِبُه؟
مَذاهِبُـهُ أَنَّ الفِجـاجَ عَريضَـةٌ، إِذا ضَـنَّ عَنـهُ، بِالفَعـالِ، أَقارِبُـه
فَلا أَترُكُ الإِخوانَ، ما عُشتُ لِلرَدى، كَمـا أَنَّـهُ لا يَتـرُكُ المـاءُ شـارِبُه
وَلا يُستَضامُ الدَهرَ، جاري، وَلا أُرى كَمَـن بـاتَ تَسـري لِلصَـديقِ عَقارِبُـه
وَإِن جـارَتي أَلـوَت رِيـاحٌ بِبَيتِهـا، تَغافَلتُ، حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه[2]**

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص254-257.

* **حضأتُ النّار:** سعّرتُها. **بُعيد هدءٍ:** بعد هزيع من الليل حين سكن الناسُ وهدأوا، **والهَدْءُ:** الثّلثُ الأوّل من الليل. **تحليل الراحلة:** إراحتها وحلّ حِملها عنها. **أكالئه:** أراقبه.

[2] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص48.

** **السوام:** الماشية والإبل الراعية. **يرح عليه:** ترد إبله إلى مراحها. **المولى:** هنا؛ ابن العم.**الفجاج:** جمعُ فج، وهو الطريق الواضح بين الجبلين. **الرّدى:** الهلاك. **شاربُه:** المقصود هو الظمآن. **يُستضام:** يُظلم. **ألوت به:** ذهبت به. **البيت:** (في العجز) أي صاحبة البيت. **الجانب:** الناحية، الفِناء.

عانى **عروة** من الفقر في قبيلته، وآلمته تلك النظرة الدونية نحوه، ونحو غيره من الفقراء، لذا يرى أنّ الرّجل إذا لم تكن له إبلٌ ترعى، أو لم يُخفّف عنه أهله الفقر بمعوناتهم؛ فإنّ الموت خيرٌ له من الحياةِ فقيرًا.

أمّا من يسأل الصعلوك إذا غادر قبيلته، فإنه يجيبهم بأنّ الأرض واسعةٌ مقارنَةً بضيق النظرة وقصر أفعال أقاربه نحوه (دون مساعدات).

ولا ينسى **عروة** إخوانه الفقراء المستضعفين، بل إنه يساعدهم ما دام في جسده قلب ينبض، ولأنه الماءُ لهؤلاء العطشى، فكلّهم متمسّك به محتاجهُ. كما يبرزُ **عروة** خصلة من خصاله الكريمة، وهي أنه لا يترك جاره مُضامًا، بل يسانده ويدعمه، ويدافع عنه، مهما كلّفه الأمر.

أما مع النّساء فإنّه عفيف شريفٌ، يغضّ بصره إذا ما كُشف جوانبُ بيوتهن، حتى لا يرى عورات الناس أو يتجسس عليهم. ويُعبّر البيت في هذه المقطوعة عن الأمن والاطمئنان، فالبيت حجابٌ وسترٌ لأهله، يمنع الناس من معرفة ما فيه من أسراره. وقال **عروة** أيضًا (من الطويل):

فِراشي فِراشُ الضَيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ وَلَم يُلهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ، إِنَّ الحَديثَ مِنَ القِرى، وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ[1]*

تُبرز الأبياتُ كرمَ **عروة** ومساعدته الفقراءَ والمستضعفين، فهو يُرحّب بهم، ويوفّر لهم ما يقوّيهم، ففراشه للضيف وبيته كذلك، ولا يلهيه عنه هذا جمال امرأة. ويُحدّث **عروة** ضيفَهُ، لأنّه يراهُ كرمًا منه، فهو تسليةٌ وإبعادٌ للخجل أو الحرج الذي قد تُخلّفه الضيافة في نفسه، يُحدثه إلى أن ينعس وينام.

ويُعبّر البيت في البيتين السابقين عن الاحتواء، **فعروة** يحتوي الضعيف ويُكرمه، ولا يُسلمه لنوائب الدهر؛ يُطعمه إذا جاع، ويُغطيه في ليالي الشتاء الباردة، ويحادثه فلا يحتقره أو يستهزئُ به، بل هو كصاحبه ورفيقة، لا فُرقة بينهما.

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص83.

* **الغزال المُقنّع:** المرأة اللابسة القناع، أو ما تُغطّي به شعرها. **القِرى:** الكَرَم وتقديم واجب الضيافة. **يهجع:** ينام ويستريح بعد أن آمنه وأطعمه من الجوع والخوف.

وقال **عروة بن الورد** (من الطويل):

أَلَيسَ وَرائي أَن أَدِبَّ عَلى العَصا، فَيَشمَتَ أَعدائي، وَيَسأَمني أَهلي
رَهينَةُ قَعرِ البَيتِ، كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطيفُ بِيَ الوِلدانُ أَهدُجَ كَالرَألِ
أَقيموا بَني لُبنى صُدورَ رِكابَكُم، فَكُلُّ مَنايا النَفسِ خَيرٌ مِنَ الهَزلِ
فَإِنَّكُمُ لَن تَبلِغوا كُلَّ هِمَّتي، وَلا أَرَبي، حَتّى تَرَوا مَنبِتَ الأَثلِ
فَلَو كُنتُ مَثلوجَ الفُؤادِ، إِذا بَدَت بِلادُ الأَعادي، لا أُمِرُّ وَلا أُحلي[1]*

يستنكرُ **عروة** أن يهون على قومه ويستند على العصا، ما يعني ضعفه وعجزه، فيؤدي إلى شماتة أعدائه وسأم أهله، يعجز عن توفير القوت للمستضعفين، ويكرهُ أن يكون قاعدًا في بيته، لا يشتغلُ شيئًا، فيتّخذه الأولاد لعبًا وهزؤا؛ يطوفون به، ويركبون ظهره كصغار النّعام.

ثمّ يوجّه قومه للاستعداد للغزو والإغارة، لأنّه يرى أنّ على الإنسان أن يموت في سبيل هدفه خيرٌ من أن يموت هزلًا وجوعًا، ويضيف إلى قومه أنهم لن يبلغوا مجده وهمّته إلا إذا سكنوا الجبال، وهذا لأنّ الغزو والإغارة عادةً ما تكون من مكانٍ عالٍ يفاجئُ به المُغيرُ المُغارَ عليه. لأنّه لو كان غير مهتم بهم لما أحسّ نحوهم لا بالنفع ولا بالضر.

ويعبّر البيت في هذه الأبيات، على قلق **عروة** من البقاء دون فائدة في قومه، فقد ارتبطت حياة الرجل بالتّرحال والغزو والإغارة والحرية، وبقاؤه في البيت إنقاصٌ من قدره وتثبيتٌ لرؤية المجتمع الجاهلي الدونية نحو الفقير.

بناءً على ما سبق، نصل إلى أنّ البيت يُعبّر عن الاستقرار والثبات والاطمئنان الذي يفتقده الصعاليك، فحياة الخلع التي يعيشونها تجعلهم لا يثبتون في مكان، فهم دائمو التنقّل من مكانٍ إلى آخر، ما يخلق في نفوسهم الضيق والتوتر، كيف لا وهم بين فكّي الموت، كما يحملون الموت بأنفسهم للآخرين.

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص ص89-90.

* **أهدج:** يقال هدج يهدجُ وهو تدارك الخطر. **الرأل:** فرخ النعام. أقيموا: وجّهوا في الغزو وانصبوا له. **الهزل:** الضعف والجوع. **منبت الأثل:** مكانها في الجبال، لأنّ الأثل إنما تنبت بالجبل. **فلو كنت مثلوج الفؤاد:** يُقال بات مثلوج الفؤاد من الهم؛ أي بارد الفؤاد ليس له حرارة ولا قوة. **لا أمر ولا أحلي:** من المرارة والحلاوة.

4-أمكنة الحنين

يتميّز الشعر العربي وبخاصة في العصر الجاهلي بالوجدانيات، لذا فليس من الغريب أن نجد مظاهر الحنين في شعر الصعاليك، والمبرر في ذلك أنهم لم يخرجوا على نظام القصيدة العربية الجاهلية كُليا، مع حفظ مظاهر التجديد في شعرهم.

والحنين من أرقى المشاعر التي يعيشها الإنسان، والصعلوك كغيره من البشر، يشعر بالحنين إلى أهله وأحبابه، وبخاصة من رحل منهم، فيستذكرهم، ويستذكر مواقف حصلت له منهم، وعادة ما يرتبط هذا الغرض بأماكن بعينها، ومنها الطلل والبحر، وفيما يلي دراسة لهما في شعر الصعاليك.

4-1- الطلل

الوقوف على الأطلال مصطلح شائع في الشعر والأدب العربي للإشارة إلى الأماكن القديمة والبقايا الأثرية والآثار القديمة التي يمكن العثور عليها في مواقع قديمة. كما يوظّف للتعبير عن الحنين إلى ماضٍ أفضل، حيث يمثل الوقوف على الأطلال الاستعادة للذكريات الجميلة التي تألقت في الماضي.

ويمكن توظيفه كرمز للتخلص من الحزن والألم، إذ يدل المصطلح على التخلص من العبء النفسي والانتقال إلى مستقبل آمن وخالٍ من الألم. ويمكن أيضًا استخدام الوقوف على الأطلال كرمز للتراث الثقافي والتاريخي، الذي يرمز إلى الحضارة السابقة والماضي العظيم للأمة.

وقد يتبادرُ إلى ذهن المتلقي سؤال مفاده: هل ورد الطلل في شعر الصعاليك؟ فنجيب: نعم، لكنه وردَ محتشمًا، إذ يندر أن نجدَ شاعرًا صعلوكًا ذكر الطلل، وهذا لخصائص شعرهم المتميز بالتخلص من المقدمة الطللية، وهو خروج عن السائد المألوف عند شعراء القبائل.

ولعلّ ورود الطلل في شعر الصعاليك يرجع إلى الفترة التي سبقت خلعهم وخروجهم عن قبائلهم، فالطلل مكان ثابت غير متحرك، ونظم الشعر فيه يعني استقرار الشاعر، وهو ما لم يكن متاحًا للصعاليك بعد خلعهم.

ومن أمثلة الطلل في شعر الصعاليك نجد قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

عَفَت بَعدَنا مِن أُمِّ حَسّانَ غَضوَرُ، وَفـي الرَحـلِ مِنهـا آيَـةٌ لا تَغَيَّـرُ
وَبِـالغُرِّ وَالغَـرّاءِ مِنهـا مَنـازِلٌ، وَحَـولَ الصَـفا، مِـن أَهلِهـا مُتَـدَوَّرُ
لَيالِيَنـا، إِذ جيبُهـا لَـكَ ناصِـحٌ؛ وَإِذ ريحُهـا مِسـكٌ زَكِـيٌّ، وَعَنبَـرُ
أَلَـم تَعلَمـي، يـا أُمَّ حَسّـانَ، أَنَّنـا خَليطًا زَيـالٍ، لَيسَ عَن ذاكَ مَقصَرُ
وَأَنَّ المَنايـا ثَغـرُ كُـلِّ ثَنِيَّـةٍ، فَهَل ذاكَ عَمّا يَبتَغي القَومُ مُحصِرُ؟
وَغَبـراءَ مَخشِـيَ رَداهـا، مَخوفَـةٍ، أَخوهـا، بِأَسـبابِ المَنايـا، مُغَـرَّرُ
قَطَعتُ بِهـا شَكُّ الخِلاجِ، وَلَم أَقُل لِخَيّابَـةٍ، هَيّابَـةٍ: كَيـفَ تَـأمُرُ؟[1]*

هجرَ **عروة** "**غضور**" بعد أن رحلت عنه "**أم حسّان**" **(سلمى)**، فأضحى قفرًا لا أنيس فيه، وهذه الأماكن قد درست واندثرت وما تزال **سلمى** باقيةً في نفس **عروة** لا تزول، واتخذت أهلَها مكانًا آخر مستقرًا لهم، ويعلمنا **عروة سلمى** بأنها تحبّه حبًّا نقيًا، وأنّ عطرها طيبٌ رائحتُهُ.

ويستحضر **عروةُ سلمى** مجددا، فيحنّ إليها ويخاطبها ليعلمها أنّ زوال السعادة أمر طبيعي وهما شريكان في الحياة لفترة محددة غير دائمة، ليخلُفَها فراقٌ لا مفرّ منه، ولا أحد يستطيع أن يمنعه؛ وهو الموت الأكيد.

يُعبّر الطلل في الأبيات السابقة عن الحياة التي عاشها **عروة**، فهي حياةٌ ملأى بشتّى أنواع المشاق، وعلى رأسها الفراق؛ الفراق الذي صبغ حياةَ الصعلوك، فراق الأهل والديار، والحبيبة "**سلمى**"، فهو يحمل معاني الاضطراب واللاستقرار الذي يعيشه الصعلوك.

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص71.

* **غضور**: ثنية فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة. **متدور**: مكان دوّار، والدوّار نسك كانوا يطوفون به في الجاهلية. **خليطًا زيال**: خليطا مفارقة، أي يفارق بعضنا بعضا. **المقصر**: المعزل. ثغر كل ثنية: الثغر موضع المخافة. **محصر**: حابس. غبراء: مظلمة ليست بمسفرة الطرق. **أخوها**: يعني عروة نفسه ويكون أخوها من يسلكها من الناس. **شك الخلاج**: ماخالجني وشككني. **الخيابة**: الكثير الخيبة. **الهيابة**: الكثير الخوف.

نخلص مما سبق، إلى أنّ الطلل يشي بحنين الصعلوك إلى ناس يرتبط بهم ارتباطًا عاطفيًا كبيرًا، فهو يستحضرهم ويستحضر ذكراهم، كما أنه يوحي بالتحول من حال إلى حال؛ من البنيان إلى الهدم، ومن حال الصبا والقوة إلى حال الكبر والضعف، وهذا البنيان، مهما صمد، فإنه سينقضّ يومًا، وهو المصير الحتمي للإنسان، فمهما طال به الزمن فإنه سيموت يومًا، ولا مفرّ له من ذلك، إذ إنّ الموتَ أمرٌ حتميٌّ، مهما فعل الإنسان في سبيل البقاء فإنه سيموت يومًا. وفي سبيل البقاء فالصعلوك لا يستسلم، ولا يبقى منتظرًا موته، بل يصارع لأجل البقاء، فيغامر بحياته، ويواجه المخاطر والمهالك في سبيل تحقيق الحرية المنشودة والغنى، فإن مات حينها مات كريمًا شريفًا عزيزًا.

4-2- البحر

البحر ذلك التجمع المائي الواسع الذي يحتل مساحات شاسعة من الكوكب، وفيها تعيش كثيرٌ من الكائنات الحية التي إن خرجت من الماء ماتت، فهو الحياة بالنسبة لها.

ويستخدم البحر في الشعر للتعبير عن الحرية والانفتاح، حيث يرمز إلى المساحات الواسعة والحرية التي يوفرها بالإضافة إلى الغوص في عمقه وتحقيق الحرية الحقيقية.

كما يمكن أن يوظّف للتعبير عن الانطواء والعزلة، إذ إن البحر قد يشير إلى العزلة والانفصال عن العالم الخارجي، ويمكن توظيفه للتعبير عن الأمان والحماية، خاصة عند استخدامه للتعبير عن وجهة نظر المبدع المطمئنة.

وفي بعض الأحيان، يوظّف البحر في الشعر للإشارة إلى الموت، إذ قد يرمز إلى نهاية الرحلة والعودة إلى الله، كما يمكن أن يعبّر عن المشاعر الأساسية للإنسان مثل الشوق والحنين والغرام.

على الجانب الآخر، يمكن توظيفه البحر رمزًا للتحدي والإيمان بالذات، إذ يرمز إلى القدرة على التحمل والمثابرة والمواصلة في الشدائد. بالإضافة إلى توظيفه كرمز للتجديد والإعادة، إذ تشير موجاته إلى الحركة والتغيير وتجديد الإيمان والعزم.

ويجد المطلع على الشعر الجاهلي، أنّ الجاهليين صوّروا البحر ونوّعوا في تصويره، فأفادوا منه في معانيهم وصورهم، وتفننوا في عرضه، ولكنّ هذا لا يعدل تصوير الصحراء، وعنايتهم بوصف كلّ صغيرة وكبيرة من مظاهر الحياة فيها، وهذا طبيعي

ومنطقي، لأنّ معظم العرب الجاهليين كانوا يعيشون في الصحراء أو البادية، ولأنّ الصحراء كانت تمثّل القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية آنذاك[1].

ولأنّ الصعاليك عربٌ يعيشون في البيئة نفسها، ولأنهم يشتركون مع غيرهم في كثير من الثقافة، فإنهم أوردوا البحر في شعرهم أيضا، ومن ذلك قول **تأبط شرا** (من الطويل):

وَأَشْقَرُ غَيْداقُ الجِراءِ كَأَنَّهُ عُقابٌ تَدَلّى بَينَ نيقَينِ كاسِرُ
يَجُمُّ جُمومَ البَحرِ طالَ عُبابُهُ إِذا فاضَ مِنهُ أَوَّلٌ جاشَ آخِرُ[2]*

ورد البيتان في رثاء **تأبط شرا الشنفرى**، وفيهما وصف حصان **الشنفرى**؛ فهو أشقر سريع الجري واسعه، إذا ما قفز قفزَ كالطير الجارح من علٍ على فريسته، وهو كالبحر في هياجه وعلوّ أمواجه، فإذا ما فاض أوّله هاجَ آخره والتطمت أمواجه بعضها ببعض.

ويعبّر البحر ها هنا، عن غضب **الشنفرى** وبأسه في القتال، فغضبه شديد لا يُبقي ولا يذر، يحطّم وينال من كلّ ما يجده في طريقه. كما أنّه يشي بالحنين إلى **الشنفرى** وذكرياتهما معًا، **فالشنفرى**، كما نعلم، رفيق دائم **لتأبط شرًا**، تصعلكا معًا، وعاشا مغامرات كثيرة سوية، **فتأبط**، في هذه القصيدة، يستحضر ذكراه، والأيام الخوالي، ويحنّ إليها في لحظة من الواقع المؤلم الذي يتمثل في فقد **الشنفرى**. وقال **عمرو بن براقة** (من الطويل):

أَلا هَل لِلهُمومِ مِن اِنفِراجِ وهَل لي مِن رُكوبِ الموجِ ناجِ
أَكُلُّ عيشَةٍ زَوراءَ تَهوي بِنا في مُظلِمِ الغَمراتِ ساجِ
يِشُقُّ الماءُ كَلكَلُها مُلِحًّا عَلى ثِبَجٍ مِنَ المِلحِ الأُجاجِ
كَأَنَّ قَوادِفَ التَيّارِ فيها نِعاجٌ يَرتَمينَ إِلى نِعاجِ[3]**

---

[1] ينظر، حُسين عطوان، وصف البحر والنهر في الشعر العربي، من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط2، 1982م، ص14.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص82.

* **الأشقر**: يعني فرسا. **غيداق** الجراء: شديد الجري واسعه. **نيقين**: مفرده نيق، هو الموضع الأعلى بالجبل. **كاسر**: صفة للعقاب. **جُموم البحر**: هياجه وعلو أمواجه. **العباب**: الموج. **جاش**: هاج واضطرب.

[3] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره، ص90.

** **الزوراء**: السفينة. **الغمرات**: جمع غمرة، وهي الشدة. **الساجي**: الممتد المظلم. **الثبج**: علوّ وسط البحر إذا ارتفعت أمواجه.

يظهر قلقُ **عمرو بن براقة** جليًا، فيرجو أن تزول همومه وينفرج عسره، ويرى أنّ همومه كالموج، فليس مضمونًا النجاةُ منها، فكلّ سفينة تغوص وتغرق في ظلمات البحر لا منقذ لها، ويعود إلى أمواجها ويشبهها بالنعاج المتصادمة بعضها إلى بعض.

ويُعبّر البحر في الأبيات السابقة عن المعاناة التي يعيشها الصعلوك، فهمومه كثيرة، ما إن يخرج من همّ حتى يغرق في آخر، وهذا يبيّن حالة اللاستقرار والاطمئنان، والاضطراب والتوتر النفسي الذي يعيشه الصعلوك، فهو يعيش حياته في طريق مجهول غير واضح المعالم، قد ينجو من الموت اليوم ويلاقيه غدًا، ليس له أهل وعشيرة، وليس هناك من يسأل عنه، وقوته غير مضمون.

كما أنّ **عمرو بن براقة** يحنّ إلى الاستقرار والراحة، وهما المفقودان منذ زمن، إذ أضحى هذا الرجل صعلوكًا خليعًا، أهدرت دمه قبيلته، وجعلته في قلق واضطراب دائم.

وقال **قيس بن الحدادية** (من الطويل):

وَما رَاعَني إلا المُنادي: أَلا اِظعَنوا وَإلا الرَواغي غُدوَةً وَالقَعاقِعُ
وجِئتُ كَأَنّي مُستَضيفٌ وَسائِلٌ لِأُخبِرَها كُلَّ الَّذي أَنا صانِعُ
فَقالَت: تُزَحزِح ما بِنا كُبرُ حاجَةٍ إِلَيكَ وَلا مِنّا لِفَقرِكَ راقِعُ
فَما زِلتُ تَحتَ السَترِ حَتّى كَأَنَّني مِنَ الحَرِّ ذو طِمرَينِ في البَحرِ كارِعُ
فَهَزَّت إِلَيَّ الرَأسَ مِنّي تَعَجُّبًا وَعُضِّضَ مِما قَد فَعَلتُ الأَصابِعُ[1]*

تنتمي الأبيات إلى قصيدة مطولة **لقيس بن الحدادية**، وفيها يسرد خبر رحيل محبوبته "**نُعم**"، وهي "**أمّ مالك بنت ذؤيب الخزاعي**"[2]، ويتحدّث عن رحيلها وأهلها بحثًا عن مكانٍ خصبٍ يوفّر الكلأ لمواشيهم، وقد راع **قيسًا** نداءُ المنادي بالرحيل، فأسرع للقاء "**نُعم**"، وليخبرها عمّا سيفعل من أجلها لرحيلها، لكنها فاجأته بجوابها بطلبها أن يذهب عنها، فلا حاجة لها به، فهو فقيرٌ مُعدَمٌ. وبقي معها متخفيًا عن الأعين وهو يتصبّبُ عرقًا من شدّة الحرارة، وأجابته "**نُعم**" بهزّ رأسها متعجبةً ثم عضّت أصابعها، «**وأخيرًا ظلّ**

---

[1] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص39.

* **الرواغي:** من رغت الناقة إذا صوتت. **القعقاع:** جمع قعقعة، وهو تتابع أصوات الرعد في شدة. **الطّمر**: الثوب الخلق.

[2] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص37.

هذا الصعلوك يجمع حولهُ الحلفاء والمتصعلكين ويغير بهم على قومه وغيرهم حتى قُتِلَ وهو خليعٌ، وذهب شجاعًا نبيلًا»[1].

ويعبّر البحر في الأبيات الآنفة الذكر عن حنين الصعلوك إلى حبيبته التي رحلت وتركته، فنفسه مضطربة، وحبّه عميقٌ واسعٌ، يزخر بكنوزه الأخلاقية الطيبة، لكنه قوبل بالجفاء والإبعاد والخلع، فانقلب هدوؤهُ غضبًا، ما جعله يصبّ جامه على قومه منتقِمًا من النظرة الدونية نحوه، فوقع عليهم تقتيلًا وذبحًا حتى قُتِلَ خليعًا من قومه.

ويقول **ابن الحدّادية** في موضع آخر (من الطويل):

دَعَـوتُ عَـدِيًّا وَالكُبُـولُ تَكُبُنُـي أَلا يـا عَـدِيُّ يـا عَـدِيُّ بـنَ نَوفَـلِ*
دَعَـوتُ عَـدِيًّا وَالمَنايـا شَـوارِعٌ أَلا يـا عَـدِيُّ لِلأَسـيرِ المُكَبَّـلِ
فَما البَحرُ يَجري بِالسَفينِ إِذا غَدا بِـأَجوَدَ سَـيبًا مِنـهُ فـي كُـلِّ مَحفَـلِ
تَـدارَكتُ أَصـحابَ الحَظيـرَةِ بَعـدَما أَصـابَهُمُ مِنّـا حَريـقُ المُحَلِّـلِ
وَأَتبَعـتُ بَـينَ المَشـعَرَينِ سِـقايَةً لِحُجّـاجِ بَيـتِ اللَـهِ أَكـرَمُ مَنهَـلِ[2]**

يمدحُ **قيسُ بن الحدّادية عديَّ بن نوفل**، فيعدّد أهمّ خصاله من فداء الأسير، ونصرة المستضعف، وسقاية الحجيج، **فعديّ** أهلٌ لكلّ مدحٍ، فهو أهل الكرم والجود والخير، وأشرف الناس، كيف لا وهو يقوم على أمور حجاج بيت الله الحرام، وكفى به نسبًا، فقريش نالت هذا الشرف في جاهليتها وإسلامها.

ويردُ البحر في الأبيات الآنفة ليعبّر عن الجود والكرم، فهو غنيّ بكنوزه، فمن بحث في سطحه وجد السمك وضمن قوت يومه، ومن غاص في أعماقه وجد اللآلئ والكنوز

---

[1] حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص92.

* عدي بن نوفل (ت نحو 30 ق هـ – 594م): عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، شاعرٌ، من سادات قريش في الجاهلية، كانت له سقاية الحجيج بمكة، وكان يسقي عليها اللبن والعسل. ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط15، 2002م، ج4، ص ص221–222.

[2] حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص ص41–42.

** **كُبول:** جمعُ كَبَل بالفتح، وهو أعظم ما يكون من الاقتياد. **كبّه:** قتله وصرعه. **شوارع:** جمع شارعة، أي مسددة. **السيب:** العطاء. **المُحلّل:** مَن حلل إحراقنا في الأشهر الحرم. **بين المشعرين:** قصد بها السقاية التي نازع فيها عديٌّ عبدَ المطلبِ وهي بين الصفا والمروة.

فاغتنى، وهو الشديد في غضبه، الجميلُ في هدوئه، يحمل راكبَهُ فيوصله إلى غايته. وهكذا هو عديّ بن نوفل؛ أهل الخير والكرم والنجدة. بالإضافة إلى أنّ **قيس الحدادية** باستحضاره البحر بهذه المكارم، فهو يشعر بالحنين إلى صفات الجود والكرم التي يتمتّع بها بعض قومه الذين كان بينهم، وكأننا به يشعر بالندم جرّاء جرائره التي ارتكبها فجعلت قبيلته تخلعه منها.

نخلص مما سبق إلى أنّ ورود البحر في شعر الصعاليك يعبّر عن الاضطراب والقلق الذي يعيشونه، فأحوالهم مضطربة كأمواج البحر، لا ثبات ولا استقرار فيها، همومهم كثيرة عميقة مظلمة، غضبهم شديد، ينالون من كل من يعترضهم في سبيل تحقيق أهدافهم، ومع هذا فإنّ نفوسهم كريمة سخية تجود بما تملك، وتحملُ من يعاشرها إلى برّ الأمان.

5-مكان الصراع

تميزت حياة الصعاليك بالصراع مع القبيلة وأفكارها، إذ ارتكبت فئة منهم جرائر حدت بها إلى خلعهم، بينما خرجت فئة أخرى عليها ثورةً عن عاداتها وتقاليدها الجائرة، وبين هذه وتلك، بقي الصراع قائمًا بين الصعاليك من جهة، وبين القبيلة وأفرادها المنتمين إليها جسدًا وفكرًا من جهة أخرى.

لذا، وقعت مواجهات عديدة بين الصعاليك والقبائل، وكانت هذه المواجهات تتمّ بغزو الصعاليك للقبائل، وأكثر هذه المواجهات هي أثناء ترقب الصعاليك لقوافل القبائل للسطو عليها، إذ كانوا يترصدونها في الشعاب والفجاج والقفر.

وبناءً عليه، سنتناول في هذا الجزء من الدراسة أماكن الصراع في شعر الصعاليك، والتي ورد أغلبها في عنصرين: ميدان المعركة، والشعاب والفجاج.

5-1-ميدان المعركة

لا يخفى على المتلقي أنّ الصعاليك في حياتهم ومغامراتهم اجتازوا كثيرًا من المعارك، سواءٌ أكانوا فرادى أم جماعاتٍ، فقاتلوا واقتتلوا، في إغاراتهم على القوافل أو على القبائل، والأمر سيّان إن كانوا المُهاجِمين أو المهاجَمين، لذا فإنّنا نجد في شعرهم تصويرًا لمعاركهم، وما وقع فيها، ومن ذلك قول **عروة بن الورد** (من الطويل):

وَلَكِـنَّ صُـعلوكًا، صَـفيحَةُ وَجهِـهِ كَضَـوءِ شِـهابِ القَـابِسِ المُتَنَـوِّرِ
مُطـلا عَلـى أَعدائِـهِ يَزجُرونَـهُ بِسـاحَتِهِم، زَجـرَ المَنـيحِ المُشَـهَّرِ
إِذا بَعُـدوا لا يَـأمَنونَ اِقتِرابَـهُ، تَشَـوُّفَ أَهـلَ الغائِـبِ المُتَنَظَّـرِ
فَـذلِكَ إِن يَلـقَ المَنِيَّـةَ يَلقَهـا حَميدًا، وَإِن يَستَغنِ يَوماً فَأَجدَرِ[1]*

تنتمي القطعة إلى رائية **عروة** الشهيرة، التي ذكر فيها صفات الصعلوكين الخامل والنشيط، فعروة يصف النشيط بالوجه المنير، والنشاط والحركة الدائمة، فهو دائم الإطلالة على أعدائه الكُثُر، كثرة غاراته وغزواته، وهؤلاء الأعداء ينتظرونه دومًا في ديارهم، ويهيئون أنفسهم للظفر به والنيل منه، لكثرة ما فعله بهم من نهب وسلب وقتل، فيترصدونه، وإذا ما رأوه زجروه وصاحوا به حتى لا يغزوهم، فهذا الصعلوك النشيط غير مأمون الجانب، فإذا ابتعدوا عنه لا يأمنونه، فهو شرارة أو شظية تصيبهم حتى وإن كان بعيدًا عنهم. وهذا الصعلوك، إنْ ماتَ، سيموتُ عزيزًا كريمًا حميدًا، وإن بقيَ على قيد الحياة واغتنى، فهو أهل لثرائه وغناه.

ويُعبّر ميدان المعركة هنا عن صفات عروة، التي ألبسها غيره من الصعاليك، فيجعل نفسه أنموذجًا يُحتذى، ويتدثر بصفات عليا، وخلالٍ مُثلى، رجلٌ لا يخشى الموت ولا يهابه، يُقدّم بكلّ شجاعة وبأسٍ على أعدائه، يغزوهم في عقر دارهم، ويزرعُ في نفوسهم الهلع والفزع، ويترصدونه بخوفٍ لا يقدرون على النيل منه.

وإن نالوا منه، **فعروة** سيموت عزيزًا كريمًا، ومتى ما بقيَ حيًا فإنه سينالُ مرادهُ وهدفه من الغزو وهو الثراء، لكسر تلك النظرة الدونية التي تنظر بها قبيلته وعاذلته إليه.

ويقول **السليك بن السلكة** (من الطويل):

وَضـارَبتُ عَنـهُ القَـومَ حَتّـى كَأَنَّمـا يُصَـعِّدُ فـي آثـارِهِم وَيَصـوبُ
وَقُلـتُ لَـهُ: خُـذ هَجمَـةً حِميريـةً وَأَهـلاً، وَلا يَبعُـد عَلَيـكَ شَـروبُ
وَلَيلَـةَ جابـانٍ كَـرَرتُ عَلَـيهِمُ عَلـى ساحَةٍ فيهـا الإِيَـابُ حَبيـبُ
عَشـيَّةَ ضَـلَّتْ للحَرامـيِّ ناقَـةٌ بِحَـيِّهَلا يَـدعو بِهـا فَتُجيـبُ

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص69.

* **مُطلا:** مُشرفًا. **يزجرونه:** يصيحون به. **المنيح:** سريع الخروج.

فَضارَبتُ أُولَى الخَيلِ حَتّى كَأَنَّما أُميلَ عَلَيها أَيدَعٌ وَصَبيبُ[1]*

يذكر **السليكُ** بطولاته في هذه القصيدة وكيف دافع عن صديقه "**صُرَد**"، فقد هجم بسيفٍ على عدوّه فقتله، ليخبرنا بعدها عن ليلةٍ هجم فيها على قبيلة "جابان" فكرّ عليهم ومعن فيهم قتلًا، وكيف ضاربَ خيلهم حتى امتلأ المكان دمًا.

ويعبّر ميدان المعركة هنا عن شجاعة **السليك** وإقدامه على المخاطر، فالرجل، واجهَ الموت بكلّ بأسٍ وحزمٍ، ولم يُخِفْهُ كثرة عدد الأعداء، قتلهم وسلب أموالهم فغنم منهم.

كما يعبّر عن رابطة الصداقة القوية، التي تجمعه مع صاحبه "**صرد**"، فهو لم يُسلمهُ لأعدائه، ولم يتوانَ في الدفاع عنه، هو **السليك** الوفيّ، الخلّ الذي لا يرى في صاحبه عبئًا ثقيلًا عليه، بل هما معًا، يموتان سويةً، أو ينجوَا ويغنمَا.

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ
خَرَجنا فَلَم نَعهد وَقَلَّت وَصاتُنا ثَمانِيَةٌ ما بَعدها مُتَعَتَّبُ
سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ
نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحًا وَقَد طَوَت ثَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ
ثَلاثًا عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا عَلى العَوصِ شَعشاعٍ مِنَ القَومِ مِحرَبُ
فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ
فَشَنَّ عَلَيهِم هَزَّةَ السَيف ثابِتٌ وَصَمَّمَ فيهِم بِالحُسام المُسَيَّبُ
وَظِلتُ بِفِتيانٍ مَعي أَتَّقيهُمُ بِهِنَّ قَليلاً ساعَةً ثُمَّ خُيِّبوا
وَقَد خَرَّ مِنهُم رَاجِلانِ وَفارِسٌ كَمِيٌّ صَرَعناهُ وَخومٌ مُسَلَّبُ
يَشُنُّ إِلَيهِ كُلُّ ريعٍ وَقَلعَةٍ ثَمانِيَةً وَالقَومُ رِجلٌ وَمِقنَبُ

---

[1] السليك بن السلكة، أخباره وأشعاره، ص46.

* **الهجمة:** ما زاد على الأربعين من الإبل، وما بين السبعين إلى المئة. **شروب:** ما يُشرب. **الأيدعُ:** دم الأخوين. **الصبيب:** الحِنّاء.

فَلَمّـــا رَآنـــا قَومُنـــا قيـــلَ أَفلِحـــوا فَقُلنـــا اِســـأَلوا عَـــن قائِـــلٍ لا يُكَـــذَّبُ[1]*

يبتدئ **الشنفرى** قصيدته بتقرير حقيقة مفادها بأنه سيموت يومًا ما، ثم يأخذ في سرد مغامرة من مغامرته، إذ خرجَ ومن معهُ ولم يوصوا بأهلهم وعيالهم، وكلهم ذئاب صعاليك فتيانٌ في أوجّ النشاط، يمرون على مورد ماءٍ يستاقون منه ومعهم زاد قليل ساروا مدة ثلاثة أيام، بما تحملهُ من مشاقّ الطريق ووحشة الصحراء وحرارة الجوّ، حتى أشرفوا على قبيلة **العوص** فوجدوا منهم فارسًا ضخمًا، أوكلوه الحراسة، فانتبهَ **للشنفرى** ومن معه.

وعادة الصعاليك الهجومُ ليلًا، فهو وقتُ خلود الناس للنوم، فيستغلّ الصعاليك ظلمة الليل وهجوع السكان للغزو، لكنهم مع العوص وجدوهم مستعدين لأيّ غيلة، فما كان من الصعاليك إلّا أن يهجموا على العوص، فبدأوا بالصياح لتنبيه بعضهم البعض، ثم مضى "ثابت" "تأبط شرا" بسيفه فيهم، فهجم عليهم بكلّ شجاعة، وكذلك فعل "المسيّب".

أما **الشنفرى** فبقي مع مجموعة من الصعاليك يقاوم هجوم **العوص**، حتى نال منهم، وكانت حصيلة المعركة أن قُتِلَ من العوص راجلان وفارسٌ شديدٌ بأسُهُ فتركوه مُلقًى على الأرض لتنهشه السّباع أو لتقتات منه الطيور الجوارح.

ويُعبّر ميدان المعركة في الأبيات السابقة عن الخطر الذي يعيشه الصعاليك، فليست كلّ غاراتهم مضمونه، فهم معرّضون للموت في أيّة لحظة، كما أنّهم متّحدون حسنو التخطيط، ولكلّ واحدٍ منهم دوره، في إطار فردي أو جماعي، والصعاليك فتيانٌ يُحسنون الكرّ على العدوّ، والفرّ إذا كان في الفرار غنيمة، فهي استراتيجية عندهم.

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص ص27-29.

* **أغيّب:** أغيّب في غياهب القبر. **السّراحين:** جمع سرحان، وهو الذئب. **الرّهو:** المكان المنخفض يجتمع فيه الماء. **الشمائل:** جمع الشّميلة، وهي الخُلُق. **الزّاد ظنّ مغيّب:** كناية عن عدم امتلاك الزاد. **ثلاثًا:** ثلاثة أيام. **العوص:** حيّ من بجيلة. **الشعشاع:** الطويل الحسن. **المحرب:** صاحب الحرب، وقيل: الشجاع الشديد الحرب. **السّواد:** الظلمة. **هجهجوا:** صاحوا. **المثوّب:** الراجع، العائد. **صمّم بالسيف:** مضى إلى العظم وقطعه. **الحسام:** السّيف. **ظللت:** ظللت. **خرّ:** سقط، مات. **الكميّ:** الشجاع، واللابس السلاح. **صرعناه:** قتلناه. **القرم:** السّيّد، العظيم. **المسلّب:** المُلقى. **الرّيع:** المكان المرتفع. **أفلحوا:** نجحوا، ظفروا بما يريدون.

دون أن ننسى أنّ الصعاليك لا يوصون بأهلهم، وكأنهم خلّفوا كلّ شيء وراءهم فلا يلتفتون إليه، وإن التفتوا ففي ذلك حرصٌ منهم على الحياة، وهو ما يجعل الخوف يتغلغل إلى نفوسهم فيحجمون على المغامرة واقتحام المهالك خوفًا على أنفسهم من الموت.

ويقول في موضع آخر (من الطويل):

وَأُمَّ عِيالٍ، قَد شَهِدتُ، تَقوتُهُم	**إذا أَطعَمَتهُم أَوتَحَت وَأَقَلَّتِ**
تَخافُ عَلَينا العَيلَ إن هِيَ أَكثَرَت	**وَنَحنُ جِياعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ**
مُصَعلِكَةٌ لا يَقصُرُ السِترُ دونَها	**وَلا تُرتَجى لِلبَيتِ إن لَم تُبَيَّتِ**
لَها وَفضَةٌ مِنها ثَلاثونَ سَيحَفًا	**إذا آنَسَت أولى العَدِيَّ اقشَعَرَّتِ**
وَتَأتي العَدِيَّ بارِزًا نِصفُ ساقِها	**تَجولُ كَعَيرِ العانَةِ المُتَلَفَّتِ**
إذا فَزِعوا طارَت بِأَبيَضَ صارِمٍ	**وَرامَت بِما في جَفرِها ثُمَّ سَلَّتِ**
حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ صافٍ حَديدُهُ	**جُرازٍ كَأَقطاعِ الغَديرِ المُنَعَّتِ**
تَراها كَأَذنابِ الحَسيلِ صَوادِرًا	**وَقَد نَهِلَت مِنَ الدِماءِ وَعَلَّتِ**
قَتَلنا قَتيلاً مُحرِمًا بِمُلَبَّدٍ	**جِمارَ مِنًى وَسطَ الحَجيجِ المُصَوَّتِ**
جَزَينا سَلامانَ بنَ مُفرِجَ قَرضَها	**بِما قَدَّمَت أَيديهِمُ وَأَزَلَّتِ(1)***

يبدأ **الشنفرى** أبياته بوصف "**أمّ العيال**"، وهو لقب أطلقه على **تأبّط شرًا**، لأنّه كان يقوم على شؤونهم، كأمّهم، فيصوّره أُمًّا حريصةً على أبنائها، تقسم الطعام بينهم، وهي

(1) ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص ص35–37.

*أمّ عيال: تأبط شرا. **تقوتهم:** تطعمهم. **أوتحت:** أعطت قليلا. **العيل:** الفقر. **أيّ آلٍ تألّت:** أيّ سياسةٍ ساست. **مصعلكة:** صاحبة صعاليك. **لا يقصر السّتر دونها:** لا يُغطي أمرها، فهي مكشوفة. **الوفضة:** جعبة السهام. **السيحف:** السهم العريض النصل. **آنست:** أحسّت وأبصرت. **العديّ:** جماعة القوم يعدّون للقتال. **اقشعرّت:** تهيأت للقتال. **العير:** الحمار الوحشي. **العانة:** الأتان. **الجفر:** كِنانة السهم. **الجُراز:** السيف القاطع. **أقطاع الغدير:** القطع من مائه يضربها الهواء فتتكسر وتبرق. **المنعّت:** الموصوف بالحُسن، بالغ الجودة. **الحسيل:** جمع حسيلة، وهي أولاد البقر. **صوادر:** رجع من الشرب. **نهلت:** شربت الشرب الأول. **علّت:** شربت تباعًا. **المُحرم:** الداخل في الحرم. **مُلبّد:** إشارة إلى عادة العرب في العصر الجاهلي بدهن شعورهم بشيء من الصّمغ للتلبد. **المصوّت:** الذي يجهر بصوته في الدعاء ونحوه. **الجمار:** الحصى التي يرمي بها الحاجّ في منى. **منى:** مكان في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي بها الجمار في الحرم. **سلامان بن مفرج:** بطنٌ من الأزد، وهم بنو عمّ الشنفرى، وقيل: كانوا قتلوا أباه. **أزلّت:** قدّمت.

مُقلّةٌ خوف نفاد الزّاد والإصابة بالمخمصة، وهم جياعٌ، ومع هذا لا تتحرك عواطفُها، بل تبقى حازمةً حريصةً.

ثمّ يصفُ أسلحتها، فلها جعبةٌ ملأى بثلاثين سهمًا حسن الصنع، وإذا ما أحسّت عدوًا انتفضت وقامت وراحت تقابله، فإذا نصفُ ساقها بارزٌ نحيلٌ، تجولُ الحمار الذي يغارُ على أتانه، فهو غاضبٌ ملتصقٌ بأتانه لا يتركها وحيدةً.

وإذا فزعَ أعداؤها وتحرّكوا؛ قفزت وطارت إليهم كالعقاب الجارح بسيفٍ حادٍ بتّار تُعملُ فيهم الطّعن والقتل، تضربُ يمنة ويسرة بخفةٍ، كأنّ السيف في يدها أذناب بقرٍ تُبعد الذباب عنها في مرونة تامة.

وكانت خلاصة المعركة أن قُتل "**محرم**" وسط الحجيج وصوتهم الذي يدوي في الآفاق، وما هذا إلا جزاءً أو دفع ثمنٍ لدين **بني سلامان** الذين قتلوا أبا **الشنفرى**، فهذا بعض ثأره، وهم يستحقون القتلَ على فعلتهم.

ويُعبّر ميدان المعركة على المعاناة الدائمة والصراع الذي يعيشه الصعاليك، فهم لا يأمنون على حياتهم، حتى وهم بعيدون على القبائل، إذ تلحقهم القبيلة وتتبع أثرهم حتى تجدهم وتقتلهم، وهنا تظهر شجاعة الصعاليك وتأهبهم الدائم، فهم لا يغفلون، حذرون في حركاتهم وسكناتهم ووقت طعامهم، حتى إذا أحسوا بحركة حولهم طاروا بسيوفهم يُقطّعون رؤوس الأعادي، ويُطيّرونها في الهواء.

كما أنّ الجوع صاحبهم الدائم، حتى وهم يملكون زاد يومهم، لكنهم يخافون أن يطول بهم الزمن ولا يستطيعون الإغارة، فيقتصدون طعام اليوم ليأكلوه في الغد.

وقال **تأبط شرا** (من الطويل):

وَيَومِـكَ، يَـومِ العَيكَتَـينِ، وَعَطفَـةٍ ... عَطَفتَ وَقَد مَسَّ القُلوبَ الحَناجِرُ

تَجـولُ بِبَـزِّ المَـوتِ فـيهِم كَـأَنَّهُم، ... بِشَـوكَتِكَ الحُـدّى، ضَـئينٌ نَـوافِرُ

وَطَعنَـةِ خَلسٍ قَد طَعَنتَ مُرِشَّـةٍ ... لَهـا نَفَـذٌ تَضِـلُّ فيـهِ المَسـابِرُ

إِذا كُشِفَت عَنها السُتورُ شَحا لَها ... فَـمٌ، كَفَـمِ العَـزلاءِ، فَيحـانُ فـاغِرُ

يَظَـلُّ لَهـا الآسـي يَميـدُ كَأَنَّـهُ ... نَزيـفٌ هَراقَـت لُبَّـهُ الخَمـرُ ساكِرُ

فَيَكفي الَّذي يَكفي الكَريمُ بِحَزمِهِ، وَيَصبِرُ، إِنَّ الحُرَّ مِثلَكَ صابِرُ
فَإِن تَكُ نَفسُ "الشَنفَرى" حُمَّ يَومُها وَراحَ لَهُ ما كانَ مِنهُ يُحاذِرُ
فَما كانَ بِدعًا أَن يُصابَ، فَمِثلُهُ أُصيبَ، وَحُمَّ المُلتَجونَ الفَوادِرُ
قَضى نَحبَهُ مُستَكثِرًا مِن جَميلِهِ، مُقِلا مِنَ الفَحشاءِ، وَالعِرضُ وافِرُ[1]*

تنتمي الأبياتُ إلى رثائية **تأبط شرًا** في **الشنفرى، وتأبط** هنا يذكر حال **الشنفرى** في مواجهة الأعداء، فهو يجول وسطهم يقتلهم واحدًا إثر واحد، يضاربهم يمينًا وشمالًا، فيفرّق شملهم كأنهم نعاج خائفة، وطعناته عميقة تعجز المسابر عن قياس عمقها، وإذا ما كُشِف الغطاء عن الطعنة برزت غائرة واسعة، يظلّ المطعون يترنّح كسكران أكثر الشرب، ويكفيه هذا، فهو حازمٌ كريمٌ، صبورٌ على القتال ومواجهة الموت. ويخلص **تأبط شرا** إلى أنّ **الشنفرى** في موته ليس أمرًا جديدًا عليه، فقد كان يتوقعه دومًا فهو مصير كلّ إنسانٍ، ويكفيه أنه مات شريفًا كريمًا عزيزًا، تشهد بذلك خصاله وعرضه النقي.

ويعبّر ميدان المعركة في هذه الأبيات عن صراع الصعاليك مع القبيلة، والذي أدّى إلى موت **الشنفرى**، وعن شجاعته في مواجهتهم، فلم يفر أو يرتجف، بل طاعن، وقاتل حتى قُتل، مات وخلّف وراءه صديقه **تأبط شرا** يرثيه ويذكر محاسنه، ويبكي فراقه، **فالشنفرى** أهل لكلّ خير.

وقال **تأبّط شرًا** (من البسيط):

إِنّي، إِذا خُلَّةٌ ضَنَّت بِنائِلِها وَأَمسَكَت بِضَعيفِ الوَصلِ أَحذاقِ
نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلقَيتُ، لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ، أَرواقِي

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص79-81.

* **يوم العيكتين:** العيكتان جبلان معروفان، وهو يوم **لتأبّط شرا والشنفرى وعمرو بن براقة** مع **بجيلة. العطفة:** الكرّة والهجمة. **مسّت القلوب الحناجر:** كناية عن الخوف والهلع. **بزّ الموت:** السلاح. **الحُدّى:** من الحدّة، وأراد الحادّة. **ضئين:** جمع ضأن، وهي الغنم. **طعنة خلس:** طعنة يختلسها وينتهزها الطاعن بحذقه. **مُرشّة:** تنشر الدم وترشّه. **النّفذ:** اسم الإنفاذ وللطعنة أن تخرج من الجانب الآخر. **المسابر:** جمع مسبار وهو أداة يُسبر بها ويقدّر غورُ الجراحات. **شحا:** انفتح. **العزلاء:** مصبّ الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يُستفرغُ ما فيها من الماء. **فيحان:** واسع. **فاغر:** منفرج مفتوح. **الآسي:** من يلتمس لجرحه أسوًا أي علاجًا والأسو الدّواء. **النزيف:** السكران المُنزَف العقل. **هراقت:** أراقت، وهراقت لُبّه أي أذهبت عقله. **حُمّ:** قُدّر وقُضيَ. **الملتجون:** من لجأ إلى الجبل وتحصّن به. **الفوادر:** جمع فادر، وهو الجليل من الأروى في أعالي الجبال.

لَيلَـةَ صـاحوا، وَأَغـرَوا بـي سِراعَهُمُ بِـالعَيكَتَينِ لَـدى مَعـدى اِبـنِ بَـرّاقِ
كَأَنَّمـــا حَثحَثــوا حُصَّـــا قَوادِمُـــهُ، أَو أُمَّ خِشــفٍ بِــذي شَــثٍّ وَطُبّــاقِ
لا شَـيءَ أَسرَعُ مِنّـي، لَيسَ ذا عُذَرٍ وَذا جَنــاحٍ، بِجَنــبِ الرَيــدِ، خَفّــاقِ
حَتّــى نَجَـوتُ وَلَمّــا يَنزِعـوا سَـلَبي بِوالِـهٍ، مِـن قَبـيضِ الشَدِّ،غَيداقِ[1]*

وردت الأبيات في قافية **تأبّط شرًا** المفضّلية، وفيها يذكر مغامرته مع **عمرو بن براقة** حين أغاروا على قبيلة **بجيلة**.

وتبدأ الأبيات بذكر العاذلة التي تَعدُ من يرغبُ في وصالها ثم تخذله ولا تصله، فيتركها لينجو منها كما نجا من بجيلة، إذ كمنوا **لتأبط شرا** وصاحبه للنيل منهما، بمكان يسمى **العيكتين**، ونجا صاحبانا من بجيلة بذكائهما وسرعة عدوهما، وقد عدا خلفهما رجالُ بجيلة كالطيور الكواسر، أو كالغزال الصغير يتبع مرعى طيبًا يأكله. ويفخر **تأبط شرا** بسرعة عدوه حتى أنه يكون أسرع من الخيول، ومن الطيور التي تطير في الفضاء وتعلو حتى تفوق قمم الجبال، والنتيجة الحتمية أنه نجا وصاحبَهُ، وهما بكامل الغنيمة التي ظفرَا بها سابقًا.

ويُعبّر ميدان المعركة عن الصراع القائم بين القبيلة والصعاليك، وحرصًا على النيل منهم بأسرهم أو قتلهم، فالصعاليك دائمو الغزو والإغارة، مما أقلق ليل القبيلة الهادئ، وجعلهم يخسرون كثيرًا من أموالهم. كما يُعبّر عن استراتيجية الفرار عند الصعاليك، وحُسن التّخلّص من المآزق للحفاظ على الحياة من جهة، والظفر بغنائم أكثر من جهة ثانية.

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص129-134.

* **خُلة:** صديقة. **ضنّت:** بخلت. **أحذاق:** متقطع، جمعٌ وصفَ به الواحد، أي وَصْل أو حبل متقطع ضعيف. **الخبت:** المنخفض من الأرض. **الرهط:** موضع في ديار هذيل، وقيل في بلاد بجيلة. **ألقى أرواقه:** استفرغ جهده. **العيكتان:** موضع في ديار بجيلة. **المعدى:** الموضع الذي تُعدى فيه. **حثحثوا:** حثوّا. **حُص القوادم:** ظليم تناثرَ ريشه. **أم خشف:** ظبية. **ذو شث وطباق:** موضع رعت فيه الظبية الشثَّ والطباقَ وهما نبتان يقويان الراعية ويُضمّرانها. **العُذَرُ:** جمعُ عذرة، وهي الخُصلة من الشعر يُقبل على الوجه، وهي العرف، وعنى بذي عُذرٍ فرسًا. **الريد:** الذروة الأعلى من الجبل. **خفّاق:** صيغة مبالغة أي كثير الخفق. **ذي جناح:** الطير الجارح في أعلى الجبل. **الواله:** الذاهب العقل. **قبيض الشد:** سريع العدو شديده. **الغيداق:** الكثير الواسع.

نخلص مما سبق، إلى أنّ ميدان المعركة يُعبّر عن الاضطراب والقلق الملازم للصعاليك في حياتهم جرّاء الصراع الذي يعيشونه، فهم مطلوبون من القبيلة، تودّ النيل منهم، لا يأمنون على حياتهم، فالموت يترصّدهم ويترقّبهم في كلّ حين، ومع هذا، فهم مستعدّون لمواجهته والموت في سبيل تحقيق أهدافهم من غزو وإغارة وسلب ونهب للغنى، ولإثبات الذات التي تنظر إليها القبيلة نظرة دونية.

كما يحمل ميدان المعركة أهم استراتيجية من استراتيجيات الصعاليك، وهي الفرار، فهذا الأخيرة وسيلة من وسائل خوض المعارك عند الصعاليك، يلجؤون إليه في الحالات التي ييأسون فيها من الحياة، فالفرار عندهم صنو الشجاعة والإقدام؛ لا بدّ منه، فبه يحفظون حياتهم، وحياة من معهم، فهم المعيلون لعيالهم والفقراء والمستضعفين.

5-2-الشّعاب والفجاج

تُمثّل الشّعاب والفجاج مسالكَ يتخذها الصعاليك نقاط وصلٍ بين الأماكن التي يقصدونها للإغارة أو المراقبة أو الراحة، ولم يتوقف الصعاليك عند وصفها بقدر ما كان الغرض من ذكرها التركيزُ على الموقفِ أو الحدث الذي وقع في هذا المكان، وذكرُ الهدف من التواجد فيه.

ولعلّ طبيعة الحياة التي يعيشها الصعاليك هي التي فرضت عليهم التواجد في هذه الأماكن[1]، فهم مطلوبون من القبائل، تودّ النّيل منهم والثأر نتيجة إغاراتهم وجرائرهم الكثيرة فيها.

ومن الأشعار التي ورد فيها الشّعب/الفج قول **تأبط شرا** (من الطويل):

وَشَعبٍ كَشَلِّ الثَوبِ، شَكسٍ طَريقُهُ مَجامِعُ صوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ
تَعَسَّفتُهُ بِاللَيلِ، لَم يَهدِني لَهُ دَليلٌ، وَلَم يُحسِن لِيَ النَعتَ خابِرُ
لَدُن مَطلَعِ الشِعرى، قَليلٍ أَنيسُهُ كَأَنَّ الطَخا في جانِبَيهِ مَعاجِرُ
بِهِ مِن نَجاءِ الدَلوِ بيضٌ أَقَرَّها جُبارٌ، لِصُمِّ الصَخرِ فيهِ قَراقِرُ

[1] ينظر، سمية الهادي، سيميائية المكان في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي، إشراف: عباس بن يحي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، نوقشت بتاريخ: 2015/12/03م، ص167.

وَمَــرِّرنَ حَتّــى كُــنَّ لِلمــاءِ مُنتَهًــى وَغــادَرَهُنَّ السَــيلُ فيمــا يُغــادِرُ
بِــهِ نُطَــفٌ زُرقٌ، قَليــلٌ تُرابُهــا جَـلا المـاءُ عَن أَرجائِها فَهوَ حـائِرُ
بِــهِ سَــمَلاتٌ مِــن مِيــاهٍ قَديمَــةٍ مَوارِدُهـا مـا إِن لَهُـنَّ مَصـادِرُ[(1)]*

يبدأ **تأبّط شرًا** قصيدته بذكر الشِّعب، فيُقدّم له أوصافًا، فهو شِعب كالثوب؛ ضيّقٌ، يصعب اختراقه وعبوره، مرّ به ليلًا دون مساعدة أيّ خبير أو دليل، وخرج منه نهارًا في ذروة الحرارة، لا مؤنس له فيه، ولا يكاد السحاب يغطّي أرجاءه، نزل عليه المطرُ قليلًا ومضى، ليخلف وراءهُ جدول ماءٍ انسابَ وتسلّل بين الصخور، ما أحدثَ صوتًا كسر سكون المكان. وحين غادر السيلُ خلفَ بِرَك ماءٍ صافٍ يتلألأ كاللؤلؤ.

ويُعبّر الشّعب عن الصراع النفسي والضيق والتوتر الذي يعيشه الصعلوك، فالحياة التي يعيشها صعبةٌ، صعوبةَ البحث عن الطّعام وإثبات الذات، وصعوبة الموت الذي يلاحقه في كلّ مكان، فنحن نعلم أنّ القبيلة تبحث عن الصعاليك لقتلهم والتخلّص من جرائرهم وإغاراتهم وما يخلفونه فيها من فزع وسلب ونهب.

وقال **تأبّط شرًا** (من الطويل):

وَبِالشّـعبِ، إِذ سَـدَّت بَجيلَـةُ فَجَّـهُ، وَمِـن خَلفِـهِ هَضـبٌ صِـعابٌ وَجامِـلُ
شَـدَدتُ لِـنَفسِ المَـرءِ مَـرَّةَ حَزمَـهُ، وَقَـد نُصِـبَت دونَ النَجـاءِ الحَبائِـلُ
وَقُلـتُ لَـهُ: كُـن خَلـفَ ظَهري فَـإِنَّني سَـأَفديكَ وَانظُـر بَعـدُ مـا أَنـتَ فاعِـلُ
فَعـاذَ بِحَـدِّ السَـيفِ صـاحِبُ أَمـرِهِم وَخَلّوا عَنِ الشَـيءِ الَّـذي لَـم يُحـاوِلوا

---

(1) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص94-96.

* **الشّعب:** الطريق في الجبل. **شل الثوب:** خياطته خياطة خفيفة. **شكس:** ضيّق وعر. **مجامع:** ما اجتمع من الرمل. **صوحيه:** أي طرفيه أو جانبيه. **نطافٌ مخاصر:** قليلة صغيرة. **تعسّفته:** سرت فيه بغير علم ولا هداية ولا أثر. **خابر:** الذي يُخبرُ بالشيء ويدُلُّ عليه. **مطلع الشعرى:** كناية عن الحر الشديد. **الطخا:** السحاب الرقيق. **معاجر:** جمعُ معجر، وهو ثوب تلفه المرأة على رأسها، وهو أيضا العمامة يتعممها الرجل ويردّ طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه. **نجاء:** جمع نجو، وهو السحاب الذي هراق ماءه ثم مضى، وقيل هو السحاب أو ما ينشأ. **بيض:** بقايا الماء. **الجُبار:** السيل. **قراقر:** من القرقرة وهي صوت اصطدام الماء بالصخر. **مررن:** ذهب السيل بهن بين الصخور. **منتهى:** مستقرًا. **نُطف:** جمع نطفة، وهي المويهة القليلة. **زرق:** من الصفاء. **جلا:** ذهب. **أرجاء النطفة أو البئر:** جوانبها. **حائر:** راجع من الحَوَر وهو الرجوع. **سملات:** جمع سملة، وهي بقية الماء في حوض أو غيره. **الموارد:** جمع مورد، وهو الطريق إلى النبع أو الماء.

وَأَخطَـأَهُم قَتلـي، وَرَفَّعـتُ صـاحِبي عَلـى اللَيـلِ، لَـم تُؤخَـذ عَلَيـهِ المَخاتِـلُ
وَأَشـطَأَ غُـنمَ الحَـيِّ "مُـرَّةُ" بَعـدَما حَوَتـــهُ إِلَيـــهِ كَفُّـــهُ وَالأَنامِـــلُ
يَعَضُّ عَلـى أَطرافِـهِ.. كَيـفَ زَولُـهُ؟! وَدونَ المَلا سَهلٌ مِنَ الأَرضِ ماثِلُ[1]*

يصفُ **تأبط شرا** حاله وحال صاحبه معه "**مُرة بن خليف**"، إذ سدّت عليهم "**بجيلة**" الشّعبَ، ممّا أثار الذُّعرَ والفزع في نفس "**مُرّة بن خليف**"، الذي خشيَ أن تغتاله "**بجيلة**"، بَيْدَ أنّ **تأبّط شرًا** تحلّى بالشجاعة والثبات وهدّأ من روع صاحبه، فطلبَ أن يحتمي بظهره حتى لا يُصيبه الأعداء بأسلحتهم. ونجا **تأبط شرا** وصاحبه بعد أن تركا ما غنماه من الإبل والأغنام، وتحسّر "**مُرّة**" على فقدان غنيمته.

ويُعبّر الشّعبِ عن الصراع الدائم الذي يعيشه الصعاليك في حياتهم في مواجه القبيلة التي أهدرت دماءهم، وبقيت تتبعهم لتقضي عليهم لما خلفوه فيها من إغارة وسفك الدماء، ولما يحملونه من أفكار ثورية تهدد مصير ساداتها المستثأرين بالأموال، فإغارتهم تجرّ وراءها الخطر، فالقبيلة لا تستكين لسلب أنعامها، بل تتبع ما سُلب منها بغية استردادها والقضاء على من سوّلت له نفسه غزوها والإغارة عليها. كما أنّ الشِّعب الذي كان فيه **تأبط** وصاحبه، ازداد ضيقًا بإغلاقه وسدّه من طرف "**بجيلة**"، فقد زادت القبيلة التضييق على الصعلوكين، حتى كادا يموتان. وممّا يُنسب إلى **تأبط شرا** وغيره[2] قوله (من المديد):

إِنّ بِالشِـــعبِ الَّـــذي دونَ سَـــلعٍ لَقَتَـــيلاً دَمُـــهُ مـــا يُطَـــلُّ
خَلَّـــفَ العِـــبءَ عَلَـــيَّ وَوَلّـــى أَنـــا بِالعِـــبءِ لَـــهُ مُســـتَقِلُّ
وَوَراءَ الثَـــأرِ مِنّـــي اِبـــنُ أُخـــتٍ مَصِـــعٌ عُقدَتُـــهُ مـــا تُحَـــلُّ
مُطـرِقٌ يَرشَـحُ مَوتًـا، كَمـا أَطـرَقَ أَفعـــى يَنفُـــثُ السَـــمَّ صِـــلُّ[3]**

---

[1] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص157-159.

* **الهضبُ:** جمع هضبة، وهي الصخرة الراسية الصلبة الضخمة، ومنه جماعة الجبال الذّكور المكتملة الشديدة. **مُرة:** هو مُرّة بن خليف، وهو صاحب لتأبط شرا والشنفرى كان يخرج معهما وغيره في غزواتهم. **أخطأ:** فات وتركَ. **غُنم الحي:** ما كانا قد استلباه وغنماه من قبل.

[2] ينظر، محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، ص148 وما بعدها.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ص247-248.

** **سَلْع:** اسم موضع. **مُستقلّ:** متحمّل له غير عاجز عنه. **المصع:** ذو القتال الشديد الذي لا يلين. **مطرق:** الذي أرخى عينيه نحو الأرض. **الصّل:** كل خبيثٍ من الأفاعي.

تدورُ الأبياتُ حول الأخذ بالثأر، إذ –حسب الرواية– قتل "**بنو سلامان**" **الشنفرى**، فنظم **تأبّط شرًا** هذه الأبيات في رثائه، وللأخذ بثأره، وسيأخذه وحده، مقتدرًا عليه، لا يرجو أن يساعده أحد، فليس له قبيلة يعتمد عليها في ثأره، فقد هدرت دمه ودم غيره من الصعاليك، والخلع التبرؤ من الشخص، فإن قُتِلَ لم تطالب بدمه. ويواصل **تأبط شرا** تتبع ثأره، فإن قُتِلَ هو أيضًا فله ابن أخت كفيل بأخذ ثأره أيضا **(خفاف بن فضلة)**.

فيعبّر الشِّعب عن الألم العميق الذي تجيش به نفس **تأبط شرا**؛ ألم الفراق وفقد **الشنفرى**، وكذا ألم حرمانه من المساعدة لنيل ثأره، فليس سهلًا أن يأخذ المرءُ ثأرَهُ من قبيلة كاملة وهو وحيدٌ دون عَضُدٍ يشدّ به نفسه ويعينها.

وقال **عروة بن الورد** (من الطويل):

إذا المَرءُ لَم يَبعَث سَوامًا وَلَم يُرَح ... عَلَيهِ، وَلَم تَعطِف عَلَيهِ أَقارِبُه
فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ ... فَقيرًا، وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقارِبُه
وَسائِلَةٍ: أَينَ الرَحيلُ؟ وَسائِلٍ، ... وَمَن يَسأَل الصُعلوكَ: أَينَ مَذاهِبُه؟
مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ، ... إِذا ضَنَّ عَنهُ، بِالفَعالِ، أَقارِبُه
فَلا أَترُكُ الإِخوانَ، ما عُشتُ لِلرَدى، ... كَما أَنَّهُ لا يَترُكُ الماءُ شارِبُه
وَلا يُستَضامُ الدَهرَ، جاري، وَلا أُرى ... كَمَن باتَ تَسري لِلصَديقِ عَقارِبُه
وَإِن جارَتي أَلوَت رِياحٌ بِبَيتِها، ... تَغافَلتُ، حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه[1]*

يَنقُلُ **عروة** صورةً من صور الثقافة في المجتمع الجاهلي، فقد ارتبطت النظرة الدونية والاستعلائية، بالإضافة إلى النسب، بالجانب المادي للفرد، فمن كان فقيرًا فهو محتقر ومزدرى في قومه، لذا، **فعروة** يضعُ شرطًا للحياة الكريمة، وهو أن يكون ثريًا ذا إبلٍ ترعى. وأمّا إن لم تتوافر الإبل، وكان فقيرًا؛ لم يُساعده أهله وعشيرته فإنّ الموت خيرٌ له من أن يعيش فقيرًا مُهانًا.

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص48.

* **السوام:** الماشية والإبل الراعية. **يرح عليه:** ترد إبله إلى مراحها. **المولى:** هنا؛ ابن العم. **الفجاج:** جمعُ فج، وهو الطريق الواضح بين الجبلين. **الرّدى:** الهلاك. **شاربُه:** المقصود هو الظمآن. **يُستضام:** يُظلم. **ألوت به:** ذهبت به. **البيت:** (في العجز) أي صاحبة البيت. **الجانب:** الناحية، الفِناء.

ليحيلنا بعدها إلى سؤال: "**أين الرحيل؟**"، أي أين وجهتك بعد رحيلك، أين ستذهب وأنت الفقير الذي ليس لك عِولٌ أو عضد تعتمد عليه. فيُجيب أنه سيرحلُ إلى الأرض الواسعة لأنّ قومه بخلوه وضنوا عنه، ثم يقطع عهدًا على نفسه بأنه لن يترك من هم في حاجته للصعاب والشدائد، لأنه متعلّق بهم ومتعلقون به، ثم يذكر خصلة من خصاله الأخلاقية الراقية وهي عدم تتبع عورات جيرانه وأهله، وإن حدث وأن كُشفت عورة بيت جارته، فإنه سيغضّ بصره حتى لا يكشفها.

ويعبّر الفجّ ها هنا عن الصراع والضيق الذي يعيشه عروة في قبيلته؛ من ضيم واحتقار ودونية، حتى جعله ينظر في الفجّ الضّيّق مُتّسعًا يستوعبه ويستوعب همومه وأهدافه.

نخلصُ ممّا سبق إلى أنّ الشّعب/ الفج يُعبّر عن الصراع في حياة الصعاليك والضيق الذي فرضته عليهم قبائلهم، فقد أطبقت عليهم من كلّ جانب؛ نظرة دونية حول النّسب، واحتقار للفقراء، وتخلٍّ وخلع للفعال، وهدرٍ للدم، وتبرءٍ، وختامها تتبعهم حتى تقتلهم لتمردهم وكثرة غزواتهم وإغاراتهم، ولكنهم مع هذا ينجون ويخلصون نحو أهدافهم التي يرومونها بحثًا عن الحرية والغنى، وثورة على القبيلة وأعرافها الظالمة التي تسمح لفئة قليلة بالاستئثار بالمال في مقابل فئة كبيرة فقيرة، فعبور الشّعاب الضّيّقة نحو الأفق الواسع، خروج من الاضطهاد إلى الحرية.

5-3- القبر*

كان لعرب الجاهلية اعتقادات حول الموت والموتى والقبور، وآمنوا بأنّ المقابر مجتمع الأرواح، فالأرواح تجتمع حول القبور، وتطير فوقها، وهذا مأخوذ من إيمانهم بوجود أرواح تفارق أجساد الناس بعد موتهم، ولكنها تظلّ على اتّصال بهم، وتبقى الروح تعيش على الضفاف ما دام الجسد سليمًا في قبره.

* من أسماء القبر: الرَّمس، اللّحد، الهُوة، الضّريح، الزوراء، الملحودة، الصّير، الحفرة، الجنن، الجدث، الرَّيم، الجُول، الرَّجم، الوَجر. ينظر، روحي ثروت علي عمران، القبر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: إحسان يعقوب الديك، ومشهور الحيازي، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس، فلسطين، 2001م، ص ص2-6.

ونظر الشعراء الجاهليون إلى القبور نظرةً ملؤها الاحترام والتقديس، وحلّ القبر في ذهن العربي مقامًا مُبجّلًا، فأجلَّ القبرَ، ووقف عنده متمأملًا مستأنسًا بمن يسكنه، يمارس طقوسًا وصلوات وعادات، ويتلفظ بأدعية معيّنة، تعكسُ مكانةَ القبر في نفسه وذهنه[1].

وورد القبر كذلك في شعر الصعاليك، من ذلك قول **تأبط شرا** (من الطويل):

وَأَمـرٍ، كَسَـدِّ المِنخَـرَينِ، اِعتَلَيتَـهُ فَنَفَّسـتَ مِنـهُ، وَالمَنايـا حَواضِـرُ
وَإِنَّـكَ لَـو لاقَيتَنـي بَعـدَ مـا تَـرى وَهَـل يُلقَـينَ مَـن غَيَّبَتـهُ المَقـابِرُ؟ !
لَأَلفَيتِنـي فـي غـارَةٍ أَعتَـزي بِهـا إِلَيـكَ، وَإِمّـا راجِعًـا أَنـا ثـائِرُ[2]*

شبّه **تأبّط شرًا** المأزق الذي وقعَ فيه **الشنفرى** بسدّ المنخرين، لضيقه وصعوبة التخلّص منه، وقد نفذَ منه لشجاعته وبأسه، وإقدامه ولامبالاته بالأمر الذي اعتلاه، فهو ذو عزيمة وإصرار، فتمكّن منه، وفرّج ضيقه فتنفّس منه وخرج، كلّ هذا والموت متربّص به، ويحيط به من كلّ حدبٍ وصوبٍ.

ويتحسّر **تأبّط شرًا** على **الشنفرى** فيتمنّى لو أنّه التقاه لكان سانده واعتمد على غارة يُساعدُ بها صديقه في محنته فيمنعهُ من الموت، أو على الأقل يثأر ممن قتله لعلّ ذلك يشفي غليله، لكن ماذا يفعل وقد سبقه الموت ومات **الشنفرى**.

ويعبّر القبر عن الضيق الذي كان فيه **الشنفرى**، وصعوبة الخروج منه؛ ضيق الثأر، وضيق أن تكون في اضطراب وقلق على الدوام، فأينما يممت وجهك وجدتَ ناسًا يتربصون بك، يرومون قتلك والثأر لموتاهم أو إعادة الأموال التي سلبتها وغنمتها منهم، ومهما يفعل الإنسان فإنّ الموت سيلاقيه ويدخله سكنه أبد الدهر ألا وهو القبر.

ويقول في بيت يتيم (من الطويل):

أَصَـمُّ قُطـارِيٌّ، يَكـونُ خُروجُـهُ بُعَيدَ غُروبِ الشَمسِ، مُختَلِفُ الرَمسِ[3]**

---

[1] ينظر، روحي ثروت علي عمران، القبر في الشعر الجاهلي، ص19.

[2] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص83.

***كسدّ المنخرين:** الأمر المعور الضيق. **اعتليت الأمر:** تمكّنت منه. **نفست منه:** فرّجت ضيقه وخرجت.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، ص104.

****القُطاريّ:** الحيّة، مأخوذ من القُطار وهو سمّه الذي يقطر من كثرته.

يصف **تأبّط شرًا** ثعبانًا، ويعلمنا أنّه كثير السّمّ لدرجة أنه يقطر من فيه، ويعلمنا أنه يخرج من القبر بعد غروب الشمس مباشرةً من القبر، ويعدّ هذا الاستعمال نادرًا في شعر الصعاليك[1].

ويُعبّر القبر عن الصراع الذي يعيشه الصعاليك، والموت الذي ينتظرهم ووحشة المكان المخيف الذي تخرج منه الأفاعي، فهي تتخذه مأوًى لها، وتقتات من جثث الموتى المدفونة فيه، كما أنّ الرّجل الحيّ معرّض للموت إذا ما مرّ بهذا القبر، فلدغة الثعبان كفيلة بقتله في حينه.

وقال **الشنفرى** (من الطويل):

لا تَقبُرونـــي إنَّ قبـــري مُحَـــرَّمٌ عَلَـيكُم وَلَكِـن أَبشِـري أُمَّ عـامِرِ
إِذا ضَرَبوا رَأسي وَفي الرَأسِ أَكثَري وَغـودِرَ عِنـدَ المُلتَقـى ثَـمَّ سـائِري
هُنالِـكَ لا أَرجـو حَيـاةً تَسُـرُّني سَـجيسَ اللَيـالِي مُبسَـلاً بِـالجَرائِرِ
لَقُلـتُ لهـا قَـد كـانَ ذَلِـكَ مَـرَّةً ولَستُ على ما قَد عَهدتُ بِقادِرِ[2]*

قال **الشنفرى** هذه الأبيات بعد أن أسره **بنو سلامان** وسألوه أين يدفنونه، فأجابهم بنهيهم عن دفنه، وأن يتركوه للضباع تقتات منه، وأنهم إن أخذوا رأسه فإنهم أخذوا وحملوا أهم شيء في جسمه، إذ كان من عادة العرب حين تقتل شخصًا أن تقطع رأسه، وهو دليل على النيل منه، فمتى ما فعلوا ذلك فإنّ **الشنفرى** لا يرجو أن يعود إلى الحياة بعد الموت، ولا يقضي حياته الطويلة رهنًا لأعدائه لما ارتكب من جرائم، ويخلص في آخر بيت إلى أنّ هذه نهايته وأنّ المرء يموت مرّةً واحد.

ويعبّر القبر في الأبيات السابقة عن الصراع وضيق الموقف الذي وقع فيه **الشنفرى**، فالرجل قد أُسِر، ولا مناصَ من موته، بالإضافة إلى أنّ سؤاله عن مكان قبره يحمل معنى السخرية والاستهزاء من **بني سلامان**، إذ تمكّنوا منه، وهو ميت لا محالة،

---

[1] ينظر، حسن جويعد العجمي، ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك، دراسة لغوية دلالية، إشراف: محمود الديكي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت (الأردن)، 2017م، ص136.

[2] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص48-49.

*أمّ عامر: كنية الضبع. سجيس الليالي وسميرها: طولها. مُبسّل: مُسلَم. الجرائر: الذنوب، والجرائم.

ولم يبق أمامه إلا أن يختار قبره. لكن **الشنفرى** يرفض هذا، ويختار أن يبقى على وجه الأرض الفسيحة بدلًا من القبر الضيق، فالرجل لا يريد أن يكون مُحاطًا بقيود حتى وهو ميت، إنه ينشد حرية الروح حياةً، وحرية الجسد ميتًا. وقال **الشنفرى** (من المتقارب):

لَـيسَ لِوالِـدَةٍ هَوؤُهَـا	**وَلا قَولُهـا لاِبنِهـا: دَعَـدعِ**
تَطـوفُ وَتَحـذَرُ أَحوالَـهُ	**وَغَيـرُك أَملَـكُ بِالمَصـرَعِ**
تُولـولُ أَن غالَهـا دَهرُهـا	**بِريـبِ المَكـارِهِ بِـالأَروعِ**
وَكـلُّ فتًـى عـاشَ فـي غِبطَـةٍ	**يَصـيرُ إِلـى الجَـدَثِ الأَسـفَعِ**
فَأَقسِـمُ أَبـرَحُ فـي غـارَةٍ	**مُعـزَّزَةِ الـنَّفسِ بالـمَكرِعِ**[(1)]*

قُتِل أخو **الشنفرى**، فأخذت أمّه تبكيه، فنظم **الشنفرى** هذه الأبيات، ويقال أنّها أوّل شعره[(2)]، **والشنفرى** يطلب من أمّه عدم البكاء والنواح على أخيه المغدور، ويخبرها بأنّ كلّ إنسان سيدخل القبر يومًا أي يموت، ويقسم أنّه سيأخذ بثأره ودمه.

ويعبّر القبر هنا عن الصراع النفسي، والضيق الذي يعيشه **الشنفرى** لمقتل أخيه، وهي حالٌ نفسية صعبة؛ أن يموت أخو الإنسان وعضده، وهو يرى أمه تبكي ابنها. هذا الضيق الذي فرضه جور القبيلة وظلمها على **الشنفرى** حتى في صباه، فلم يتركوا له أخًا عضدًا يحارب غارات الحياة عليه وعلى أهله. وقال **صخر الغي** (من الطويل):

لَعَمرُ أَبـي عَمروٍ لَقَد ساقَهُ المَنـا	**إِلـى جَـدَثٍ يـوزى لَـهُ بِالأَهاضِـبِ**
لِحَيَّـةِ قَفْـرٍ فـي وِجـارٍ مُقيمَـةٍ	**تَنَمّـى بِهـا سَـوقُ المَنـا وَالجَوالِـبِ**
أَخـي لا أَخـا لـي بَعدَهُ سَـبَقَت بِـهِ	**مُنَيَّتُـهُ جَمـعَ الرُقـى وَالطَبائِـبِ**[(3)]**

[(1)] محاسن بن إسماعيل الحلبي، شرح شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق وتعليق: خالد عبد الرؤوف الجبر، ص120.

* **الهوء:** الهمة أو الرأي. **دعدع:** كلمة تقال للعاثر، والمعنى: أقاله الله. **المصرع:** القتل. **الغول:** الهلكة. **الروع:** الفزع. **الجدث:** القبر. **الأسفع:** المميز بعلامة. **المكرع:** الفرس شديدة القوائم.

[(2)] ينظر، ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص52.

[(3)] السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص ص245–250.

** **المنا:** القدرُ. **الجدثُ:** القبر. **يوزى له:** يُشرّفُ له ويُنصبُ. **الأهاضب:** جمع هضبة، وهي رؤوس الجبال. **الوجار:** جُحر الحية والضبع. **تنمّى:** ارتفع من مكانه إلى آخر. **سوق المنا:** القَدَر. **الجوالب:** ما يجلبُ الدهر من آفات وشدائد. **الطبائب:** جمع طبيبة، ولعلّ المقصود الكاهنة التي ترقي المريض. **والطبيبة:** القطعة المستطيلة من القماش أيضا.

يرثي **صخر الغي** أخاه **أبا عمرو**، ويُخبرنا أنّ القدر قد ساقهُ إلى حتفه، ودُفِنَ في قبرٍ فوق الهضاب، وكان السبب في وفاته أن لدغتهُ حيةٌّ كان قد تواجد بقرب جحرها، ثم يعلمنا بأنّه أخوه الوحيد الذي ليس له سواه، وأنّ وفاته هذه لم ينفع معها طبيبٌ ولا راقٍ، فقد سبق الموتُ إليه.

ويعبّر القبر عن الغمّ والحزن الذي أصاب **صخرًا** لفقدان أخيه، فظلمة القبر هي ظلمة حياة **صخر** لهذا الفقد، وضيقُه ضيقُ الحياةِ **بصخرٍ** لوفاة أخيه، أمّا المكان العالي فيشي بمكانة **أبي عمرو** عند أخيه **صخر**، فهذا الأخير يحبّ أخاه وهو متعلّق به تعلقًا شديدًا.

وقال **صخر الغي** يرثي ابنه **تليد** (من الوافر):

أَرِقــتُ فَبِــتُّ لَــم أَذُق الــمَناما وَلَيلـــي لا أُحِــسُّ لَـــهُ انصِــراما

لَعَمـــــرُكَ وَالمَنايــــا غالِبـــاتٌ وَمــا تُغنـــي التَميمــاتُ الحِمامــا

لَقَـــد أَجـــرى لِمَصـــرَعِهِ تَليـــدٌ وَســـاقَتهُ المَنِيَّـــةُ مِـــن أَذامــا

إِلـــى جَـدَثٍ بِجَنــبِ الجَــوِّ راسٍ بِـــهِ مــا حَــلَّ ثُــمَّ بِـــهِ أَقامــا

أَرى الأَيّـــامَ لا تُبقـــي كَريمًـــا وَلا العُصــمَ الأَوابِــدَ وَالنَعامـــا[1]*

جافى النّوم **صخرًا**، وأرقَ لمّا بلغه نبأ وفاة ابنه، ويُقسمُ أنّ الأقدار غالبةٌ لا تقوى على دفعها، ولا نستطيع ردّ الأقدار بتمائم الكهّان، وقد ساقت الأقدار **تليدًا** إلى حتفه، فأسكنته قبرًا في مكان لا يغادرهُ أبدًا، فهو مقيم فيه لا يغادره، والموت مصير كلّ مخلوق فلن يسلم منه الشريف ولا الوعول ولا النعامُ.

ويشي القبر في الأبيات السابقة بنهاية الدّرب؛ نهاية الحياة التي عاشها **تليد**، وبقي أبوه يذكر السّبب الذي ساقه إلى مصيره، ويعبّر موضع القبر فوق الهضبة على علوّ مكانته عند أبيه، وبقاؤه عاليًا يعني بقاء تلك المكانة، وكأنّنا به يقول أنّ مقامه عالٍ يطاولُ السّماء فلا يصله أحد.

---

[1] ديوان الهذليين، ج2، ص ص62–63.

*** الأرق:** أن يسهر ولا ينام. **انصراما:** ذهابا. **التميمات:** العُوَذ. **الحِمام:** المقدار. **الجدث:** القبر. **الجَوّ:** مكان. **راسٍ:** مقيم، يقال رسا يرسو إذا ثبت. **العُصم:** الوُعُول، والواحد أعصم. **الأوابد:** المتوحّشة، والواحد آبد وقد أبدَ إذا توحّش.

بناءً على ما سبق، نصل إلى أنّ القبر في شعر الصعاليك يعبّر الصراع النفسي، وعن الضّيق والاضطراب الذي يعيشه الصعاليك، فهم مكبّلون بنظرة القبيلة إليهم، والتي ترتبط بالنّسب والحالة المادية لهم، فتنظر لهم نظرةً دونيةً ملؤها الاحتقار والازدراء. كما أنّه يمثّل نهاية الحياة لهم، فالقبر يحوي جسد الإنسان الميت، ومن مات تخلصت منه القبيلة ومن جرائره.

نخلص في نهاية هذا الفصل، إلى أنّ المكان في شعر الصعاليك قد وردَ منوعًا وبأشكال منوعة، ما يعني غنى حياة الصعاليك بالمغامرات، وتنوّعها وتغيّرها، كما أنّ لكلّ مكانٍ خصوصيةً في حياتهم، فالمراقب والقفر والجبال تمثّل الملجأ البديل عن القبيلة الذي يلجأ إليه الصعلوك بحثًا عن الأمن والاستقرار وتحصنًا ومنعة من الموت الذي تريده له القبيلة، وأثناء هذا يبحث الصعلوك عن مكان يعيش فيه، فيتخذ من موارد المياه مكانًا يعيش فيه لغناه بشتى أنواع الحيوانات والطيور التي يقتات منها، بالإضافة إلى البيت الذي يمثّل الاستقرار والأمن له. كما نجد عند الصعاليك حضور الطلل، والذي يمثل، إلى جانب البحر الحنين الذي يكتنف نفس الصعلوك، الحنين إلى الديار والأهل والأحبة الذين فقدهم إمّا برحيلهم الطوعي، أو برحيله القسري الذي فرضته عليه القبيلة بخلعه وإهدار دمه. ويبقى الصعاليك في صراع دائم، فهم الذين يهددون مصالحها الضيقة بثورتهم على عاداتها وأفكارها الظالمة، بالإضافة إلى صراعهم النفسي جراء الخلع والابتعاد عن الأهل والديار.

خاتمة

خاتمة

بعد أن تمّت الإحاطة نسبيا بإشكالية هذا البحث؛ وصلنا إلى جملة من النتائج والخلاصات، لعل أهمها:

- انتقلت لفظة "صعلوك" في العصر الجاهلي من معناها اللغوي الذي يعني الفقر والعوز، إلى معنى آخر يعني مجموعة من الفتيان الذين اتخذوا الغزو والإغارة وقطع الطريق وسيلة لتحقيق أهدافهم.

- كانت نظرة القبيلة إلى الصعاليك من منظور سلطوي، إذ عاملتهم قبل خلعهم معاملة سيئة، لتهدر دمهم ولا تأخذ بثأرهم، بل وتسعى للنيل منهم بعد الخلع.

- فقد الصعاليك الإحساس بالعصبية القبلية، ما جعلهم يتبنّون الأنا بديًلا لها، وصارت عامًلا مشتركًا بينهم تحكمها أفكارهم ومصالحهم المشتركة وأهدافهم، لا عصبية القبيلة والدم.

- وجدنا أنّ بحر الطويل أكثرُ بحور الشعر استعمالا في شعر الصعاليك، وهو بحر يصعب النظم على وزنه، وفي هذا محاولة لإثبات ذات الصعاليك، وعلوّ كعبهم وقيمتهم.

- تنوعّت أهداف الصعاليك فكان منها: البحث عن توفير القوت والعيش الكريم، والغنى والحصول على أكبر قدر ممكن من الإبل والماشية، والأخذ بالثأر للأقرباء، والانتقام من القبيلة الخالعة، والبحث عن إثبات الذات والحرية وكسر تقاليد القبيلة الظالمة.

- كانت القبيلة تخشى من الصعاليك لكونها قد تصبح بديلًا عن النظام القبلي السائد، وبالتالي تصبح مصالح كثير من أسيادها وأغنيائها في خطر، نظرًا للرغبة الملحة في بعث عدالة في المجتمع القبلي تقضي أن يتساوى السيد والعبد، الغني والفقير في المكانة الاجتماعية والاقتصادية.

- لم تكن حركة الصعاليك حركة منغلقة على نفسها، بل ساهم كثيرٌ من أفرادها في ضمّ أفراد جدد، ينشرون بينهم أفكارهم، ويساعدونهم في تحصيل العيش، حتى يعودوا إلى أسرهم وعائلاتهم بما يحفظ أجسادهم من الجوع، وكرامتهم من الذل.

- تميّز الصعاليك بأخلاق فاقت حتى أخلاق الفرسان والنبلاء، إذ كانت الأنفة والإباء، والتكافل، والشجاعة، والاعتزاز بالنفس سمة تميزهم عن غيرهم.

- تنوعت الأنساق الوجودية في شعر الصعاليك الجاهليين، تنوّعًا واضحًا، ومردّ هذا تنوّع حياة الصعاليك، من حياة الظلم والاضطهاد داخل القبيلة، إلى حياة الحرية والعزة والشظف والنّصَب خارجها.

- حضر نسق الطبيعة في شعر الصعاليك حضورًا لافتًا، إذ حوى بين جنباته كثيرًا من التيمات والبنيات الدالة على ما يحيط بهم من: ماء وحيوان وكائنات أسطورية.

- مثّل الماء عند الصعاليك السلعة الثمينة التي يصبو المرء للحصول عليها رغبة في المحافظة عليها، واستغلال أماكن تواجدها لبسط السيطرة.

- تمظهر رمز الحيوان في شعر الصعاليك بصفته معادلا موضوعيًا لهم، فظهرت رموز الخيل، والذئب والطير، لتعبّر عن معاناة الصعاليك، وشجاعتهم وثباتهم في مواجهة خصومهم، كما حملت بين طياتها قيم الإقدام والتفرّد، والشجاعة، والإصرار، والصبر.

- حضر النسق الأسطوري بصفة محتشمة عند الصعاليك محل الدراسة، وتفرّد تأبّط شرًا بذكر الغول في شعره، بينما نجد أنّ الشنفرى قد حضر بأنموذج حول الجن، ويعبّر النسق الأسطوري في شعر هذين الصعلوكين عن مدى بسالتهما ورباطة جأشهما، وعن بداية حديدة جديدة ملؤها الحرية بعيدة عن القبيلة الأم.

- تمظهر النسق الاجتماعي في شعر الصعاليك بعدّة بنيات، تعلّقت اثنان منهما بالفقر والغنى، إذ ارتبطت بنية الفقر بإلحاحهم في السعي نحو حياة كريمة، تحفظ كرامتهم من الذل والهوان. بينما عبّرت بنية الغنى عن الأمل الذي يعيشه الصعاليك، فهو الهدف الذي يسعون لبلوغه قصد تغيير واقع الفقراء المعدمين، والذهنية القبلية السائدة التي تنظر إلى الفقير بعين النقص.

- حضرت بنية القرابة في شعر الصعاليك حضورًا لافتًا، وقد انقسمت بدورها إلى تيمتين أساسيتين: أعمدة القرابة الصلبة الممثلة في الذكر بشتى العلاقات التي تربط الرجل بأقاربه الذكور؛ من أخٍ وأبٍ وأبناء، وعبّرت في مجملها عن ألم الفقد لمقتل أحدهم، أو السخط على سوء اختيار الزوجة لوضاعة نسبها كما عند عروة بن الورد.

• ثم الأعمدة الناعمة التي تتمثل في الأنثى، والتي عبّر عن الافتخار بها ما يعني الافتخار بالأصل والنسب، وعلى أنّ الصعلوك ليس بتلك الوضاعة التي يصوره بها أفراد القبيلة. كما حضرت المرأة الحبيبة التي يفتقدها الصعلوك، ويُحسن بالألم لفراقها، وهو تعبير عن افتقاد الصعلوك لقبيلته، وبحثه دومًا عمّن يكون مصدر عاطفة نحوه. بالإضافة إلى حضور امرأة أخرى، والتي يكثر ذكرها في شعر الصعاليك، وهي العاذلة، إذ يعبّر حضورها عن اللوم الذي يتلقاه الصعاليك جرّاء مغامراتهم وتجشمهم عناء السعي نحو الغنى أو بلوغ الثأر، إذ عادةً ما يكون صوتُها صوتًا يضاد صوت الصعلوك ويُنبّهه عمّا قد يلقاه من أخطار ومهالك.

• حضر نسق الموت في شعر الصعاليك، وحمل بين طياته تيمات/بنيات علاقة الصعلوك الآخر، المتمثل في القبيلة وما تكنه من كره للصعاليك ومحاولة القضاء عليهم وعلى أفكارهم، ثم الخصم المقاتل الذي عبّر عن الشجاعة الخصم والبسالة ومحاولة قتل الصعلوك وإنهاء حياته، وكيف أنّ الصعلوك قد قلب الموازين وجعل هذا الخصم ملقى على الأرض ميتًا.

• عبّرت تيمة الحرب لدى الصعاليك عن الفرار الذي يتخذونه تقنية في معاركهم إذا لم يتمكنوا من مجريات المواجهة، لأنهم إن لم يفروا تمكّن أعداؤهم منهم وقتلوهم، بالإضافة إلى الأسلحة المختلفة من سيف ورمح، وقوس وسهم، والتي عبّرت عن فروسية الصعاليك وعلوّ كعبهم في الحروب والمواجهات، وعن الموت الذي كان يحيط بهم من كل جانب من خصومهم، وكذلك في رغبة الصعاليك القضاء عليهم وعلى ظلمهم واستبدادهم.

• حضرت الأنساق الزمنية في شعر الصعاليك ممثّلة في نسقين أساسيين: نسق الصراع، ونسق الأنس/الليل. فعبّرت تيمات الصباح والنهار واليوم عن الصراع الدائم في حياة الصعاليك مع أنفسهم، ومع القبيلة الظالمة المضطهدة التي همشتهم وخلعتهم، ولم تعترف بهم، ونظرت إليهم نظرة دونية لفقرهم أو لسواد اللون أو الفقر، كما عبّر هذا النسق عن تفوق الصعاليك في صراعاتهم وخروجهم من حال الضيق والشدة إلى حال اليسر والنجاة لمواصلة طريق الحرية وإثبات الذات.

- حضر نسق الأنس في صورة الليل الذي يكون فرصة للتنفيس عن الحزن والألم الملم بالصعلوك، كما أنّه فرصة ليختلي فيها الصعلوك بنفسه ليستذكر أحبته وأيامه الخوالي معهم.

- تنوعت الأنساق المكانية في شعر الصعاليك، فتراوحت بين المكان الملجأ، ومكان المعيشة، وأمكنة الحنين، ومكان الصراع.

- كانت المراقب والصحاري والجبال الأماكنَ الآمنة التي يلجأ إليها الصعاليك، فيتخذونها مأمنا وبديلًا عن القبيلة التي تروم القضاء عليهم.

- تمثّلت أماكن المعيشة لدى الصعاليك في موارد المياه والبيوت، والتي كانت تحمل بين طياتها معاني الراحة والطمأنينة والاستقرار بعيدًا عن الخطر الدائم.

- تمتّع الصعاليك، إلى جانب الشدة والبأس، بحسّ مرهف، وهذا ما تمظهر من خلال الطلل والبحر الذي كان مكانًا للحنين لديهم، فيستذكرون محبوباتهم، ومن رحل من أهلهم وأحبائهم.

- كان للعرب الجاهليين، كغيرهم من الأمم، اعتقادات حول الموت، وقد كانوا ممّن يدفنون موتاهم، على عكس بعض الأمم التي تحرقهم كالهنود مثلًا، لذا، ورد القبر بأسماء مختلفة في إبداعاتهم. وحضر القبر في شعر الصعاليك ليعبّر عن مآل الإنسان، وأنه مهما طال به الزمن فإنّه سيدخل هذا المكان يوما، كما عبّر عن الضيق والظلمة التي يعيشها الصعاليك جرّاء خلعهم من قبائلهم وإبعادهم عن أحبّتهم وأهليهم.

هذه، إذن، أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا شعر الصعاليك من منظور النقد الثقافي، والتي تبقى قراءة وليدةً لظروف معينة، فقد تتفق مع قراءات أخرى، وقد تختلف، ويبقى الأدب القديم جبلا أشمّ شامخا تحاول الدراسات قراءته وبلوغ نيقه، وتنفتح في الوقت نفسه على قراءات أخرى قد تستجلي أنساق النص الشعري العربي القديم؛ لأنه حمّال أوجه متعدّدة للقراءة والتأويل المضاعف.

ملحق

1-تأبط شرا

هو **ثابت** بن **جابر** بن **سفيان** بن **عُمَيْثِل** بن **عُدي** بن **كعب** بن **حَزْن** من بني فهم القيسيين المضريين[1] الملقب بـ "**تأبط شرا**"، وهو من أغربة العرب.أما أبوه، فقد مات وثابت صغير، ولم ترد عنه أخبار مشهورة.وفيما يخص أمه؛ فقد كانت أمه حبشية فورث عنها ثابت سوادها، وقيل: بل كانت حرة من فهم تسمى: "أميمة"[2].

وقد كان **ثابت «أسمع العرب وأبصرهم، وأكيدهم، وكان أعدى رجل؛ ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته»** [3].

وتعددت الروايات في سبب إطلاق لقب "**تأبط شرا**" على "**ثابت**"، وإن اتفقت في أغلبها على أن أمه لقبته به، فنذكر منها ما يلي:

-ذكر أن أمه لقبته «إذ تأبط سيفا وخرج، فلما سئلت عنه، قالت **تأبط شرا** ومضى لوجهه» [4].

-وقيل، بل لقبته بذلك لأنها رأته يتأبط جرابا مليئا بالأفاعي[5].

-وذكر أنه إنما لقب بهذا اللقب لأنه كلما جاء بالشهد في خريطة كان يتأبطها، فإن أمه تأكل ما يجيء به، فأخذ يوما أفعى وألقاها في الخريطة فلما جاءت أمه لتأخذ ما في الخريطة سمعت

فحيح الأفعى فألقتها، وقالت: لقد تأبطت شرا يا بني[6].

-وذكر أن قبيلته هي التي لقبته بهذا اللقب «**لكثرة ما كان يرتكب من جنايات ومجازر؛ أي أنه يحمل دائما في أطوائه شرا ما يريد أن ينفذه**»[7].

---

[1] ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص 05.

[2] ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، (د.ت)، ج 1، ص 377.

[3] جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ج 1، ص 244.

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط4، ج 1، ص 377.

[5] المرجع نفسه، ص 377.

[6] ينظر، ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص 06.

[7] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي-، ط4، ص 377.

وهو ما يوافق ما أورده **عبد الرحمان المصطاوي** في الديوان حيث ينقل أن «**سبب اللقب أنه كان رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طوال طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فلم يقله فرمى به، فإذا هو الغول. فقال له قومه: ما كنت متأبطا يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شرا** »[1].

–وربما أطلق عليه هذا اللقب في بيت شعري جادت به قريحته، إذ يقول (من الطويل):

تأبَّـطَ شَرًّا ثُم راحَ أو اغتَدَى يُوَائِمُ غُنـمًا أَو يَشيفُ عَلى ذَحلِ[2]*

وذكر **شوقي ضيف** أن **تأبط شرا** مازال «يقوم بمغامراته حتى قتل بإحدى غاراته بمنازل **هذيل**» [3].

حيث قيل أنّ: « موته كان في غزوة من غزواته، فعرض له بيت من **هذيل**، فأراد أن يغزوه، فرده رفاقه لأنهم رأوا ضبعا يخرج من قرب البيت، فتشاءموا وتطيروا، بيد أنه لم يألف من ذلك، وهجم على البيت مع جماعته، فقتلوا شيخا وعجوزا وحازوا جاريتين ونوقا، وفر غلام إلى الجبل، فتبعه **تأبط شرا**، فرماه الغلام بسهم أصاب منه المقتل، وحمل **تأبط** على الغلام وهو جريح، فقتله ثم مات؛ بسبب إصابته بالسهم في قلبه.

وكانت سنة وفاته سنة 530م، وقيل سنة 540م» [4].

---

[1] ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص 06.

[2] المصدر نفسه، ص58.

* **يوائم**: يوافق. **الغنم**: الغنيمة. **يشيف**؛ أي ينظر ويترقب. **الذحل**: الثأر.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي–العصر الجاهلي–، ط4،ص 379.

[4] ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص 08.

2-عمرو بن براقة

هو عمرو بن الحارث بن منبه بن شَهر بن نِهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن رومان الهَمْداني، و"هَمْدان" قبيلة قحطانية عظيمة[1].

وقد اشتهر بكنية "ابن براقة" (بالتاء) نسبةً إلى أمه، وفي كثير من المصادر يُحرّف إلى 'ابن برّاق"، لكن الصواب "ابن براقة" بالتأنيث لا التذكير، والنسب إلى الأم شائع عند العرب، وهناك كتاب في هذا الشأن بعنوان "من نُسِبَ إلى أمه" لابن حبيب (ت245هـ) [2].

عاش "ابن براقة" في الجاهلية والإسلام، إذ أدرك خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووفد إليه؛ فهو شاعر مخضرم[3].

وكما هو معلوم، فإنّ "عمرو بن براقة" من الشعراء الصعاليك، وكان صاحبًا لكل من "تأبّط شرًا" و"الشنفرى"، وكان الثلاثة يغزون مع بعضهم البعض، ويقتسمون زادهم[4]؛ ولعلّ هذا ما جعلَ مترجميه يركزون على صعلكته وفتكه وأخبار مغامراته دون الاهتمام بإيراد تفصيلات عن أسرته.

ولم تورد المصادر تاريخ ميلاده، لكن تاريخ وفاته يرجح إلى ما بعد 11هـ- نحو 632م[5]، وفق ما أورده حسن جعفر نور الدين في موسوعته للشعراء الصعاليك.

ويُعدّ ابن براقة من القلائل الذين يمثلون أنموذجًا لشخصية الصعلوك القوي العنيد، الذي لا يوقف عزمه شيء، ولا تقف أيّة عقبة في طريق تحقيق أهدافه[6]، وقصّته مع حُريم مثال على ذلك، إذ وردت في الأغاني، وهذا نصها: «**أغار رجل من همدان يقال له حُريم على إبل لعمرو بن برّاق وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأةً كان يتحدّث إليها و يزورها فأخبرها أن حريما أغار على إبله وخيله فذهب بها، و أنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحك لا تعرَضْ لتلفات حُريم فإنّي أخافُه عليك، قال: فخالفها، وأغار**

---

[1] ينظر، شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره، ، ص22.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص ص 23، 24.

[3] ينظر، ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم طلال حرب، ص 103.

[4] ينظر، المصدر نفسه، ص ن.

[5] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص82.

[6] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص118.

عليه، فاستاق كلّ شيء كان له، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يردّ عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، و أبى عليه، فانصرف» [1]، وأنشد **ابن براقة** في ذلك ميميته الشهيرة وهذه بعض أبياتها (من الطويل):

تَقــولُ سُــلَيمى لا تَعَــرَّض لِتَلفَــةٍ ... وَلَيلُــكَ عَــن لَيــلِ الصَــعاليكِ نــائِمُ
وَكَيــفَ يَنــامُ اللَيــلَ مَــن جُــلُّ مالِــهِ ... حُســامٌ كَلَــونِ المِلــحِ أَبــيَضُ صــارِمُ
غَمُوضٌ إِذا عَضَّ الكَريهَةَ لَم يَدَع ... لَــهُ طَمَعــاً طَــوعُ اليَمــينِ مُــلازِمُ
أَلَــم تَعلَمــي أَنَّ الصَــعاليكَ نَــومُهُم ... قَليــلٌ إِذا نــامَ الخَلِــيُّ المُســالِمُ
إِذا اللَيــلُ أَدجــى وَاِكفَهَــرَّ ظَلامُــهُ ... وَصــاحَ مِــنَ الأَفــراطِ بــومٌ جَــواثِمُ
وَمــالَ بِأَصــحابِ الكَــرى غالِباتُــهُ ... فَــإِنّي عَلــى أَمــرِ الغَوايَــةِ حــازِمُ[2]*

ونلاحظ أنّ أخبار **ابن براقة** قليلة جدًّا، حتى أنّ الأغاني أورد له صفحتين فقط، فيهما ميميته السابقة، وأهمله **ابن قتيبة** في كتابه "**الشعر والشعراء**"، كما لا نجد له أثرًا في "**معجم البلدان**" **لياقوت الحموي**، بالرغم من أنّه كان مرافقًا لشاعرين من أشهر شعراء الصعلكة في العصر الجاهلي، وصاحبًا لهما في الغزوات والإغارات[3].

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط3، 2008م،مج21، ص126.

[2] شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، سيرته وشعره، ص ص109، 111.

* **التّلفة:** المهلكة. **الحسام:** السيف. **الصّارم:** القاطع. **غموض:** من غَمَض السيف في اللحم، غاب. **الكريهة:** الشّدة، الحرب. **الخليّ:** الخالي من الهموم. **المسالم:** غير المحارب. **أدجى:** أظلم، **والظّلام المكفهرّ:** المتراكب الظلمة. **الأفراط:** الآكام، وهي الجبال الصغار واحدها فُرُط. **الكرى:** النعاس والنوم. **غالباته:** أي نعساته المستولية على الإنسان. **الغواية:** الجهل.

[3] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص83.

3-الشنفرى

أُختلف في اسمه ولقبه ونسبه، وتعددت الروايات في ذلك، فمنهم من قال أنّه عمرو بن مالك الأزدي من قحطان[1]، ومنهم من قال أنّ "الشنفرى" لقبٌ له، واسمه عمرو بن برّاق، أو ثابت بن أوس، أو ثابت بن جابر، وقال بعضهم أنّ "الشنفرى" اسمه الحقيقي لا لقبه[2]. وأورد الأصفهاني في "الأغاني" ترجمة للشنفرى، إذ قال: «**كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث**»[3]، ومعنى الشنفرى في اللغة غليظ الشفتين، وقد كانت أمه حبشية فورث عنها سوادها، ولذلك عدّوه من أغربة العرب[4].

كان الشنفرى صعلوكًا ومن فتّاك العرب وشعرائهم وعدّائيهم، وكان رفيقًا وزميلًا ملازمًا ومخلصًا لتأبط شرًا، يتشاركان الفتك والغزو والإغارة، ومردّ ذلك إلى نشأته في قبيلة "فهم" قبيلة تأبط شرا، إذ إنّه نزلَ بها رفقة أمه وأخيه، بعد أن قتلت قبيلته أباه[5].

ولعلّ أشهر قصة للشنفرى الوعد الذي قطعته على نفسه بأن يقتل مئة من "بني سلامان بن مفرج"، ولكنه قتل تسعًا وتسعين رجلًا منهم، ثم لزم دار فهم، وقد كان يغير على "بني سلامان" فيمن تبعه من "فهم"، لكنه كان يُغير عليهم وحده أغلب الأوقات[6].

أمّا عن مقتله، فقد تعدّدت الروايات في ذلك، وتقول إحداها أنّ رجلين من الأزد قبضا عليه، وقاداه إلى أعدائه "بني سلامان بن مفرج"، فربطوه إلى شجرة وأمروه أن يُنشد شعرًا[7]، فقال (من الطويل):

لا تَقبُرونـــي إنَّ قبـــري مُحَـــرَّمٌ عَلَـــيكُم وَلَكِـــن أَبشِـــري أُمَّ عـــامِرِ
إِذا احتملوا رَأسي وَفي الرَأسِ أَكثَري وَغـودِرَ عِنـدَ المُلتَقـى ثَـمَّ سـائِري
هُنالِـكَ لا أَرجـو حَيـاةً تَسُـرُّني سَـجيسَ اللَيـالِي مُبسَـلاً بِـالجَرائِرِ

---

(1) ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص85

(2) ينظر، ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، ص9.

(3) الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج21، ص128.

(4) ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط5، ص331.

(5) ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص21.

(6) ينظر، الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج21، ص128.

(7) ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص22.

لَقُلْــتُ لهــا قَــد كــانَ ذَلِــكَ مَــرَّةً ولَستُ على ما قَد عَهدتُ بِقادِرِ[1]*

فعذّبوه وقتلوه، وكان ذلك نحو 100 ق.هـ/ 525م[2]. ورثاه تأبّط شرا بقصيدة رائعة، وهي رائيته الشهيرة التي مطلعها (من الطويل):

عَلى "الشَّنْفَرى" ساري الغَمامِ، فَرائِحٌ غَزيرُ الكُلى، وَصَيِّبُ الماءِ باكِرُ[3]**

ومن طرائف ما أورده الأصفهاني بعد مقتل الشنفرى، إذ قال: «**ولمّا قُتِل الشنفرى وطرح رأسه مرّ به رجل منهم –أي من بني سلامان–، فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعُقرت قدمه فمات منها، فتمّت بها المائة**»[4]. ونرى طرافة هذا الخبر لأنّه يدخل في باب أسطرة الشخصيات.

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، ص ص48–49.

*__أمّ عامر__: كنية الضبع. __سجيس الليالي وسميرها__: طولها. __مُبسّل__: مُسلَم. __الجرائر__: الذنوب، والجرائم.

[2] ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص85

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، ص78.

**__ساري الغمام__: السحاب الممطر ليلا، واحدته سارية. __الرائح__: السحاب الممطر بالعشي. __الكُلى__: جوانب السحابة وأسافلها، واحدتها كُلية. __صيّبُ الماء__: مُنصبُّه ومُنهمره. __باكرُ__: من الإبكار.

[4] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج21، ص133.

4-السليك بن السلكة

يقال له "ابن السلكة" نسبةً إلى أمّه، أمّا اسمه كاملًا فهو: «**السليك بن عمرو، وقيل: بن عمير بن يثربيّ، أحد بني مقاعس، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم**»[1]. وكان من أغربة العرب؛ إذ ورث سواد جلده من أمّه التي كانت أمةً سوداء[2]، وقال عنه ابن قتيبة: «**وهو أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم ورجيلائهم. وكان له بأس ونجدة. وكان أدلّ الناس بالأرضِ، وأجودهم عَدْوًا على رجليه، (وكان) لا تعلق به الخيل**»[3].

وروي عن مظاهر قوته، وبأسه، وسرعة عدوه أنّه تحدّى وهو شيخ مسن أربعينًا شابًا، فلبس درعًا حديديةً، وسابقهم، ففاز عليهم[4]. وضُربت الأمثال في عدو السليك، ومن ذلك ما أورده الميداني في "مجمع الأمثال": «**أعدى من السّليك**»[5].

كما كان يُطلقُ عليه "**سُليك المقانب**": «**وقد قال في ذلك فرار الأسدي، وكان قد وجدَ قومًا يتحدّثون إلى امرأته من بني عمّها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه، فقال في ذلك** (من الطويل):

لَــزُوّارُ لَيْلَــى، مــنكُمُ آلَ بُــرْثُن، على الهَوْلِ أَمْضَى من سُلَيْكِ المَقانِب
تَزُورُونَهــا ولا أَزورُ نِســاءَكم، أَلَهْفــي لأَولاد الإمــاءِ الحَواطِــب»[6]

واتّسم السليك بعطفه على الصعاليك أمثاله، إذ يُروى أنّه كان نائمًا ثم استيقظ، فوجد رجُلًا يودّ أسره، إلا أنّ السليك تغلّب عليه، ثم سأله عن حاله، فإذا هو صعلوك بائس مثله، فعزف عن إيذائه واصطحبه معه، ثم غزا معه وأعطاه من غنائمه[7].

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج21، ص240.

[2] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص114.

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص365.

[4] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص14.

[5] الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، ج2،ص47.

[6] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج20، ص246.

[7] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص ص15-16.

أمّا عن وفاته، فقد أورد الأصفهاني أنّ السَّليك كان «**يُعطي عبد الملك بن مويلك الخثعمي إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن، فيغير عليهم. فمرّ قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضّة، فسألها عن الحي فأخبرته، فتسنّمها، أي علاها، ثم جلس حجرة، ثم التقم المحجة. فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم، فركب أنس بن مدرك الخثعمي في طلبه فلحقه، فقتله**» [1]، وكان ذلك حوالي سنة 17 ق.هـ/ 605م[2].

[1] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج20، ص249.

[2] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص16.

5-عروة بن الورد

هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار[1]، فكان من بيت شريف في قبيلته، لكن عبسًا كانت تتشاءم من أبيه، لأنه أوقع الحرب بين عبسٍ وفزارة بمراهنته حذيفة[2].

أمّا أمّه فكانت من نهد من قضاعة، وهي أقلّ شرفًا من عبس، وفي سخط عروة على نسب أمّه يقول (من الطويل):

مـا بِـيَ مِـن عـارٍ إِخـالُ عَلِمتُـهُ، سِـوى أَنَّ أَخـوالي، إِذا نُسِـبوا، نَهـدُ
إِذا مـا أَرَدتُ المَجدَ قَصَّرَ مَجدُهُم، فَأَعيـا عَلَـيَّ أَن يُقـارِبَني المَجـدُ
فَيـا لَيـتَهُم لَـم يَضرِبوا فِـيَّ ضَربَةً، وَأَنِّـيَ عَبـدٌ فـيهِمُ، وَأَبـي عَبـدُ
ثَعالِبُ في الحَربِ العَوانِ، فَإِن تَبُخ، وَتَنفَـرِجِ الجُلّـى، فَـإِنَّهُمُ الأُسـدُ[3]*

ولُقّب بـ"عروة الصعاليك" لأنّه كان يجمعهم ويقوم بأمرهم إذا لم يغنموا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مغزى[4]. وذهب ابن قتيبة إلى أنّ سبب إطلاق لقب "عروة الصعاليك" لقوله[5] (من الطويل):

لَحـى اللَـهُ صُـعلوكًا، إِذا جَـنَّ لَيلُـهُ، مُصـافي المُشـاشِ، آلِفًـا كُـلَّ مَجـزَرِ
يَعُـدُّ الغِنـى مِـن نَفسِـهِ، كُـلَّ لَيلَـةٍ، أَصـابَ قِراهـا مِـن صَـديقٍ مُيَسَّـرِ
يَنـامُ عِشـاءً ثُـمَّ يُصـبِحُ ناعِسًـا، يَحُـثُّ الحَصـى عَـن جَنبِـهِ المُتَعَفِّـرِ
قَليـلُ اِلتِمـاسِ الـزادِ إِلا لِنَفسِـهِ، إِذا هُـوَ أَمسـى كَـالعَرِيشِ المُجَـوَّرِ
يُعـينُ نِسـاءَ الحَـيِّ، مـا يَسـتَعِنُّهُ، وَيُمسـي طَليحًـا، كَـالبَعيرِ المُحَسَّـرِ

---

[1] ينظر،الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج3، ص51.

[2] ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط5، ص322.

[3] شعر عروة بن الورد العبسي، صنعة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السّكيت، ص74.

* **نهد:** قبيلة في بلاد اليمن. **أعيا علي:** أعجزني عن مقاربة المجد. **لم يضربوا فيّ ضربة:** لم يُشركوني في نسبهم. **الحرب العوان:** التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة. **تبُخ:** يعني الحرب، أي تنطفئ وتسكن. **الجُلّى:** الأمر العظيم.

[4] ينظر، الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج3، ص51.

[5] ينظر، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج2، ص675.

وَلَكِـنَّ صُـعلوكاً، صَـفيحَةُ وَجهِـهِ كَضَـوءِ شِـهابِ القَـابِسِ المُتَنَـوِّرِ

مُطِـلًا عَلَـى أَعدائِـهِ يَزجُرونَـهُ بِساحَتِهِم زَجرَ المَنـيحِ المُشَـهَّرِ[1]*

عُرف عروة بأنّه زعيم الصعاليك، وقائدهم، وموجّه تفكيرهم، وكان يناضل بهم في سبيل تحصيل أقواتهم، وفي نقمتهم على الأغنياء البخلاء، وكان موقفه إذّاك يقوم على عدم استئثار الأغنياء بالثروات والمكاسب، وعلى وجوب تقاسم الأموال وتوزيعها على المحتاجين تحقيقًا لمبدأ المساواة بين الجميع[2].

وهذا ما جعل عروة يمتاز بإضفائه على الصعلكة الاحترام والتقدير، وأكسبه حُب الفقراء المعدمين، سواء في عصره، أم ما تلاه من بعض العصور الإسلامية، لما تحلّى به من عطف على الفقراء، وخلق كريم، واعتبار نفسه كفيلًا بالتفريج عنهم[3]، وقد وصفه الأصفهاني بقوله: «**شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدّمين الأجواد**» [4].

وهكذا، أمضى عروة حياته في الغزو والإغارة مساعدةً للمحتاجين، وقيامًا على أمرهم، حتى قُتِلَ على يد رجل من "طهيه" في إحدى غاراته سنة 30 ق.هـ/ نحو 594م[5].

---

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص ص68-69.

* **مصافي المشاش:** مختار، مؤثر للأكل. **والمشاش:** رأس العظم اللين. **المجزر:** الموضع الذي تجزر فيه الإبل. **الصعلوك:** أراد به الصعلوك اللئيم الذي يعيش خاملًا. **يحثّ الحصى:** لا يبرح الحي، **وحثّ الشيء:** قشره وأسقطه. **العريش:** شبه الخيمة. **يمسيطليحًا:** قد أعيا وحسر من العمل كأنه بعير محسر، أي **حسير** ضعيف. **مُطِلًّا:** أي مُشرفًا. **يزجرونه:** يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضُرب به. **المنيح هنا:** قدح مستعار، سريع الخروج والفوز، يستعار فيضرب ثم يردّ إلى صاحبه، والعرية تسمى المنحة.

[2] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص ص66-67.

[3] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص115.

[4] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مج3، ص51.

[5] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص76.

6-قيس بن الحِدادية

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مُزَيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد[1]. واشتهر باسم "قيس بن الحدادية" نسبةً إلى أمّه، وهي من قبيلة فَهم، يقال لهم "بنو حِداد"[2].

كان قيس ذا بأس شديد، واشتهر بأنّه من الفتّاك ومن شجعان الصعاليك[3]، وقد خلعته قبيلته بسوق عكاظ، وأشهدت الناس على ألّا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه[4]. بَيدَ أنّ ذلك لم يُقلّل من عزمه، ولم يوقفه عن جناياته، بل ازداد شراسةً، حتى تجاه قومه، وقد سُجّلت له مواقف كريمة نحو المحتاجين[5].

وبقي يجمع حوله الصعاليك ويُغير بهم على قومه والقبائل الأخرى حتى قُتِلَ أثناء لقائه «**جمعًا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرّة، فقالوا له: استأسر، فقال: وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع، والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزًا جرباءَ جذماءَ ما أُعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أُمّ لك، فقال: نفسي عليّ أكرمُ من ذاك، وقاتلهم حتّى قُتل**» [6]وهو يرتجز:

أَنــا الَّــذي تَخلَعُــه مَواليــهِ وَكُلُّهُــم بَعــدَ الصَــفاءِ قالِيَــه
وَكُلُّهُــم يُقسِــمُ لا يَبالِيَــه أَنــا إِذا المَــوتُ يَنــوبُ غالِيَــه
مُخــتَلِطٌ أَســفَلُهُ بِعالِيَــه قَـد يَعلَـمُ الفِتيـانُ أَنّـي صـالِيَه

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، 14، ص93.

[2] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص89.

[3] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص116.

[4] ينظر، حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص30.

[5] ينظر، زاهي نجيب رشيد سلامة، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي –دراسة في ضوء سيمياء الثقافة، أطروحة دكتوراه تخصص الأدب والنقد العربي، إشراف: يوسف أبو العدوس، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد (الأردن)، تموز/جويلية 2019م، ص322.

[6] حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص ص92-93.

إِذا الحَديـــــــــــــدُ رُفِعَـــــــــــت عَوالِيَـــــــــــه[1]

وقيل في رواية أخرى أنّه «**كان يتحدّث إلى امرأة من بني سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتّبعوه فوجوده. فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل**» [2].

أمّا شعره، فإنّ أغلبه قد فُقِد؛ يقول حاتم صالح الضامن: « **وممّا يُؤسف عليه أنّ أكثر شعره قد فُقد ولم أقف إلا على ستّ عشرة قصيدة ومقطوعة تعداد أبياتها مائتان واثنان وستون بيتًا انفرد بروايتها صاحب الأغاني وصاحب الاختيارين**» [3].

ويبرز شعر الغزل والفخر بقومه قبل خلعه[4]، وقد اكتسب شعره، استحسانًا، ولعلّ أشهر قصيدةٍ له العينية، التي يقول في مطلعها (من الطويل):

أَجِـدَّكَ إن نُعـمٌ نَـأَت أَنـتَ جـازِذعُ قَـدِ اِقتَرَبَـت لَـو أَنَّ ذَلِـكَ نـافِعُ[5]

ولم يجمع له ديوان مستقل، إلا الجهد الذي قام به حاتم صالح الضامن، وضمّنه في كتابه "عشرة شعراء مقلّون".

---

(1) حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص44.

(2) المصدر نفسه، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص ن.

(4) خلاف بوحالة، القيم الأخلاقية في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه الطور الثالث، إشراف: موسى مريان، مريان، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة (الجزائر)، 2020-2021م، ص102.

(5) حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ص37.

7-صخر الغي

عرّفه الأصفهاني بأنّه « **صخر بن عبد الله الخيثمي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل**» [1]. وقد كان مع إخوته صُخير والأعلم وأبي عمرو يكوّنون جماعة دائمة الغزو والإغارة، ولُقّب بـ"الغيّ" لخلاعته وشدّة بأسه[2]، وكثرة جرائره، وكان مع إخوته من العدّائين، ووردت أخبار كثيرة عنهم ملأى بالطرافة عن حُسن التّخلص والتمويه[3].

أما عن شعره فإنّ معظم قصائده وردت في رثاء أخيه وابنه، وفي مناجزاته ومنافراته مع أبي المثلّم[4]، وهذه الأخيرة جعلت السكري يجمع شعرهما في بابٍ واحد في كتابه "شرح أشعار الهذليين"*. ويعود سبب العداوة بين أبي المثلم وصخر الغي إلى أنّ هذا الأخير قد قتل جار أبي المثلّم[5].

وعلى الرغم من هذه العداوة بينهما، إلّا أنّ أبا المثلّم رثى صخر الغي بقصيدة يقول فيها (من البسيط):

لَـو كـانَ لِلـدَهرِ مـالٌ عِنـدَ مُتلَـدِهِ ... لَكـانَ لِلـدَهرِ صَـخرٌ مـالَ قُنيـانِ
آبـي الهَضـيمَةِ نـابٍ بِالعَظيمَـةِ مُتـ ... ـلافُ الكَريمَـةِ لا سِـقطٌ وَلا وانـي
حـامي الحَقيقَـةِ نَسّـالُ الوَديقَـةِ مِعـ ... ـتاقُ الوَسـيقَةِ جَلْـدٌ غَيـرُ ثِنيـانِ
رَبّـاءُ مَرقَبَـةٍ مَنّـاعُ مَغلَبَـةٍ ... رَكّـابُ سَـلهَبَةٍ قَطّـاعُ أَقـرانِ
هبّـاطُ أَودِيَـةٍ حَمّـالُ أَلوِيَـةٍ ... شَـهّادُ أَندِيَـةٍ سَـرحانُ فِتيـانِ
يحمي الصِحابَ إِذا كانَ الضِرابُ وَيَك ... ـفي القـائِلينَ إِذا مـا كُبِّـلَ العـاني
فَيَتـرُكُ القِـرنَ مُصـفَرّاً أَنامِلُـهُ ... كَـأَنَّ فـي رَيطَتَيـهِ نَضـخُ إِرقـانِ

---

[1] الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج23، ص5.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ن.

[3] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص117.

[4] ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج2، ص59.

* ينظر، السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، كتاب شرح أشعار الهذليين، ج1، ص ص 243-307.

[5] ينظر، الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج23، ص5.

يُعطيكَ ما لا تَكادُ النَفسُ تُرسِلُهُ مِنَ التِلادِ وَهوبٌ غَيرُ مَنّانِ[1]

وقيل عن مقتله أنّ صخرًا أغار على "بني المصطلق" من خزاعة، فقاتلوه ومن معه، فأحاطوا به، وطالبوه أن يُسلّم نفسه فأبى، وظلّ يقاتلهم حتى لقي حتفه[2]. وقيل أنّه مات بنهشة أفعى[3].

ويحضر غرضُ الرثاء عن صخر حضورا لافتًا، وهذا من خلال رثاء ابنه "تليد"، إذ رثاء بقصائد تُنمّ عن مشاعر راقية، وحسّ مُرهف، وشعور رقيق، ولعلّ أشهرها ميميته التي يقول في بدايتها (من الوافر):

أَرِقتُ فَبِتُّ لَم أَذُق المَناما وَلَيلي لا أُحِسُّ لَهُ انصِراما
لَعَمرُكَ وَالمَنايا غالِباتٌ وَما تُغني التَميماتُ الحِماما
لَقَد أَجرى لِمَصرَعِهِ تَليدٌ وَساقَتهُ المَنِيَّةُ مِن أَدامِ
إِلى جَدَثٍ بِجَنبِ الجَوِّ راسٍ بِهِ ما حَلَّ ثُمَّ بِهِ أَقاما
أَرى الأَيّامَ لا تُبقي كَريمًا وَلا العُصمَ الأَوابِدَ وَالنَعاما[4]

---

[1] ديوان الهذليين، ج2، ص ص238، 240.

[2] ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ص117-118.

[3] ينظر، عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، معجم ببليوغرافي يُعرّف بالشعراء ومراجع دراستهم، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م، ص128.

[4] السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص287.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أ-المصادر

1.ابن إسحاق السّكّيت، أبو يعقوب، شعر عروة بن الورد العبسي، تحقيق: محمد فؤاد نعناع، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، (الكويت)، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1995م.

2.ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل ، تحقيق: محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، مطابع قطر الوطنية، الدوحة (قطر)، ط1، 2010م.

3.ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط2، 2004م.

4.ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1980م.

5.ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، ط1، 1984م.

6.ديوان تأبط شرا، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط1، 1424هـ-2003م.

7.ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م.

8.ديوان حاتم الطائي، شرحه وقدّم له: أحمد رشاد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط3، 2002م.

9.ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1985م.

10. ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط2، 1996م.

11. ديوان الشنفرى، ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1993م.

12. ديوان الشنفرى، ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م.

13. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1998م.

14. ديوان عروة بن الورد، شرحه وقدّم له ووضع فهارسه: سعدي ضِنّاوي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م.

15. ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1965م.

16. ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (مصر)، ط4، 2012م.

17. السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت).

18. السليك بن السلكة –أخباره وأشعاره، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني، كامل سعيد عوّاد، مطبعة العاني، بغداد (العراق)، ط1، 1984م.

19. شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام –سيرته وشعره–، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن)، ط1، 2005م.

20. شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبيد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي (الإمارات)، (د.ط)، 2000م.

21. محاسن بن إسماعيل الحلبي، شرح شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق وتعليق: خالد عبد الرؤوف الجبر، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن)، ط1، 2004م.

ب-المراجع العربية

22. إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1988م.

23. أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحوّل -بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت (لبنان)، ط7، 1994م.

24. أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت (لبنان)، ط3، 1979م.

25. الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط3، 2008م.

26. الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط3، 2008م.

27. أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، دار عمار، عُمان (الأردن)، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1987م.

28. الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، مصر، ط2، 1967م.

29. جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، شبكة الألوكة الإلكترونية، ط1، 2006م.

30. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط2، 1993م.

31. جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

32. حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلّون، جامعة بغداد (العراق)، (د.ط)، 1990م.

33. حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–مصر، (د.ط)، 2014م.

34. حُسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي –قضايا، وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، ط1، 2001م.

35. حُسين عطوان، وصف البحر والنهر في الشعر العربي، من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط2، 1982م.

36. حنّا نصر الحتّي، مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2007م.

37. خير الدين الزركلي، الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط15، 2002م.

38. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط5، 1981م.

39. سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، الفجالة (مصر)، ط2، (د.ت).

40. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، (المغرب– لبنان)، ط1، 1989م.

41. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، (د.ت).

42. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 1–العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط11، (د.ت).

43. صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تحقيق وشرح ودراسة: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط1، 1999م.

44. ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمّان (الأردن)، ط1، 2010م.

45. عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك –منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1987م.

46. ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1983م.

47. عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 2008م.

48. عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين (الإمارات)، ط1، 2001م،.

49. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ط3، 2016م.

50. عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية (مصر)، ط1، 2002م.

51. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 2000م.

52. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران (الجزائر)، (د.ط). 2005م.

53. عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، (د.ط)، 1989م.

54. علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت).

55. علي الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، اتحاد الكتّب العرب، دمشق (سورية)، (د.ط)، 2002م.

56. غي روشيه، مقدّمة إلى علم الاجتماع العام، تر: مصطفى دندشلي، مكتبة الفقيه، بيروت (لبنان)، ط2، 2002م.

57. فاروق أحمد اسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي –دراسة–، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق (سورية)، (د.ط)، 1998م.

58. أبو فهر، محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، مطبعة المدني (مصر)، ط1، 1996م.

59. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط2، (د.ت).

60. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة (مصر)، (د.ط)، (د.ت) م.

61. ابن الكلبي الغرناطي، عبد الله بن محمد بن جري، كتاب الخيل –مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، حقّقه وقدّم له: محمد العربي الخَطّابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 1986م.

62. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، (د.ط)، (د.ت).

63. محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة– مصر، ط1، 1942م.

64. محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي، أشعارهم وأخبارهم، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1990م.

65. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1992م.

66. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (المغرب، لبنان)، ط1، 1996م.

67. مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض (السعودية)، ط1، 1996م.

68. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1374هـ-1955م.

69. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1970م.

70. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت (لبنان)، ط1، 1970م.

71. نوري حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد (العراق)، ط1، 1964م.

72. هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة على وفق الأنساق الثقافية، منشورات ضفاف، بيروت (لبنان)، دار الفكر للنشر والتوزيع، البصرة (العراق)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2013م.

73. يحي الجبوري، الشعر الجاهلي -خصائصه وفنونه-، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي-ليبيا، ط6، 1993م.

74. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوب، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط6، 1995م.

75. يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، بيروت (لبنان)، ط4، 1985م.

76. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط3، (د.ت).

77. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط5، 2019م.

78. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجًا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، ط1، 2004م.

ج-المراجع المترجمة

79. فردناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، مراجعة: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء (المغرب)، (د.ط)، 1987م.

80. فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد (العراق)، (د.ط)، 1985م.

81. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس (الجزائر)، 2007م.

82. عبد الفتاح كيليطو، المقامات: السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء (المغرب)، (د.ط)، 2001م.

83. نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، مراجعة وتدقيق: رامز ملا، منشورات الجمل، كولونيا-بغداد، (ألمانيا-العراق)، (د.ط)، 2010م.

د-المرجع الأجنبي

84. Edward B. Taylor, Primitive Culture : Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art, and Custom, 2vols, (London : J. Murray, 1871).

هـ-الرسائل والأطروحات

85. أحمد حسين العباس، الزمن في أشعار الصعاليك الجاهليين والمخضرمين، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: غيثاء قادرة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سورية 1440هـ-2018م.

86. أفراح عبد محمود الصباغ، الخيلُ رموزًا ودلالات في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير، إشراف: مؤيد محمد صالح اليوزبكي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2002م.

87. أماني بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي، صورة أمومة الطير في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، إشراف: مريم عبد الهادي القحطاني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1435-1436هـ.

88. حسن جويعد العجمي، ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك، دراسة لغوية دلالية، إشراف: محمود الديكي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت (الأردن)، 2017م.

89. حليمة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، إشراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، 2005م.

90. خلاف بوحالة، القيم الأخلاقية في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه الطور الثالث، إشراف: موسى مريان، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة (الجزائر)، 2020-2021م.

91. رائد المهيرات، صورة الذئب في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2009م.

92. روحي ثروت علي عمران، القبر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: إحسان يعقوب الديك، ومشهور الحيازي، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس، فلسطين، 2001م.

93. زاهي نجيب رشيد سلامة، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي –دراسة في ضوء سيمياء الثقافة، أطروحة دكتوراه تخصص الأدب والنقد العربي، إشراف: يوسف أبو العدوس، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد (الأردن)، تموز/جويلية 2019م.

94. سمية الهادي، سيميائية المكان في شعر الصعاليك الجاهليين، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي، إشراف: عباس بن يحي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية

الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، نوقشت بتاريخ: 2015/12/03م.

95. ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، إشراف: أ.د/ حسن جبار محمد الشمسي، كلية التربية، جامعة البصرة (العراق)، 1426هـ.

96. عادل حماد القاسمي البلوي، صورة الأخ في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف: خليل الرفوع، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2008م.

97. عادل كمون جابر الإسماعيلي، نثر الحسن البصري دراسة في ضوء النقد الثقافي، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف: نضال إبراهيم ياسين، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة (العراق)، 2020م.

98. عاطف محمد مصطفى كنعان، الإنسان في الشعر الجاهلي في ضوء الدراسات الحديثة، إشراف: محمد السمرة، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأدرنية، الأردن، كانون الأول، 1997م.

99. عبد القادر حكيمي، اليوم في القرآن والسنة النبوية، مجلة دراسات إسلامية (الجزائر)، مج16، ع2، 2021م.

100. فهاد بن محمد بن فهاد آل غلفص الدوسري، وصف القوس في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: دخيل الله بن محمد الصحفي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ.

101. محمد الشيخ محمود صيام، طرفة بن العبد –حياته وشعره–، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة–السعودية، 1979–1980م.

102. ناظم خليل حسين اللوقة، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي، دراسة دلالية، رسالة ماجستير، إشراف: صادق عبد الله أبو سليمان، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأزهر، غزة (فلسطين)، 2011م.

103. هنادي جبري محمد أبو قطام، شعر الصعاليك في العصر الجاهلي: دراسة نقدية ثقافية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها/ الأدب والنقد، كلية الدراسات العليا في الجامعة الهاشمية، الزرقاء (الأردن)، نوقشت بتاريخ: 2019/11/03م.

104. نايف حمدان أحمد عويضات، صورة البطل في شعر عنترة بن شداد العبسي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، (فلسطين)، 2000م.

105. ناهد جعفر، عدّة الحرب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف: إحسان عباس، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية، بيروت (لبنان)، نوقشت في: جوان 1985م.

و –المقالات

106. جابر خميس عباس، الصراع في شعر الصعاليك، مجلة "لارك" للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العراق، ج3، ع32، 2019/01/01م.

107. جدي فاطمة الزهراء، صور الماء في الفضاء الشعري –قراءة في صور تعامل الشاعر القديم مع الماء، مجلة التعليمية، الجزائر، ع1، 2011م.

108. خلدون الكناني، الخيل والإبل في الشعر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي العربي، سورية، ع 3و4، مارس 1947م.

109. عامر أحمد إبراهيم، سلوى جابر عبد اللطيف، المكان عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي –المكان في شعر الصعاليك الصحراء نموذجًا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل (العراق)، مج12، ع2، 2012م.

110. عبد الجبار محمود السامرائي، تقنية السلاح عند العرب، مجلة المورد، ع4، ج1، 1985م.

111. عبد الغني زيتوني، الجن وأحوالهم في الشعر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي العربي، سورية، ع1، جانفي 1985م.

112. عبد الله علي قاسم الصنوي، ظاهرة الصعلكة في الشعر العربي قبل الإسلام (المفهوم والبواعث)، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، اليمن ع10، يونيو 2009م.

113. عز الدين المناصرة، النقد الثقافي السلافي، مجلة فصول، مج3، ع99، ربيع2017م.

114. عمر شطة، أنسنة المكان في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست (الجزائر)، مج10، ع4، 2021م.

115. عيسى شمّاس، الصعلكة ظاهرة اجتماعية بمضمون إنساني، مجلة الموقف الأدبي، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب، دمشق (سورية)، ع505، أيار 2013م.

116. ماهر أحمد المبيضين، عماد عبد الوهاب الضمور، أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي، حوليات آداب عين شمس، مصر، مج43، يناير–مارس2015م.

117. محمد عدناني، شعرية المضمرات الثقافية في ديوان "رماد هسبريس" لمحمد الخمار الكنوني، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، المغرب، ع3،خريف/شتاء، 2014–2015م.

118. نجيب كيالي، أدوات الفروسية في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، سورية، ع120–121، 2011/1/1م.

119. وسام حاتم، ضياء غني العبودي، الانتقاص في شعر صعاليك العصر الجاهلي، مجلة (لغة–كلام)، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي غليزان (الجزائر)، ع7، سبتمبر2018م.

ز–المعاجم والموسوعات

120. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النجار، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

121. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرًا: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت–باريس، (لبنان–فرنسا)، ط2، 2001م.

122. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح –تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور قطّار، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط2، 1979م.

123. حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، (د.ط)، 2007م.

124. الزبيدي، محمد مرتضى الحُسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، التراث العربي –سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، (الكويت)، (د.ط)، 1993م.

125. عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، معجم ببليوغرافي يُعرّف بالشعراء ومراجع دراستهم، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1996م.

126. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتابُ العين –مُرتّبًا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2003م.

127. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط8، 2005م.

128. اللبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي، اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء، دراسة وتحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 1997م.

129. ابن منظور، لسان العرب، اعتنى به وصححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (لبنان)، ط3، 1999م.

130. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (لبنان)، (د.ط)، (د.ت).

ح–الموقع الإلكتروني

131. https://www.nizwa.com

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ ـ ز
مدخل: الصعلكة ظاهرة ثقافية	
توطئة	**10**
1-ماهية الصعلوك	**10**
2-تحليل دوافع الصعلكة	**14**
2-1-الفقر	**14**
2-2-النظام الاجتماعي وسلطة القبيلة	**16**
2-3-وضاعة النسب	**17**
2-4-حب المغامرة وإثبات الشخصية	**20**
3-الصعلكة ظاهرة ثقافية	**22**
3-1-التمرّد على القبيلة وتجاوزها	**23**
3-2-الإغارة على البخلاء	**26**
3-3-التكافل	**27**
3-4-الأنفة	**31**
3-5-الاعتزاز بالنفس	**33**
3-6-الفردانية	**35**
الفصل الأول: الأنساق الوجودية في شعر الصعاليك	
توطئة	**42**
أ-مفهوم النسق	**42**
ب-النسق الثقافي	**47**
1-نسق الحياة	**50**
1-1-تيمة الطبيعة	**50**
1-1-1-تيمة الماء	**50**
1-1-2-نسق البديل الموضوعي (تيمة الحيوان)	**54**
1-1-2-1-رمزية الخيل	**55**

1-1-2-2-رمزية الذئب 60
1-1-2-3-رمزية الطير 65
1-1-3-النسق الأسطوري 68
1-1-3-1-رمز الغول 70
1-1-3-2-رمز الجن 73
1-2-النسق الاجتماعي 75
1-2-1-بنية الفقر 75
1-2-2-بنية الغنى 79
1-2-3-بنية القرابة 82
1-2-3-1- أعمدة القرابة الصلبة (الذكر) 82
1-2-3-2- أعمدة القرابة الناعمة (الأنثى) 87
2-نسق الموت 96
2-1- العلاقة مع الآخر 97
2-1-1-القبيلة 97
2-1-2-الخصم المقاتل 101
2-2-تيمة الحرب 103
2-2-1-تيمة الفرار 104
2-2-2-تيمة عدّة الحرب 106
2-2-2-1- السيف 107
2-2-2-2- الرمح 109
2-2-2-3- القوس والسهم 112

الفصل الثاني: الأنساق الزمنية في شعر الصعاليك

توطئة 117
1-مفهوم الزمن 117
2-نسق الصراع 118
2-1-الصباح 118
2-2-النهار 130

2-3-اليوم 132
3-نسق الأنس/الليل 145

الفصل الثالث: الأنساق المكانية في شعر الصعاليك

توطئة 161
1-مفهوم المكان 161
2- المكان الملجأ 161
2-1-المرقبة 162
2-2- الصحراء/القفر 167
2-3- الجبل 172
3- مكان المعيشة 174
3-1- مورد الماء 174
3-2- البيت 180
4- أمكنة الحنين 184
4-1- الطلل 184
4-2- البحر 186
5- مكان الصراع 190
5-1-ميدان المعركة 190
5-2-الشّعاب والفجاج 198
5-3- القبر 202
خاتمة 209
ملحق 214
قائمة المصادر والمراجع 229
فهرس المحتويات 243

ملخص

الصعلكة ظاهرة اجتماعية وثقافية بدأت في العصر الجاهلي، ثورةً على النظام السائد آنذاك، والذي عُرف بنظام القبيلة، التي كانت لها أعراف وتقاليد ومبادئ خاصة بها، لكن بعض أفرادها لم يرضوا بها، فخرجوا عليها ينشدون الغنى والحرية وإثبات الذات، ما خلّف صراعًا محتدما بين الطرفين، القبيلة بكل ما تملكه من عتاد وأموال وكثرة رجال، والصعاليك الشجعان وإصرارهم على تحقيق مآربهم والوقوف أمام الظلم والطغيان.

وبناءً عليهم يروم هذا البحث قراءة شعر الصعاليك من منظور النقد الثقافي، بغية الوقوف على ما يختزنه شعرهم من مواهب فنية وأنساق جمالية، عبرت من دون شك عن البيئة الثقافية الجاهلية، من منظور يختلف عن الرؤى النقدية التقليدية، التي مجدت الشعر السائد، شعر الطبقة الحاكمة.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الأنساق، الصعاليك، القبيلة، الثورة.

ABSTRACT

Sa'laqah is a social and cultural phenomenon that began in the pre-Islamic era, a revolution against the prevailing system at that time, which was known as the tribe system, which had its own customs, traditions, and principles, but some of its members were not satisfied with them, so they went against it, seeking wealth, freedom, and self-affirmation, which left a heated conflict between the two parties. The tribe, with all its equipment, money, and many men, and the brave vagabonds and their insistence on achieving their goals and standing up to injustice and tyranny.

Accordingly, this research aims to read the poetry of the vagabonds from the perspective of cultural criticism, in order to identify the artistic talents and aesthetic patterns that their poetry contains, which undoubtedly expressed the pre-Islamic cultural environment, from a perspective different from the traditional critical visions, which glorified the prevailing poetry, the poetry of the ruling class. .

Keywords: cultural criticism, patterns, tramps, tribe, revolution.